الثقافة الجديدة



228





مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

228

العدد 2 السنة 38 كانون الاول 1990

فهرست

■ أدب وفن

لوحتا الغلاف للفنان رعد

تخطيط ملف الانصار للفنان فيصل لعيبي



لتتوحد كل القوى لدرء كارثة الحرب

شهدت أزمة الخليج، في نهاية الاسبوع الماضي، تطوراً خطيراً بصدور قرار مجلس الامن رقم ٦٧٨ الذي رجح كفة الخيار العسكري لحل الأزمة، ووضع العراق والمنطقة، بل والعالم بأسره، أمام عواقب يصعب تحديد نتائجها وآثارها السلبية المدمرة. ذلك ان القرار يسمح باستخدام القوة العسكرية لحل أزمة الخليج بعد الخامس عشر من كانون الثاني القادم في حالة رفض العراق تنفيذ قرارات مجلس الامن.

وفي أعقاب صدور هذا القرار الخطير في تصعيد الأزمة ومضاعفة اخطار الحرب المدمرة جاءت المبادرة الامريكية لاجراء مفاوضات مباشرة، وعلى مستوى عالي بين الولايات المتحدة الامريكية والعراق، التي استجاب لها النظام العراقي. وهو أمر كان موضع ارتياح القوى التي تدرك جسامة الاخطار والكوارث التي يمكن ان تنجم عن الحرب، والتي تعمل على تجنبها.

ان النظام الدكتاتوري، وبشكل خاص رأسه صدام حسين، يتحمل المسؤولية المباشرة في تحدي الرأي العام العراقي والعربي والعالمي بغزو الكويت وضمها بالقوة والاستهتار بارادة المجتمع الدولي وقرارات مجلس الامن.

وجراء هذا التحدي والاستهتار يواجه شعبنا العراقي وشعوب المنطقة والعالم احتمال نشوب حرب مدمرة، تستخدم فيها أكثر الاسلحة تطوراً وتدميراً، بما فيها الاسلحة الكيمياوية والبيولوجية وربما حتى النووية.

لقد أكد حزبنا منذ اليوم الأول لمغامرة احتلال الكويت انه يرى ان طريق الخروج من الأزمة يمر عبر نزع فتيلها واستخدام كل الامكانيات لفرض الحل السلمي بانسحاب القوات العراقية من الكويت واعادة الاوضاع إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح واحترام ارادة الشعب الكويتي وحريته في اختيار النظام السياسي والاجتماعي الذي يريده واطلاق سراح الرهائن كما طالب حزبنا بضرورة انسحاب القوات الاجنبية من المنطقة.

وكان تقييم حزبنا لقرارات مجلس الامن والجامعة العربية والمؤتمر الاسلامي، وضغط الرأي العام العالمي ينطلق، بالضبط، من مدى انسجامها مع مصالح شعبنا، وفي تجنيب وطننا الحبيب مخاطر الدمار والخراب، ودعمها لنضال شعبنا في تحقيق طموحاته العادلة بالتمتع بحرياته الديمقراطية في نظام يستند إلى ارادته الحرة. وهو ما يمكن ان يتحقق عبر خيار السلم.

ومن هذا المنطلق يواصل حزبنا، مع كل القوى الخيرة في بلادنا والوطن العربي والعالم، النضال من أجل درء كارثة الحرب، ويرفض اللجوء إلى خيار الحرب المدمرة، ويشجب المساعي التي تقف وراءها الدوائر الامبريالية المتطرفة والصهيونية لترجيح هذا الخيار الضار ليس بمصالح العراق والكويت فحسب، بل وبمصالح الشعوب العربية كلها وبالمنطقة والعالم.

ويرى حزبنا ان ترجيح كفة خيار السلم يستلزم - فيما يستلزم - استنهاض قوى الشعب العراقي، وخصوصاً القوات المسلحة المطالبة، اليوم أكثر من أي وقت مضى، بالتحول إلى قوة للدفاع عن الوطن وعن مصالح الشعوب العربية، وذلك بفرض الانسحاب من الكويت، بعد ان زجها الدكتاتور طيلة سنوات حكمه في مغامراته التوسعية، واستخدمها كقوة قمعية لاضطهاد الشعب الكردي. ان القوات المسلحة نفسها هي صاحبة المصلحة في فرض خيار السلم لأنها، في حالة اللجوء إلى استخدام القوة، سيقع عليها عبء المعركة وتتعرض إلى تقديم التضحيات الغالية التي ربما سيفوق عددها، ضحاياها الغالية في «القادسية» المشؤومة، بالاضافة إلى النتائج الكارثية الأخرى التي ستصيب جميع المرافق والميادين الحيوية في البلاد، وتحمل معها نذراً خطيرة قد تهدد وجود وطننا نفسه. وهو ما تسعى اليه الدوائر الامبريالية والصهيونية متذرعة بمغامرة غزو الكويت والاصرار على ضمها للعراق.

ان رأس النظام في العراق، المهووس بجنون العظمة والتشبث بالسلطة، بأي ثمن، لا يتورع، كما اثبتت التجربة، عن دفع البلاد إلى الهاوية، أو التواطؤ مع الامبريالية والاستسلام لها، اذ قد يلجأ بهدف الحفاظ على نظامه من السقوط للدخول في مساومة مع الامبريالية الامريكية، بالضد من مصالح الشعب والأمة العربية، وقد دفع الوضع بالفعل

إلى تهـديد حقيقي لكيان العـراق السياسي ووحدة ترابه بعد ان خلق أفضل ظرف أمام الطامعين الذين يتحينون الفرص للمسّ بوحدة ترابنا الوطني ، وأمام الامبرياليين والصهاينة الذين يستعدون لجني ثمار المغامرة والعدوان بتعزيز هيمنتهم على المنطقة إلى مدى أبعد من المدى الذي مكنهم منه اشعال الحرب العراقية ـ الايرانية وغزو الكويت وضمها للعراق.

ان خطورة الـوضع ومصائر وطنناءالتي وضعها النظام الدكتاتوري وجهاً لوجه أمام الكارثة المحدقة ، تتطلب من جماهير شعبنا وقواها الوطنية اقصى درجات الاستنفار والتعبئة لفـرض الحـل السلمي المتمثـل بالانسحاب من الكويت واحترام ميثاق الامم المتحدة والجامعة العربية ، وتحقيق البديل الديمقراطي وسيادة الشعب.

وان قواعد وكوادر الحزب الحاكم مدعوة لقول كلمتها في هذا الاتجاه أيضاً ، وقبل فوات الاوان وحلول كارثة الحرب.

ويتـطلع حزبنا وشعبنا ، في هذه الظروف العصيبة إلى جميع فصائل وقوى حركة التحرر الوطني العربية للارتقاء بمواقفها إلى مستوى المحنة التي يعيشها وطننا ، والمخاطر التي تواجهه وذلك بتكثيف ضغوطها على النظام الدكتاتوري في بغداد بمختلف الأساليب والوسائل بما في ذلك ادانة احتلال الكويت والاصرار على استمرار هذا الاحتلال ، وحمله على التراجع درءاً للكارثة واطفاءاً للحريق الموشك على الاشتعال.

ان حزبنا انطلاقاً من شعوره بالمسؤولية ازاء مصير الوطن والأمة العربية ، وادانته لأي حل يعرض شعبنا للخطر ، ويضع وطننا في مهب رياح اطماع الطامعين ، يدعو حلفاءه ، وقوى المعارضة كلهاءإلى اليقظة ازاء هذه المخاطر ، والعمل معاً بمسؤولية وسرعة للاسهام في درء الخطر ونزع فتيل الحرب ، ويدعو الامم المتحدة ، وهي تسعى لانقاذ الكويت من براثن الاحتلال ، إلى الأخذ بالحسبان ضرورة العمل على حماية العراق ، كياناً وشعباً ، من أي مساس بسيادته ومصالحه ووحدة اراضيه ، وضمان ردع أية قوة تستهدف استغلال الوضع لتحقيق اطماعها العدوانية.

كمـا يدعو حزبنا الرأي العام العالمي كله ، وهيئاته ومؤسساته ، انطلاقاً من تحول سلوك النـظام وطبيعتـه إلى قضية دولية ، إلى دعم شعبنا وقوى المعارضة لاقامة حكومة ائتلاف وطني ونقل البلاد إلى الوضع الديمقراطي من خلال انتخابات حرة وتأمين صيانة العراق من اطماع الطامعين.

وان حزبنا لعلى قناعة راسخة من ان درء كارثة الحرب ، وحل الأزمة بالطرق السلمية وفقـاً لقرارات مجلس الامن ، وحماية وطننا وشعبنا من الدمار والخراب ، وحفظ طاقاتها البشرية والاقتصادية سيوفر الامكانيات لتعبئة كل الطاقات والقوى لفرض انسحاب القوات

الاجنبية، وخصوصاً الامريكية، من المنطقة، واتاحة الفرصة لحل الخلافات بين العراق والكويت بالطرق السلمية، كما ان هذا يتيح فرصاً أكبر لمواصلة النضال بنجاح لحل القضايا الأخرى في المنطقة، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، واحتلال اسرائيل للاراضي العربية، ولتطبيق قرارات مجلس الامن بشأنها، لأن الحل السلمي لهذه الأزمة الخطيرة سيحرج، أكثر مما هو عليه الأمر الآن، حكام اسرائيل المعتدين، ومن يدعمهم من الدوائر الامبريالية، وسيمكن الشعوب العربية وانظمتها الوطنية المعادية للامبريالية من النضال بفعالية أكبر، ضد السياسة المزدوجة التي تنتهجها الدوائر الامبريالية.

يا ابناء شعبنا المكافح عرباً وكرداً واقليات على اختلاف ميولكم وانتماءاتكم السياسية والدينية والعقائدية، ان الحزب الشيوعي العراقي يدعوكم إلى رص الصفوف وتوحيد القوى لدرء كارثة الحرب، واجبار النظام الدكتاتوري على الانصياع لارادة الحق والانسحاب من الكويت.

ويدعوكم إلى مواصلة النضال من أجل الخلاص من الدكتاتورية ومغامراتها المدمرة وتحقيق الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان.

المكتب السياسي
للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي
١٩٩٠/١٢/٢



ازمة الخليج: الخلفية، الواقع، الافاق

أجرت صحيفة «الخليج» الإماراتية مقابلة مع الرفيق عزيز محمد، السكرتير العام للجنة المركزية لحزبنا، تناول فيها عددا من القضايا ذات العلاقة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، باجتياح الكويت وعواقبه على المنطقة، ولاسيما على العراق. وننشر أدناه نص المقابلة:

● ما هي الجذور الاقتصادية والسياسية لغزو الدكتاتورية في العراق للكويت؟

ان نتائج الحرب العراقية ـ الايرانية كانت كارثة على البلدين، وقد استمرت كما هو معروف ثمان سنوات، وبالتالي فقد كانت نزيفاً لا نظير له على المستوى البشري والاقتصادي وجميع النواحي الأخرى. وبالرغم من توقف الحرب إلا ان تفاعلاتها وآثارها مازالت باقية، وما زالت بصماتها المأساوية الصارخة تطبع مختلف جوانب حياة شعبنا وبلدنا، وهي بحاجة في أحسن الاحوال إلى وقت طويل وموقف واضح لمعالجتها، مع اعتقادنا بعدم قدرة النظام الحالي بسماته وسياسته وتركيبته تجاوز الصعوبات التي أفرزتها الحرب. كما ان تدني اسعار النفط بعد وقف الحرب، وازدياد مديونية العراق التي بلغت حوالي ٨٠ مليار دولار، وتراكم فوائد الديون بشكل هائل حيث يدور الحديث بأن عائدات النفط لربما كانت تكفي فقط لسداد الفوائد، هذا إلى جانب اعباء اعادة البناء ومتطلباتها،

واستمرار النظام في الصرف ببذخ من أجل تطوير الصناعة العسكرية، وما رافق كل ذلك من ظواهر ازدياد نسبة التضخم وتدهور المستوى المعيشي للشعب، مما وضع النظام في مأزق وموقف حرج للغاية سواء على النطاق الداخلي أو الخارجي.

ولا يغيب عن بالنا كذلك الاطماع القديمة تجاه الكويت، بدءاً بفترة العهد الملكي، ومروراً بفترة قاسم، حتى يومنا هذا، ودوافعها السياسية والاقتصادية ومن أجل صيرورة العراق دولة خليجية من خلال الحصول على نافذة مطلة على الخليج.

ان كل هذه العوامل وغيرها نعتقد انها كانت وراء مغامرة نظام صدام حسين باجتياحه الكويت ومن ثم ضمه، اعتقاداً منه، وهو خطأ جسيم، بأنه وعبر هذه العملية يمكن معالجة الجوانب التي المحت اليها، وكذلك لصرف انظار الشعب العراقي عن مشاكله والأزمات الداخلية المستفحلة في البلد.

ان هذه الأمور مجتمعة، كما أرى، تكمن في خلفية الاجتياح العراقي للكويت والذي من شأنه ان يزيد من مشاكل العراق وأزمته الاقتصادية، وعزلته الدولية، وما يترتب على ذلك من تعقيدات ومشاكل جديدة تنذر بمأساة أخرى تلحق بالعراق. وهذه حالة نعيشها الآن، ولكننا لم نصل بعد إلى ذروتها، التي نأمل ان لا نصل اليها.

● **ما رأيك في ان نشوء الدولة الحديثة (المعاصرة) في العراق في السنوات العشرين الأخيرة والتأميم الذي رفد هذه الدولة واجهزتها بالمال الوفير وكل القطاع العام، وكذلك نمو الاجهزة القمعية داخل هذه الدولة والظروف بشكل عام، قد مهدت لنشوء الدكتاتورية الشخصية داخل العراق؟**

نعم أنا متفق في جانب منه على الأقل. فان النظام الحالي في العراق قد جاء فعلاً بطريقة انقلاب تآمري، وبالتالي فانه يتخوف من ان يتعرض للسقوط بنفس الطريقة. ومن هنا اهتمامه الشديد، بل والأساسي، باجهزة القمع والمخابرات والأمن، ومؤسسات الاعلام والدعاية، لغرض احكام قبضته على مقاليد الحكم وتوجيه الجماهير وفق تصوراته ومعتقداته. ان هذه النزعة هي مستمدة من طبيعة الحزب الحاكم نفسه وتشكيلته التي انعكست على طبيعة النظام.

ولا شك إن تدفق الاموال الهائلة التي هطلت على العراق بسبب ارتفاع أسعار النفط، وكذلك استحواذ النظام على القطاع العام بالكامل، ان كل ذلك قد وضع تحت تصرف النظام الاموال الطائلة، التي لم تتوفر إلا لبلدان قليلة مما مكّنه من الصرف على هذه الاجهزة بدون حسيب أو رقيب، وفي غفلة من الشعب. وهكذا، ومع مرور الوقت، أخذ النظام طابع الدكتاتوري المطلق.

صحيح انه كانت في بداية مجيء النظام للحكم هوامش لتعددية الآراء، وظواهر وجود الاحزاب وبعض الحريات الديمقراطية النسبية، منها حرية الصحافة مثلاً. وكانت مساعي القوى الوطنية الديمقراطية تستهدف توسيع هذه المظاهر وتعميقها، وتحقيق مكاسب اجتماعية اقتصادية للشعب، حتى ان بعض احزابنا، كالحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي واحزاب أخرى، قد دخلت في علاقات تحالفية مع الحزب الحاكم بهذا الهدف، واستطاعت، لبعض الوقت، ان تمارس بعض التأثيرات الايجابية في أوساط غير قليلة من الجماهير، ولكن الاوضاع تدهورت تباعاً، خصوصاً بعد الهجوم على الحركة الكردية بقوة السلاح، ومن ثم ملاحقة الشيوعيين واعدامهم وتخريب الجبهة مع الحزب الشيوعي، ومطاردة جميع القوى الوطنية والتقدمية والدينية والتنكيل بهم والغاء كل مظاهر التعددية السياسية في حياة المجتمع، والسعي لتأطير المجتمع بأفكار الحزب الحاكم. وقد تعدى ذلك إلى تضفية كل الآراء المعارضة أو المغايرة لرأي «القائد»، وبعد ذلك انعكاسه في تصفية العديد من العناصر القيادية في الحزب الحاكم نفسه، كما جرى تعميم سياسة الاعدام والاعتقال والبطش لكل من يختلف مع النظام، بما في ذلك داخل الحزب الحاكم والقوات المسلحة، وهكذا تحول النظام فعلاً إلى دكتاتورية مطلقة.

ومن هنا نرى ان من الأهمية بمكان الاشارة إلى الناحية الديمقراطية في العالم العربي. نحن لسنا متعطشين إلى شيء قدر تعطشنا للديمقراطية، وليس هناك قضية من حيث أهميتها هي بمصاف قضية الديمقراطية بمفهومها الملموس، من حريات وحقوق ومؤسسات دستورية وضمانات قانونية. فلو كان هناك قدراً من هذه الحريات في العراق، لكان من المشكوك جداً ان يحصل ما حصل سواء في الحرب العراقية ـ الايرانية، أو في احتلال الكويت، ذلك لأن هذه القرارات التي اتخذت قد اتخذت في أحسن الاحوال من قبل حلقة ضيقة جداً، هذا اذا لم نقل انها قد اتخذت من قبل شخص واحد هو الدكتاتور نفسه، أي من قبل رأس النظام صدام حسين.

● ماذا فعلت القوى السياسية الوطنية والدينية المختلفة لوضع حد لهذه الدكتاتورية سواء في السابق أو في الوقت الراهن؟

ان معظم القوى، والآن من الممكن القول كلها، وبمستويات متباينة، وبنوع من التوافق أحياناً، وببعض التنسيق أحياناً أخرى، قد دخلت في صراع حاد مع النظام خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة، بدءاً من حرب النظام ضد الشعب الكردي، ومن ثم المعارك التي خاضها ضد القوى الديمقراطية في الداخل، ومن بعدئذ حملة الاضطهاد التي شنها النظام ضد الاوساط الاسلامية الشيعية داخل البلد. وللاسف فان قوىّ المعارضة لم تتمكن في فترات كثيرة، وفي اوقات ملائمة، من ايجاد اللغة المشتركة لكي تتصدى للدكتاتورية

معاً، مما أتاح للنظام ان ينفرد بهذه القوى اليوم، وبأخرى غداً، وبعدئذ بالثالثة وهكذا. . فلو وجدت هذه القوى اللغة المشتركة بينها، ووحدت امكانياتها وقدراتها، لكان بامكانها ان تحتل مواقع متقدمة في النضال، وان تتصدى على نحو أفضل للنظام الدكتاتوري. ومع ذلك فان الاضطهاد والقمع والتنكيل الذي مورس، ويمارس حتى الآن، ضد المعارضة العراقية يجسد مقدار الجهد المبذول من قبل المعارضة ضد النظام، ويؤشر أيضاً إلى حجم المعارضة ونفوذها بين أوساط الشعب.

صحيح ان المعارضة لم تنجح بالاطاحة بالدكتاتورية، ولكنها في الحقيقة استطاعت ان ترفع صوتها إلى العالم، وتسبق العالم بتشخيص طبيعة النظام وجرائمه وسياسته الهوجاء. ولكن، للأسف الكبير، ثمة اوساط غير قليلة، سواء في عالمنا العربي أو على النطاق الدولي، كانت تتجاهل الحقائق التي اوردتها قوى المعارضة العراقية، ربما بسبب من مصالحها الخاصة، أو لأسباب أخرى، وان عدوان العراق على الكويت، وما ينشر الآن من الفظائع والجرائم التي ارتكبت في الكويت، ليس إلا نسخة من بعض الجرائم التي ترتكب داخل العراق. لقد تساءلنا ولا زلنا نسأل بمرارة: بماذا يفسّر السكوت عن ضرب مدينة حلبجه بالسلاح الكيمياوي وابادة سكانها العزلَ، في زمن يعتبر استخدام السلاح الكيمياوي ضد قوة أو جيش أجنبي، أمراً محرماً، فكيف بالنظام الذي يستخدم هذا السلاح الزهيب ضد شعبه؟ ان اصوات الاحتجاج والاستنكار التي ارتفعت آنذاك وخاصة في منطقتنا العربية كانت مع الأسف أصواتاً ضعيفة وواهنة، وفي بعض الأوساط لم ترتفع أصلاً. لكن الحديث الآن يدور عن تهديدات النظام العراقي باستخدام الاسلحة الكيمياوية والجرثومية، وسياسته في تفريغ الكويت من سكانها وتغير الطابع الديموغرافي فيها، وعن ممارساته الوحشية من اعدام واعتقال ونهب وسلب. . . . الخ، وكل ذلك ليس بجديد على شعبنا العراقي المكتوي بجحيم الدكتاتورية، إلا ان الجديد ان النظام لم يكتف بحصر بطشه ودكتاتوريته في داخل البلد، وانما تجاوزها إلى الخارج، إلى مناطق تعتبر في نظر الاوساط الدولية خطوط حمراء لا يجب تجاوزها، وبخاصة بسبب من مصالحها في هذه المناطق.

● **هل كان من الممكن وقف الدكتاتورية في السنوات الأولى؟**

لا استطيع القول ان الدكتاتورية في العراق كانت قدراً منزلاً عليه. لا، لا أومن بذلك. ولكن كون الدكتاتورية قد برزت، بصرف النظر عن طبيعتها، يشير إلى اننا كقوى ديمقراطية عراقية لم ندرك ولم ننتبه، بدرجة كافية، وفي الوقت الملائم والمبكر، إلى هذه الظاهرة، وبالتالي لم نستطع ان نتخذ التدابير والاجراءات اللازمة لمواجهتها. فلو انتبهت

المعارضة العراقية مبكراً إلى أهمية وحيوية تعاونها ووحدتها لكي تسد الطريق بوجه الدكتاتورية، لربما استطاعت ان تعمل شيئاً غير قليل. وأنا أخص بالذكر هنا القوى الوطنية الديمقراطية وحركة التحرر الكردية، فلو واصلت مسيرة الكفاح المشترك والتضامن والتعاون، والتي كان بيان آذار عام ١٩٧٠ ثمرة من ثمراتها، لتحققت خطوات كبيرة في تحسين موازين القوى لصالح الحركة الديمقراطية العراقية، وخاصة حينما كان النظام لا يزال غير ملتصق بالأرض، وكان ما يزال وجوده هشاً في مناطق غير قليلة من العراق، ويفتقد إلى قاعدة اجتماعية.

وإلى جانب ذلك لا يمكن اغفال حقيقة ان اعتماد النظام، وبشكل منهجي، على المال والارهاب والديماغوغيا السياسية والاجتماعية. هذه الأمور مكنته من البقاء في السلطة واحكام قبضته الحديدية على البلد. يضاف إلى ذلك العامل الخارجي. فبصرف النظر عن الدوافع والمنطلقات المتباينة، وبالارتباط أيضاً مع الحرب العراقية - الايرانية، ساهمت، بشكل أو بآخر، قوى خارجية مختلفة في تمكين وتعزيز الدكتاتورية في العراق، سواء سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً.

● **إلى أي مدى حققت المعارضة العراقية نجاحاً مشتركاً في التصدي للدكتاتورية، ومدى قوة هذا التصدي على الأرض العراقية؟**

حتى أكون صريحاً، أقول ان لحمة قوى المعارضة العراقية ليست بالمستوى المطلوب، خصوصاً وان المهمة النضالية العراقية كبيرة، وليس بمقدور أية جهة من هذه الجهات ان تتحملها أو ان تتصدى لها بمفردها. هذا إلى جانب ان هذه القوى هي كلها واقعة تحت طائلة الاضطهاد والارهاب، فبالتالي كان من الضروري جداً ان تلتقي، وفي وقت مبكر، على أرضية نضالية وعلى اهداف محددة مشتركة. نعم، في الآونة الأخيرة، خلال الشهر الماضي حصراً، بذلت جهود غير قليلة في سبيل تحقيق هذا الهدف. لقد جرت لقاءات غير قليلة بين كل الاطراف والاتجاهات متمثلة بالتيار القومي العربي والتيار القومي الكردي والتيار الديمقراطي والتيار الاسلامي الديني. هذه هي المحاور، أو الاتجاهات، الأربعة الأساسية. جرت لقاءات وصلات جيدة، وتمخضت بالنتيجة عن انجاز غير قليل، عن وثيقة جيدة باطارها العام، ولكن مع الأسف لم نستطع حتى الآن ان نعطيها اللمسات الأخيرة، وان نذلل الصعوبات التي بقيت حتى الآن أمام وحدة المعارضة بتياراتها كلها.

● **لماذا؟**

استدرك سلفاً، ان هذه المعارضة حتى لو توحدت كلها الآن وفوراً، ليس بامكانها

ان تكون قوة مؤثرة حاسمة فوراً، لكنها بالقطع تكون هي القوة الواعدة في المستقبل، وذلك لأن ليس هناك بديل حقيقي عن المعارضة العراقية، خصوصاً اذا تناولنا التيارات الأربعة السالفة الذكر. نعم، الوضع صعب الآن، بصرف النظر عن كل شيء، ولم ينشأ في العراق بعد النهوض الذي يساعد على تطوير العملية النضالية، والقدرة على التصدي للدكتاتورية واقتحام قلعتها. لكن هذا الشيء محتمل ووارد تحت تأثير تطورات غير قليلة واحتمالات متوقعة.

المسائل المعلقة، والتي لم نذللها حتى الآن، ليست كبيرة أو معقدة، ربما السبب هو ان قضية التقارب بين التيارات، الأربعة، قضية حديثة، ولربما لم نعتد ان نتعامل بعضنا مع البعض كما يجب، ولا يستبعد ان يكون بعضنا مشدوداً إلى هذه الخلفية أو تلك. ومع ذلك فلقاءاتنا وصلاتنا المشتركة، هي بحد ذاتها تعتبر مكسباً لا تتحدد أهميته بزمنه الحالي فحسب بل بآفاقه المستقبلية المقترنة بتطور العملية الثورية في بلادنا. لقد قيمنا ايجابياً هذه الظاهرة، ونتحدث ونتحاور وننسق، ونحسّن اصغاء بعضنا إلى البعض، إلى وقت قريب كان هذا الشيء غير ممكن. أقول لربما هناك بقايا انشداد معينة، عند هذه القوى أو تلك، إلى طروحاتها وإلى تفكيرها أو إلى أساليبها في العمل، لذلك بقايا من هذه المسائل لم تحسم كلها. إلا ان ذلك لا يجب ان يعرقل، أو يقف عائقاً أمام، نشاطات مشتركة، وتنسيق الجهود والعمل بين قوى المعارضة في مناسبات محددة.

● هل هناك علاقة بين الأزمة الراهنة في العالم الثالث والاشتراكي ووضع الدولة المستبدة في العراق؟

في الحقيقة ان هذا الذي جرى ويجري في العراق هو بالضد تماماً من التطور الشامل الذي اكتسح العالم والتغييرات العميقة التي طرأت على المناخ الدولي خلال السنوات الخمس الأخيرة، وبصرف النظر عن المنطلقات المتباينة في الحديث عن الديمقراطية وحقوق الانسان والتعددية، وعن دولة القانون وعن الشرعية الدولية، والتصدي للدكتاتورية والاستبداد والارهاب بكل أشكالها وأنواعها... الخ. ان كل هذا لا يمكن له إلا ان يعطي دفعة كبيرة للديمقراطية وللحرية في العالم كله.

نعم، ان ذلك لن ينعكس اوتوماتيكياً على هذا البلد أو ذاك، ولكن، في تقديري الشخصي، لا يوجد أي نظام دكتاتوري، في أي مكان من العالم، يمكن ان يكون بمنأى عن رياح التغيير، خصوصاً واننا شهدنا في هذه الفترة أمثلة كثيرة على انهيار العديد من انظمة الحكم منها ما كانت دكتاتورية واستبدادية أو عسكرية وغيرها. لقد لاحظنا على الساحة العربية بوادر ايجابية في عدد من البلدان، انها نسبية، نعم، ولكنها ايجابية. مثلاً

بعض مظاهر الديمقراطية والتعدذية في بعض بلداننا العربية، سواء في شمال افريقيا وحتى في المشرق العربي. حتى صدام حسين نفسه حاول في الماضي القريب ركوب هذه الموجة والحديث، وإن بشكل ديماغوغي، عن الدستور والديمقراطية والتعددية الحزبية، ولكن بالضبط لكي يتجاوزها ويفرغها من محتواها الحقيقي. ان الخطيئة الكبرى للنظام في هذا الخصوص تتجلى في عدم استطاعته ادراك حقيقة التغييرات التي جرت في العالم بعد اجتماع مالطا، الذي سجلت فيه نهاية الحرب الباردة، وبداية الوفاق الدولي، حيث تحققت امكانية فعلية لتعاون الدول الكبرى وتثبيت مباديء جديدة في العلاقات الدولية، أقول لم يستوعب النظام كل هذه التغييرات، وبالتالي لم يستطع ان يتصور انه باجتياحه الكويت سيواجه اجماعاً دولياً ضده، وهو أمر لم يتحقق إلا في الحرب العالمية الثانية. لقد اثبت النظام انه شاذ في الوضع الدولي الراهن شذوذاً تاماً، وبالتالي فليس له مستقبل ولا يمكن ان يعيش. لا أقول هذا بمعنى انه سوف يسقط غداً أو بعد غد، ولكن مثل هذا النظام ليس له مستقبل.

● لو تم الانسحاب العراقي من الكويت بتسوية سلمية، ماذا سيكون مستقبل المعارضة العراقية في رأيك؟

أنا، طبعاً، قبل كل شيء، مع الانسحاب. وقد عبرنا عن رأينا هذا في أكثر من مناسبة، نحن نتمسك بالحل السلمي. وفي رأينا انه الآن، على الأقل في الأفق المنظور، لا نرى هذا الحل السلمي إلا بانسحاب العراق من الكويت، وانسحاب القوات الامريكية والاطلسية من منطقة الخليج. واننا مع الحل السلمي مهما طال الوقت. اننا اذ نصر على ضرورة استثمار كل السبل والمنافذ السياسية والدبلوماسية من قبل كل الجهات الدولية لغرض الانسحاب العراقي من الكويت، فاننا ننطلق أيضاً من تجربة كارثية عاشها شعبنا ثماني سنوات، حيث جرت عليه الحرب ويلات ومصائب لا تزال جراحها دامية. ونحن كطرف وكجزء من الشعب العراقي، لا نريد الحرب لشعبنا، وحتى نحن لسنا مع الحصار الذي يؤذي شعبنا، في قوته، في معيشته، وفي علاجه الطبي.... الخ. ولذا نحن نناشد جميع الذين لديهم لغة مشتركة مع النظام العراقي أن ينصحوه بالخروج من الكويت، اذا كانوا حقاً يريدون مساعدة النظام، لأن الطريق الآخر محفوف بالمخاطر، ولا يعني إلا كارثة أكبر لشعبنا ونتائجه المدمرة ستشمل المنطقة بأسرها، بما في ذلك القضية الفلسطينية.

أقول هذا من جانب، ومن الجانب الآخر فان طريق المعارضة يعتمد على تبلور ونضوج الاوضاع الملائمة للمعارضة في داخل البلد. ومن الضروري، عندما تتكاتف المعارضة وتوحد نفسها، وتعرف ما هي الاساليب النضالية الممكن استخدامها اليوم وغداً، تبعاً لتطور الوضع، ولربما حتى أحياناً باختلاف المناطق، ان لا تتردد ولا تنجم عن اتباع

أي اسلوب من أساليب النضال. ومن هذه الزاوية، نحن نعتقد ان الأفق إلى جانب المعارضة، والمستقبل يعمل لصالحها. ان هذا النظام الدكتاتوري، كما قلت، ليس له مستقبل، ولا يجب ان يبقى هكذا نظام، فهو مخالف لطبيعة الوضع وللتطورات العالمية.

● **ما موقفكم من التدخل الامريكي لصياغة المستقبل السياسي للعراق، اذا حدث ذلك؟**

نحن ضد التدخل العسكري والاطلسي قطعاً، لقد كنا ضد تواجد هذه القوات عندما كان النظام العراقي يريد وجودها، عندما كان يعتبر وجود القوات الاجنبية في الخليج لمصلحته وضد ايران، ولهذا السبب كان يشيد بالقوات الاجنبية ويطلب بقاءها. أما اليوم فيعتبر ان وجودها يدنس العتبات المقدسة. ينتقص من سيادة واستقلال دول المنطقة و... و... الخ. نحن نعتبر هذه الاقوال كلها مزاعم ديماغوجية. فطيلة عقود من الزمن ناضلت احزابنا في سائر أنحاء الوطن العربي ضد الوجود الاستعماري والامبريالي في المنطقة العربية، وعملت الكثير في تعبئة الجماهير والرأي العام بهذا الاتجاه. واليوم الشارع العربي حساس تجاه هذا الوضع، وهو ليس إلا بعض ثمرات نضالنا وعمل احزابنا في المنطقة العربية كلها.

ونرى كذلك أنه لو كان هناك حضور عربي جيد، وقدرة عربية جيدة أيضاً، لأخذت الدول العربية القضية على عاتقها، وبالتالي كان من الممكن الحؤول دون وجود القوات الاجنبية. لكن المؤسف، بالنسبة لنا على الأقل، ان القرار العربي غائب حتى الآن، والامكانيات العربية غير مرئية وغير محسوسة، وحتى الحلول المطروحة غير مفهومة، واصحابها لا يستطيعون حتى الدفاع عنها، هذا فضلاً عن الانقسام الحاصل في العالم العربي.

أما دور امريكا في احداث تغييرات معينة في المنطقة، فبالطبع نحن لا نريد ان تكون لأمريكا بصمات على صياغة الوضع السياسي في المنطقة العربية سواء بالنسبة للعراق أم للكويت، أو في أي مكان آخر، ونرفضها رفضاً باتاً، ونقاومها. لقد أدركنا ان الامريكان، ومنذ زمن بعيد، كانوا يطمحون ويسعون بمختلف السبل لتعزيز تواجدهم في منطقتنا، ووقفنا على مر السنين ضد مشاريعهم ونشاطاتهم. ولكن ألا يجب ان نسأل النظام العراقي لماذا أقدم على ما أقدم عليه ووفر الفرصة والذرائع للاجتياح؟. نعم كان الامريكان يريدون منذ زمن بعيد ان يقوموا بهذا الزحف، ومع ذلك فان أي سياسي كان يجب ان يُسأل عن دوره، ويقدم الحساب إلى أمته على تمكين القوة الاجنبية من التواجد والتهديد بالعدوان.

● **صار التدخل الاجنبي مشروعاً لأنه تحت غطاء دولي وبمشاركة معظم أو كل**

الدول الكبرى، بما فيها الاتحاد السوفييتي. . ؟

مع كل هذا نحن ضد وجودها. ولا ننسى ان هناك قرارات كثيرة اتخذت في مجلس الامن لكننا لم نشهد حماساً لتنفيذها كالذي نشهده اليوم من أجل تنفيذ القرارات الخاصة بقضية الكويت. ورغم ذلك، أؤكد مرة أخرى، باننا لسنا مع وجود القوات الاجنبية في المنطقة، مع كل ما قيل من تبرير بأن وراء هذا التواجد قرارات لمجلس الامن أو انها جاءت بغطاء دولي، أو انها تحظى بتأييد سوفييتي وغيره. . . ان كل ذلك لا يغير من القضية شيئاً. ومع ذلك، وكحقيقة واقعة، ومن الممكن ان يفهمها المرء بكيفية أخرى، فان تمسكنا بالحل السلمي ورؤيتنا لهذا الحل تكمن في المطالبة بخروج العراق من الكويت، وانسحاب القوات الإجنبية من المنطقة. انني، بهذا الخصوص، لا أريد فقط ان أحكم مشاعري، بل أيضاً حقائق الحياة. لأنه بدون خروج العراق، وبصرف النظر عن رغباتنا، وكل نوايانا الطيبة، وعن كل اخلاصنا، فان ذلك لا يحول دون اندلاع الحرب، التي لا نعرف كيف ستكون نتيجتها.

● **قلت سابقاً ان الحرب اذا وقعت فمن الممكن ان تجري عمليات تغيير واسعة في المنطقة، فما هي الخطوط العريضة لهذا التصور؟**

في اعتقادي، ان التغييرات السياسية المحتملة، قد لا تمس العراق أو الكويت فحسب، بل يمكن ان تمس بهذه الدرجة أو تلك، بعض الانظمة التي تعتقد ان هذه القوات قد جاءت لحمايتها. الأسباب كثيرة.

وكسؤال مطروح حالياً: هل من الممكن ان تعود الكويت إلى وضعها سابقاً، وهل ممكن هذا؟ وفي اعتقادي انه ليس صحيحاً ان يكون هكذا. يجب ان تقود هذه التطورات وتدفع إلى تغيرات ايجابية معينة حتى في تفكير الحاكمين. لئن كانت ممارسة الحكم بتغييب صوت الشعب حتى الأمس القريب ممكنة، فانها هذه الطريقة ما عادت ممكنة اليوم. يجب ان يكون هناك حد معين مقبول للعلاقة، للتفاهم، على أرضية ديمقراطية، بين السلطة وبين الشعب. وأنا في اعتقادي ان هذا الأمر ينبغي ان يحدث لا في الكويت فحسب، بل في بلدان أخرى أيضاً.

هذا جانب، أما الجانب الآخر فانني اتساءل: إلى متى تستطيع القوى الأمبريالية ان تحتفظ بوجودها كدركي في هذه المنطقة؟ وهل ستتمكن من الاستمرار في الدفاع عن الانظمة المعادية للديمقراطية، بل المنافية لتطور العصر، في الوقت الذي تتبجح فيه بتمسكها بالديمقراطية وحقوق الانسان، وفي ظل المناخ الدولي الرافض لأنظمة الاستبداد والقمع؟

من المظاهر البارزة والهامة، التي أفرزتها الاحداث الأخيرة، ان صدام حسين لم

يتمكن من كسب أحد من الكويتيين، باحتلال بلدهم. وهذه ظاهرة بارزة، وهي تفسر لصالح الوضع في الكويت، هذا لا يعني ان المعارضة ما كانت تتصدى لنظام الكويت، أو ما كانت تطالب بالحياة الديمقراطية والبرلمانية الطبيعية وبحرية الصحافة. . . ولكن ـ وهي كانت تنهض بهذه المهمات، ما كانت تريد ان تتماثل مع الوضع في العراق. وهذا يقودنا إلى الحقيقة التالية: ان مهمات التغيير داخل أي بلد هي مسؤولية الشعب المعني فيه، فهي شأن داخلي يخص القوى والاحزاب المحلية نفسها. لذا فتصوري، من خلال معاينة الاوضاع بشكل عام، انه يمكن احداث تغييرات غير قليلة، تحت تأثير منطق الاحداث. وكذلك الأوساط الأخرى ما عادت تقبل بذلك، وشعوبنا أيضاً ما عادت تقبل بالاوضاع السابقة.

لقد علمت انه حتى في مؤتمر الكويتيين في الطائف جرى هذا الحديث وبنبرة عالية، أي هناك قبول بأن أمور الحكم في الكويت يجب ان لا تسير كما سارت عليه سابقاً. لكن بطبيعة الحال، عندما يتحدث المدفع فالأمر يختلف، فلا تبقى القضية قضية رغبات وتمنيات.

● **الحرب، إلى أي مدى هي خيار مطروح ومقبول لأزمة الخليج؟**

خيار مقبول؟ لا تسألني، لأنني شخصياً لا أستطيع ان أقبل الحرب. جائز أن أكون في هذا خيالياً، لكنني لا أقبل الحرب. شعبنا لا زال يعيش مآسي ونتائج الحرب. ولكن اذا سألتني، هل هذا خيار متوقع؟ نعم، متوقع. وهل هو الخيار الراجح حتى الآن؟ نعم، هو الخيار الراجح، مع كل الأسف. لماذا؟ لأن النظام العراقي مازال يرفض الانسحاب من الكويت ويتجاهل القرارات الدولية، ولا يستوحي مصلحة العراق والامة العربية.

● **في الأونة الأخيرة علق لطيف نصيف جاسم، وزير الاعلام، وقال ان العراق لن يتراجع عن قراره بضم الكويت. .**

نعم، ولكن أنا لن أبني على قوله كثيراً. وأقول انه في النهاية ان لابد لأحد الطرفين ان يتراجع. كيف يتراجع؟ هل المحفل الدولي كله يتراجع. . ؟ لا اعتقد. ولهذا السبب أكرر، وأعيد القول، بأن حزبنا، يُؤكد على الخيار السلمي، وهو مقرون بالخروج العراقي من الكويت. وإلا فسيكون الطريق مفتوحاً أمام الخيار العسكري. وفي اعتقادي ان هذه ستكون كارثة. فعندما تحدث المواجهة «لن يرش أحدهما الآخر بماء الورد»، بل سوف يستخدم كل امكانياته التدميرية.

● **سوف تدمر انجازات المنطقة. . .**

ليس في ذلك شك، بتقديري، سواء كان هذا الدمار للمؤسسات أو للبشر، ستكون من الحروب الكارثية، وذلك بسبب من حجم ونوعية الاسلحة التي ستستخدم في هذه

الحرب. فالطرف العراقي لديه امكانيات كبيرة، خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار خبرة الجيش العراقي الغنية نتيجة حربه مع ايران، بجاهزيته القتالية وامكانياته التسليحية العالية. والطرف الآخر لديه كل الاسلحة المتطورة التي صنعت خصيصاً لضرب حلف وارسو. وقسم كبير منها الآن هي في مواجهة العراق، ناهيك عن التعداد الكبير لهذه الجيوش المدربة أحسن تدريب، وما تملكه من قدرات وامكانيات دولية ضخمة. فلك أن تتصور أي كارثة ستحدث اذا ما وقعت الحرب. . .

● **ماذا بالنسبة لحالة الجيش العراقي النفسية، خصوصاً عندما يقوم بغزو بلد عربي. .؟**

بالتأكيد يترك ذلك أثره النفسي على الجيش العراقي، ولكن لا ينبغي تجاهل تأثير دعاية النظام وديماغوجيته على أوساط واسعة من شعبنا العراقي، من قبيل ادعائه بأن الكويت جزء من العراق، وانها دولة صغيرة اقتطعت منا، وانه يسعى، أي صدام حسين، إلى استئصال شأفة الفساد والظلم ويعمل من أجل اعادة توزيع الثروات بشكل منصف لصالح الفقراء والكادحين، وانه يحمل لواء الجهاد ضد الامبرياليين والصهاينة. . . الخ، أقول ان هذه الدعاية ربما بعثت الحماس في أوساط معينة من الجيش العراقي. أقول ذلك لكي ينظر المرء بواقعية إلى هذه المسألة. أما بعد ذلك، ما هي النتيجة المغامرة؟ وماذا سيكون تأثيرها؟ أنا واثق بأن تأثيرها سيكون شيئاً آخر. وهنا أود ان أطرح سؤالاً، قد يرد في بالنا دائماً: هل يمكن تحقيق الوحدة العربية عن طريق العسكر والدبابات؟ هل هذا هو طريق الوحدة العربية أم طريق وأد الوحدة العربية؟ أليس هو تخريباً للوحدة العربية وتبشيعاً لها؟ فاذا كانت كل دولة صغيرة تجد في جوارها قوة كبيرة، تسمح لنفسها وبأسم الوحدة العربية ان تقتحمها، فكيف يمكن ان تكون حالة الوحدة العربية؟ كيف يمكن ان تقيم وحدة عربية ـ بصرف النظر عن حجم هذا الشعب ـ من دون ان يتعاون معك أحد من هذا الشعب كما هو الحال في الكويت؟ كيف تكون هذه الوحدة؟ فهل نحن في زمن الوحدة البسماركية؟ أقول ان هذه المسائل قد تترك آثاراً معينة، وحماسة معينة، في قطاعات غير قليلة، ولكن، وفي اعتقادي، ان الانسان عندما يصطدم بالواقع ويدرك ان هذا هو ليس الطريق الذي يريده، وليس هو النهج السوي والسليم، عندما يصطدم بواقع مر، فلابد ان يعيد النظر في تصوراته وحساباته، بعد ان يكون قد دفع ثمناً غالياً جراء غفلته.

ولماذا نتكلم عن الساحة العراقية فقط، التي هي تحت التأثير المباشر للاعلام العراقي ولديماغوجيته، لماذا لا نتحدث عن الشارع العربي؟ وعن هذا الطريق يمكن تحريك قضية أخرى، مثلاً، كالقضية الفلسطينية التي تعرضت إلى المحاربة والاهمال من قبل الامبريالية والصهاينة لأكثر من اربعين سنة، وكذلك باسم الوقوف بوجه الاجنبي

وامريكا بخاصة.

● حدث للمستويات المتخلفة من الشارع العربي في الحرب العالمية الثانية ان أعلنوا تأييدهم بشكل ساذج لهتلر، لأنه فقط عدوٌ لأنظمتـ «هم»؟

متخلفة، بأي معنى، ثمة أوساط واسعة واعية ومسيَّسة جيداً، وتسعى لهندسة العالم العربي كله، وليس لمنطقتها أو بلدها، هذه الاوساط نجدها الآن منجرفة إلى تأييد صدام، وهي تفتقد المنطق والرؤية الشمولية في تحليل الحدث، ولكن لأسباب تتعلق بظروفها وأوضاعها، تقول: اننا بهذا الخندق مع صدام، نحن في الخندق الذي هو ضد امريكا.. فاذن المسألة ليست مسألة التخلف، طبعاً التخلف له تأثير. البعد عن فهم معادلات الوضع الدولي له تأثيره كذلك، رغم ان نسبة عالية من هذه الأوساط قد ولدت وترعرعت في حضان السياسة، والآن...

● ربما هذه انتهازية هنا..؟

لكي نكـون منصفين، فانـه من الصعب تفسير التـأثيرات التي تغـطي الشـارع بالانتهازية وخاصة حينما تتعلق المسألة بسواد الناس، فاذن لابد ان نتحرى عن أسباب أخرى، ربما انطلت بهذه الدرجة أو تلك على هذه الاوساط، والمحت، كما اعتقد، إلى بعضها، أو بسبب الكبت والحرمان عن الحريات الذي تعيشه الجماهير العربية عامة.

● ما اثر الأزمة مستقبلياً على وضع العراق والمنطقة؟ هل ترون احتمالات في حدوث تطور ديمقـراطي للعراق، أو تحطيم العراق عسكرياً، أو تغيير الحدود السياسية للعراق، أو سيطرة امريكية...؟

لعلي المحت إلى هذا الأمر بشكل ما في سؤال سابق. أنا اعتقد ان مستقبل العراق وخياره هو خيار ديمقـراطي، ولا يوجد خيار آخر. هذا هو مستقبل العراق ومستقبل دول المنطقة كلها. هذا هو تقديري، وأنا مؤمن به، انْ احدى المسائل البارزة في عالمنا العربي هي النضال في سبيل الديمقراطية، في سبيل الحريات، كل الحريات. وهذه هي الأمور التي تفتح طرق التقارب والتحالفات داخل الوضع العربي. وترسي الأسس المتينة للوحدة العربية. لا يوجد طريق آخر، ولكن هذا لا يحصل بشكل اوتوماتيكي. انها قضية نضالية. وهذا النضال يأخذ مداه وابعاده كلما توفرت الحريات الديمقراطية أكثر.

آمل ان لا يكون هناك خطر جدي على وحدة العراق من الناحية الجغرافية. نعم، هناك اطماع لدى بعض الاطراف المجاورة للعراق. يفكرون بحصاد حصتهم من الأزمة، من خلال اقتطاع اجزاء من العراق أو تركيع الشعب العراقي. نحن وكل المعارضة العراقية نقف بحزم بوجه أي محاولة من هذا القبيل، ونعبر عن الثقة بأن شيئاً كهذا لن يحصل مادام الشعب العراقي يقف له بالمرصاد.



لقاء مع سامي عبد الرحمن :

علينا ان نعي التغيرات الزلزالية في الوضع الدولي

تواصل (الثقافة الجديدة) هنا لقاءاتها مع قادة المعارضة العراقية. ففي اعدادها السابقة التقت مع الاستاذين جلال الطالباني ومبدر ألويس، وفي هذا العدد نلتقي مع الاستاذ سامي عبد الرحمن، الأمين العام لحزب الشعب الديمقراطي الكردستاني.

وقد تركز حوارنا على المعطيات المستجدة منذ أزمة الخليج، الوضع الدولي، الوضع العربي، وضع العراق، وبالتحديد جزئه النازف كردستان.

● في الفترة الاخيرة شهد المنفى عدداً من النشاطات الكردية، كونفرنسات وزيارات وكثافة وجود خاصة في البلدان الاسكندنافية.. هل لك ان تعطينا فكرة عن مدى تأثير ذلك على الرأي العام الدولي؟

- حتى تنتصر قضية معقدة كالقضية الكردية لابد ان يكون هناك نضال في الداخل ودعم دولي في الخارج. القضية الكردية قدمت تضحيات جسيمة وهذه التضحيات أقل ما يمكن القول عنها، انها لم تتحول إلى تقدم سياسي ملموس، لأسباب على رأسها الضعف الشديد في الدعم الدولي والدعم الخارجي عموماً. هناك جاليات كردية في مختلف البلدان الاوربية والامريكية، وهي مراكز صنع القرار العالمي، نشاط هذه الجاليات يتيح

التعريف أكثر بالقضية الكردية وخلق مجموعات مؤيدة للقضية الكردية. نستطيع ان نقول الآن في العديد من هذه البلدان تكونت نواتات للوبي كردي، أحدها ذو دور ملموس في فرنسا، وآخر ذو شأن في السويد على سبيل المثال. وتقوم هذه النواتات بتوفير الدعم بشكل متنامي للقضية الكردية. وبفضل هذا الدعم الدولي تنامى الاستنكار العالمي الشديد للمذابح الجماعية التي شنها نظام صدام ضد الشعب الكردي في حلبجة، في كرميان وبهدينان وباليسان وغيرها. وقد شهدت اوربا في الفترة الأخيرة سلسلة من الكونفرنسات ابتداءً من كونفرانس باريس في تشرين الأول من العام الماضي ثم موسكو، والآن نحن على أبواب كونفرانس في ستكهولم. وهناك نيّة لأن تقوم لجنة حقوق الانسان في الكونجرس الامريكي بترتيب كونفرنس عن القضية الكردية في المستقبل القريب. لاحظ: باريس، موسكو، واشنطن ثلاث عواصم عالمية مهمة جداً في صنع القرار السياسي، وفي ستكهولم أيضاً كعاصمة محايدة ومعروفة بحمايتها لحقوق الانسان والدفاع عن القضايا العادلة. اضافة لنشاط وجولات القادة الاكراد في هذه البلدان، كل هذه النشاطات خلقت جواً دولياً مسانداً للقضية. رسالة هذه الانشطة والكونفرنسات إلى الحكام الذين يضطهدون الشعب الكردي أفهمتهم انه ليس بوسعهم شن المذابح الجماعية على الشعب الكردي ويسكت عنهم العالم.

من جانب آخر هناك دعم في أوساط الرأي العام والاوساط الاجتماعية، وإلى حد ما الاوساط الحكومية والبرلمانية، لحق الشعب الكردي في السير نحو حق تقرير المصير، إن لم يكن اليوم ففي المستقبل. وتفهّم الرأي العام والاوساط التي ذكرتها للقضية الكردية لا يقارن بالماضي أبداً. وخلال الفترة الممتدة من بداية نيسان حيث بدأت جولتي الاخيرة في اوربا لاحظت انه نادراً ما يمر يوم دون ان ترى خبراً عن القضية الكردية أو الاكراد في الاعلام العالمي.

● خلال جولتك وخلال هذه الكونفرنسات، كنتم تلتقون بالنخبة من المثقفين الاكراد، بودنا ان نسألك حول تأثير المنفى الاوربي على الكوادر السياسية الكردية؟

- نتيجة للاحتكاك والعيش في وسط حضاري متقدم تتكون كوادر من مستويات متباينة تستطيع العمل في الساحة السياسية والدبلوماسية. ثم ان اصدقاء الشعب الكردي في كل مناسبة يلحون على ان تتوحد القوى الكردية. وكلما كنا موحدين أكثر كلما كان استعدادهم أكثر للعمل معنا، وكلما كنا متفرقين كان استعدادهم أقل.

فالمطروح والمطلوب الآن اقامة منظمة مظلة تجتمع تحتها كافة القوى والاحزاب والشخصيات الكردية بأي صيغة كانت بحيث يكون هناك صوت موحد للحركة التحررية

الكردية في تقديري إنها تأتي على رأس مهامنا في هذه المرحلة.

● **حبذا لو تعطينا فكرة عن لقاء باريس.**

ـ أهمية لقاء باريس تأتي من أنه لأول مرة جرى استقبال وفد كردي استقبالاً رسمياً في وزارة الخارجية الفرنسية. استقبلنا المستشار الدبلوماسي للرئيس الفرنسي في قصر الاليزيه أي قصر رئاسة الجمهورية وأقام لنا الدكتور كوشنر وزير العمل الانساني مأدبة غداء. وكنا من الناحية المعنوية ضيوف مدام ميتران التي تقود مؤسسة فرانسا للحريات، وعقدنا مؤتمراً صحفياً حضرته (٦٧) صحيفة ومحطة تلفزيون واذاعة، وفي المؤتمر الصحفي وقفت السيدة ميتران وسطنا نحن الاربعة وتحدثت بصورة خاصة عن الاطفال الاكراد والذين يشغلون بالها بعدما شاهدتهم في المخيمات بتركيا.

● **خلال هذه الزيارة قد تم لوزارة الخارجية مقترحاً بادراج قضية الاكراد في مؤتمر دولي للشرق الاوسط. علام اعتمدتم في طرح هذا المقترح؟ وكيف كان صداه؟**

ـ لا يستطيع أحد القول ان القضية الكردية ليست مشكلة كبيرة في الشرق الاوسط، وعندما يعقد مؤتمر دولي لبحث مشاكل الشرق الاوسط فلابد من ان يكون للقضية الكردية موقعها. لم نكن نتوقع جواباً مباشراً على اقتراح من هذا النوع. لقد سمع الفرنسيون اقتراحنا باهتمام. ولكن لم نتوقع تلقي جواب سريع. بالمناسبة لقد طرح رئيس الوزراء الايطالي جوليو اندريوتي وهو رئيس الجماعة الاوربية في هذه الدورة، ان يفتش عن حل سياسي وسلمي للقضية الكردية ضمن إطار حل مشاكل منطقة الشرق الاوسط، وقد جاء تصريحه هذا بعيد زيارتنا لباريس.

● **خلال هذه الجولات في بلدان عديدة ولقاءاتكم مع شخصيات سياسية، كما ذكرتم، تُرى كيف يفكر الغرب بحل أزمة الخليج، وهل يرّجح الغرب الضربة العسكرية لصدام أم الحل السياسي، ومن يفكر بهذه الطريقة ومن يفكر بتلك؟**

ـ أولاً هناك الآن تفكير دولي واحد ولو أن فيه تلاوين كثيرة، ولم نعد نرى حول قضية مثل قضية الخليج، تفكيرين متعارضين. ويلاحظ هذا من قرارات مجلس الامن الذي أصدر تسعة قرارات، كلها تقريباً بالاجماع وخاصة الدول الخمسة الكبرى. الحقيقة هناك الآن مجتمع دولي، ويتوضح هذا بشكل أفضل في الامم المتحدة، في مجلس الامن الذي تجتمع فيه الارادة الدولية. هناك اصرار واجماع على ان لا يكافأ المعتدي وان على صدام ان ينسحب من الكويت دون قيد أو شرط. وبدون شك اعتقد اننا كعراقيين نرغب ونتمنى، وأكثر الناس في العالم أيضاً يتمنون، ان تُحل هذه القضية سلمياً على أساس الانسحاب العراقي من الكويت ـ ولكن كما تسمعون ليس فقط في اللقاءات، إنما أيضاً من التصريحات فان الخيار العسكري ايضاً قائم ـ لكن اذا انسحبت القوات العراقية من

الكويت، ففي تقديري لا يبقى أي مبرر لأي خيار عسكري ولتواجد القوات الاجنبية في المنطقة لأن القوات أتت للمنطقة نتيجة للغزو العراقي.

● قبل أيام نشر لقاء للسفيرة الامريكية مع صدام، أيضاً تسربت أخبار أخرى تعطي كلهـا الانـطباع ان الامـريكـان كانوا على علم كامل بالغزو، أي انهم شجعوا الطرفين. فبلقاء السفيرة مع صدام قالت انهم مع الحق العراقي في قضايا النفط، ولن يتدخلوا في النزاعات العربية العربية.

لم يكن هناك موقف امريكي حازم يحدد صدام مسبقاً ،احسُّ أنه كان يوجد سيناريو امريكي.

- توجد عدة عناصر في قضية تدور حول صدام وتصرفاته. فخلال ستة أشهر قبل الغزو كان يقـول ان هناك محاولة امريكية لازاحته. كان يُعلن بأنه مقتنع بهذا، ولا أعتقد ان هذه القنـاعـات كانت اعتبـاطية. قبل غزو الكويت ولاسيما بعده لم يستوعب صدام الوضع الدولي الجديد بصورة كاملة، ولم يستوعب وضع ما بعد الحرب الباردة وما يترتب عليه من تغيرات في العالم.

لم يعد لدى الدول الكبرى الرغبة في التمسك الشديد بالدكتاتوريات حتى تقوّي نفوذها، هذا أحد العناصر الجديدة. يسأل الناس لماذا غزا صدام الكويت؟ لو كان صدام مطمئن على مستقبله لما غزا الكويت. كانت الخزينة فارغة، كنا في اوربا وكنا نطالب من الحكومات ان لا تعطي القروض لصدام، إلا اذا عولجت القضية الكردية وحقوق الانسان في العراق. فكانوا يبتسمون في وجوهنا. آخر رحلة في أكثر من وزارة خارجية قالوا لنا، لن نعطي قروضاً بعد الآن. وقال أكثر من واحد منهم لأن صدام لا يسدد ديوننا. أي انه كان في وضـع مالي سيء جعـل الدول لا تعطيه قروضاً جديدة لأنه لا يسدد. وكان «القائد الضرورة» قد سمى نفسه بطل الانتصار والسلام قبل غزو الكويت لكنه اضطر للتسليم بكل المطالب الايرانية بما فيها الاستعداد لدفع (١٥٠) الف برميل نفط يومياً للتعويضات. فأين الانتصار؟ وأين السلام مع غزو الكويت؟

● برأيك ان صدام لم يستوعب الوضع الدولي أم لم يقبل هذا الوضع؟

- لم يقبل ولم يستوعب، الشيء الذي يخصه لم يقبله، لديه احساس بان التغير الجديد سيكون على حسابه لأنه غير ملائم لتصرفه بالداخل وبالمنطقة، فهو غير ملائم للوضع الدولي الجديد، انه نشاز بمعنى الكلمة.

● ولكن الغزل الامريكي الذي سبق احداث الكويت ألا يدل على شيء آخر؟

- كانت تصرفات الدبلوماسين والشخصيات الامريكية تدل على سياسة المهادنة، بما في ذلـك مقـابلة السفيرة الامـريكية ابريل كلاسبي مع صدام، وتصريح كيلي مساعد وزير

الخارجية لشؤون الشرق الاوسط أمام الكونغرس، وتصريح (وول) زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ، بعد زيارته لبغداد. كلها يُشم منها رائحة المهادنة وحتى الكونغرس أراد مرتين ان يعـاقب صدام على خرق حقوق الانسان وذبح الاكراد ولكن الادارة الامريكية كانت ترفض ذلك، اذاً كان يوجد جو من المهادنة. صدام في مقابلته مع كلاسبي فعلاً يقول ما معناه بأنه سيغزو الكويت. وبدون شك كانت المعلومات حول التحشيدات الكبيرة على حدود الكويت، موجودة على طاولة بوش وطـاولة غورباتشوف وطاولة تاتشر وغيرهم. لا شك في هذا. لكن لا أحد اعطاه انذاراً شديداً ولا حتى تحذيراً، بالعكس كاسبي تقول: لا تتدخل في النزاعات العربية العربية. ولهذا ترى بعض الاوساط، ان كان هناك سيناريو لاستدراج صدام إلى الفخ. أما بالنسبة للكويتيين انهم على حد قولهم اعطوا لصدام (١٩) مليار دولار خلال حرب الخليج، ويقولون ان هناك خدمات بستة مليارات، لكنه طلب الحقل النفطي والجزيرتين بلغة المستبد.

● نلاحظ ان هناك اصراراً لدى مختلف اطراف المعارضة العراقية على جدولة الحـل، بوضـع الانسحـاب العراقي من الكويت قبل الانسحاب الامريكي من المنطقة. لكن هل هناك ضمانات لانسحاب الامريكان بعد انسحاب قوات صدام؟

ـ هنـاك الآن أزمـة في الخليج، هناك أسباب وهناك نتائج، وفي أي قضية من القضايا الاساسية والاجتماعية وحتى الطبيعية، لا يمكن ان تعالج النتائج فقط وانما يجب معالجة جذور الأزمة. بدأت الأزمة بغزو الكويت، إذا انتهى غزو الكويت وانسحبت القوات العراقية لا يبقى أي مبرر لبقاء القوات الاجنبية.

اذا تلكأت القوات الاجنبية في الخروج من المنطقة أعتقد انه سيكون هناك ضغط عربي واسلامي، ودولي. ان الكثيرين من الناس سوف يساندون العرب في ان لا تبقى القوات الاجنبية في بلادهم.

● كيف تفسـر ان قسمـاً غير قليل من الرأي العام العربي متعاطف مع صدام، وخاصة في الاوساط الفلسطينية؟

ـ يجب طرح هذا السؤال على ممثلي الرأي. لكن أقول نقطة واحدة، وهي انه قبل غزو الكويت كان مشروع منظمة التحرير في السير نحو الحل بالطرق السلمية قد وصل إلى طريق مسدودة، وبصورة أساسية بسبب التعنت الاسرائيلي ويرافق ذلك عدم وجود ضغط امـريكي على اسرائيل بما فيه الكفاية، في إطار المساعي السلمية بُذلت جهود كبيرة، وقدمت طروحات كثيرة، لكنها وصلت إلى طريق مسدودة كلياً. يجب ان لا ننسى هذا. ربما ليس هذا هو التأثير الوحيد. لكن لو كانت القضية الفلسطينية قد سارت نحو حلول

على أساس مؤتمر دولي وحق تقرير المصير وتشكيل الدولة الفلسطينية، ربما رأينا الرأي العام بشكل آخر غير هذا الذي تسأل عنه.

● كيف تقيّم تأثير أزمة الخليج على القضية الفلسطينية . ؟

ـ إلى الآن تأثير أزمة الخليج سلبي على القضية الفلسطينية بتقديري . أولاً ، الانتفاضة الباسلة صارت ثانوية من الناحية الاعلامية ومن حيث الرأي العالمي. هجرة اليهود السوفييت إلى اسرائيل تكثفت خلال هذه الفترة دون ان يستنكرها الكثيرون بمن فيهم الكثيرون من العرب المشغولين بالأزمة. أنا برأيي، التعاطف مع القضية الفلسطينية في اوربا وأمريكا ربما قد غطت عليه الاحداث أو أكثر من ذلك. كان الخليج المصدر المالي رقم واحد للثورة الفلسطينية. يقال ان هذا المصدر لم يبق على حاله، هذه النواحي كلها سلبية على القضية الفلسطينية.

هل ان أزمة الخليج سوف تسهل عقد مؤتمر دولي حول قضية فلسطين؟

هذا بكف القدر، برأيي، إلا أنه أظهرت أزمة الخليج كم قلقة وكم خطرة الاوضاع في منطقتنا وكم ضرورية حل مشاكلها وفي مقدمتها قضية الشعب الفلسطيني وكذلك قضية الشعب الكردي وهما شعبان شقيقان.

● ما هو، حسب معلوماتكم، الموقف الشعبي العراقي من ضم الكويت؟

ـ أولاً نتيجة الأزمة فان شعبنا هو الذي يجوع الآن، ثانياً ابناء شعبنا الآن مجندون في الكويت ويواجهون الجيوش الاجنبية. واذا بدأت الحرب فان ابناء شعبنا عرباً وكرداً واقليات سوف يذبحون. أضف إلى ذلك صورة الحكام تنعكس على صورة البلد أمام الرأي العام العربي. وعملية غزو الكويت خلقت صورة سوداء عن العراق إلى حدٍ ما وليس فقط عن النظام العراقي، ثم ان المعارضة العراقية مع الشعب العراقي هي المكتوية بالدكتاتورية الصدامية أكثر من أي جهة أخرى بالعالم. وهي تعرف طبيعة هذا النظام الفاشي وويلاته على الشعب العراقي نتيجة ثلاث حروب شنها خلال عشر سنوات: حرب على الشعب الكردي، حرب على ايران، وحرب على الشعب الكويتي. بالنسبة إلى الشعب العراقي، اذن، إلى الآن كلها خسارة. ويهمنا كثيراً ان تنتهي هذه الأزمة سلمياً ونريد عودة الجنود العراقيين إلى بيوتهم في العراق. ومن حقنا كمعارضة عراقية ان نكون قلقين ومهمومين على مصير شعبنا وعلى مصير ابناء الجيش العراقي ايضاً.

● في أدبيات المعارضة تأكيدات في الوقت الحاضر على ان العالم لم يكن يسمع تحذيراتها من صدام حسين، هل حدث الآن تغير؟

ـ قبل أزمة الخليج كان من الصعب ان نجد أناساً مهمين يستمعون إلى وجهة نظر المعارضة العراقية. بعد أزمة الخليج تجدهم يتراكضون للالتقاء بالمعارضة العراقية، ولسماع

معلومات وآراء وأصوات قادتها. وما نشر منذ أزمة الخليج إلى الآن عن دكتاتورية وفاشية صدام في الاعلام العالمي يكاد يساوي ما نُشر عنه طيلة العشرين سنة الماضية. ونُشرت أشياء كثيرة ربما كنا نعرف تفاصيلها في إطارها العام. فكل ما قالته المعارضة عن النظام نشر في العالم الآن بصورة مكبرة وواضحة. وفتحت على الأقل على النطاق الأعلامي ابواب كثيرة أمام المعارضة العراقية، والحركة الكردية بشكل خاص. بعد غزو الكويت عرض فلم حلبجة لأول مرة في كافة التلفزيونات الرسمية في الخليج وفي مصر وفي غيرها من البلدان العربية والاسلامية وقد بيعت آلاف النسخ منه في هذه البلدان.

● **مادام رصيد المعارضة العراقية الدولي قد ارتفع بعد الاحداث، ما هي برأيك مسؤولياتها تجاه هذا الوضع الجديد؟**

ـ مهمات المعارضة العراقية، أولاً، ان تدرك مستوى المسؤولية التي عليها. شخصية عربية غير عراقية قال: ان شرف الامة العربية تستطيع ان تنقذه المعارضة العراقية الآن إن استطاعت بالتعاون مع القوى في الداخل وفي الجيش، ان تغير النظام في العراق. وهذا صحيح برأيي فمهامها جسام الآن ـ أول شيء، ينبغي ان توحد صفوفها ـ فأي معارضة غير موحدة لا أحد يأخذها محمل الجد ـ والمعارضة التي لا ترى في نفسها الحكومة البديلة ولا ينظر اليها الشعب كحكومة بديلة، ولا تنظر اليها الدول كحكومة بديلة هي ليست معارضة جادة. فاولاً ينبغي التوحيد، ثانياً ينبغي التأكيد على مسألة الديمقراطية وتداول السلطة ودولة القانون والحريات العامة والانتخابات وحماية حقوق الانسان. ومن حسن الحظ ان كافة اطراف المعارضة العراقية مقتنعة بهذه المسألة، لأنه في المداولات التي تمت حتى الآن فان نقاط البرنامج، التي قبلتها كافة الاطراف، تتضمن جميع هذه المسائل وبصورة واضحة. ولم يجر حولها جدل تقريباً.

ثانياً. ينبغي علينا كمعارضة عراقية ان نفهم روح العصر، ان نفهم مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة، مرحلة الديمقراطية، مرحلة الاعتدال، مرحلة «عش ودع الآخرين يعيشون» مرحلة حل المشكلات عن طريق التفاوض والحوار واشراك كافة الأطراف، مرحلة انتهاء الانقسام إلى معسكر شرقي ومعكسر غربي، تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية لم تكن بالحسبان، المجتمع الدولي اصبح الآن مجتمعاً واحداً. وهذه ناحية في غاية الأهمية لأنها تؤثر على كل حركة سياسية وحتى فكرية. باختصار حدثت تغييرات زلزالية في الوضع الدولي والذي لا يدرك هذه المسألة إلا بشكل ضبابي أو نصفي ويعيش في الماضي يقضي على مستقبله أو بالاحرى لا مستقبل له.

● **ألم تتقلص كثيراً قدرة المعارضة في التأثير على الشارع العراقي، خاصة بعد ازاحتها من كردستان؟**

ـ حتى وان أخذنا بنظر الاعتبار فاجعة كردستان فان وزن المعارضة في الداخل مازال مؤثراً. ورغم هول الفاجعة في كردستان، وأعني بعد استخدام الاسلحة الكيمياوية وأكثر الاسلحة تدميراً لازاحة وجودنا المسلح هناك، وأفراغ المنطقة من سكانها، فان النظام اخفق في تحويل المجزرة إلى نكسة سياسية وانهيار عام. فقيادات المعارضة، وخاصة الكردية، قررت بالاجماع مواصلة النضال وعدم الاستسلام للنكسة. ولكن قادة المعارضة لا يمكن ان يعيشوا في الداخل الآن. العالم كله يدرك هذا ويعرف جيداً انه ليس فقط قادة المعارضة العراقية، أي عنصر معارض لا يستطيع ان يعيش بشكل طبيعي في العراق لأن مصيره القتل والذبح. أنت بصفتك كنت صحفياً نصيراً تعرف جيداً لماذا قيادات المعارضة خارج العراق أو على حدود العراق. ثانياً: هناك فعلاً خوف شديد جداً في العراق، قصص لا تنتهي عن جمهورية الخوف التي أقامها صدام خوف اضافي من احتمالات الحرب.. لكن في نفس الوقت بسبب الازمات المتواصلة التي يخلقها صدام حيث انه جر البلد ونظامه من أزمة إلى أزمة. ويحدث عدم استقرار وفي حالات عدم الاستقرار دائماً هناك اسئلة كثيرة تطرح عن صواب هذه السياسات التي يقودها الطاغية ونتائجها. لابد ان هذا السؤال الكبير يُسأل في الاوساط العراقية بما فيها الاوساط الحاكمة، والاوساط العسكرية. واعتقد انه لا يوجد هناك شك ان قوى المعارضة كلها لها جذور داخل البلد. صدام يخاف من هذه المعارضة، لو أتيح لها مجال كما أتيح في الجزائر مثلاً، لأخذت شكل قوة عارمة خلال فترة وجيزة. ربما كان هذا السبب في عدم تطبيق صدام بعض وعوده بالديمقراطية والحرية. ذهبت وعوده مع الرياح وحل محلها غزو الكويت، المعارضة بقدر ما تكون موحدة تكون قوة عارمة.

● نريد ان تخبر قراء الثقافة الجديدة بالضبط ما هو وضع كردستان الآن، يعني كيف ترسم صورة الوضع؟

ـ قبل كل شيء، تعرفون ان النظام دمر أكثر من أربعة آلاف قرية ومدينة وذبح عشرات الالوف، واعتقل اعداداً هائلة ولا يزال خمسون ألفاً منهم مصيرهم مجهول، وأشياء أخرى كثيرة. ولكنه فشل في أمرين هامين، فلم يستطيع ان يكسر ارادة النضال الكردية. ولم يكسب قلوب الشعب الكردي. وتعرفون ما يزال يوجد بيشمركه. ويمكن في فرصة مناسبة ان تصبح الاعداد الصغيرة كبيرة. اضافة إلى ذلك هناك الدعم الدبلوماسي للحركة الكردية بشكل لم يسبق له مثيل (ولو انه لا يزال غير كاف). وهناك أكثر من (٤٠٠) الف مهجر ومهاجر يعيش معظمهم في معسكرات اللجوء في ايران وتركيا وباكستان اضافة إلى الذين وصلوا إلى اوربا وامريكا وحتى الصين. أما الحياة في المجمعات القسرية داخل العراق فانها في الحقيقة شبيهة بالعيش في معسكرات الاعتقال حيث لا عمل ولا انتاج مع رقابة أمنية شديدة، وكثيراً ما يجبر الرجال منهم على حمل السلاح في مغامرات النظام العدوانية

ولذلك تجد اليوم اعداداً كبيرة من الكرد في الكويت.

● نريد ان نسألك عن وجود المعارضة حالياً لتوحيد صفوفها أو لتقاربها، هذه الجهود أين تسير؟ وأين تصطدم بالمعوقات؟

ـ باختصار كما تعرف هناك مداولات وحوارات. أنا أعتقد ان الناس، الجماهير العراقية لها الحق ان تلوم المعارضة العراقية لأنها لم تستطع خلال عشر سنوات ان توحد صفوفها، ومنذ مدة هناك التقاء واسع وجذري حول المسائل الاساسية، مسألة اسقاط النظام، مسألة اطلاق الحريات العامة، مسألة الانتخابات وتداول السلطة، حقوق الانسان،الحقوق الكردية المشروعة، مسألة التضامن والوحدة العربية، القضية الفلسطينية، التضامن الاسلامي، كل هذه المسائل من خلال هذه المداولات تم الاتفاق عليها بسرعة. وأنا أعتقد ان هذا هو العامل الاساسي. وأرى ان الخلاف يحلق ويدور حول الخطاب السياسي، حول المفردات وحول المصطلحات. وبصراحة لا يجوز، كاطراف معارضة، ان نقف عندها كثيراً. وأنا اعتقد انه ينبغي التخلص من هذه العقد. نريد عملية جبهوية؟ واضح اننا لسنا حزباً واحداً فما نتفق عليه هو القواسم المشتركة لكافة الاطراف. ينبغي، عندما تطرح أية صيغة، ان تضمن المصالح المشروعة لكل الاطراف. لم يحقق أي طرف أو اتجاه أو حزب لوحده شيئاً جدياً. وظهرت محاور كثيرة أيضاً لم تستطع ان تحقق الكثير أيضاً. ولهذا مطلوب فعلاً تجميع شامل لقوى المعارضة. واذا لم يحدث توقف حول المسائل الثانوية في تقديري ممكن ومطلوب جداً ان توحد المعارضة صفوفها علماً ان أمامها الآن فرصة تاريخية. وسيكون ذلك لصالح شعبنا العراقي، وستكون المكاسب لكافة الاطراف وأما اذا لم تنجح في توحيد صفوفها فأنا أعتقد سيُصاب الناس بخيبة أمل شديدة من جراء ذلك.

● هل أنت متفائل من تحقيق هذه الوحدة؟

ـ أنا متعامل مع القضية، في الحقيقة منغمس فيها، وفي مرات سابقة، اعترف بأني قلت: اني متفائل ولكننا لم نتوصل إلى وحدة المعارضة. فلا أستطيع الآن ان أقول لا متفائل ولا متشائم. وبالرغم من اني بطبيعتي أميل إلى التفاؤل.

● هنا مؤخراً فتور في العمل في الجبهة الكردستانية رغم موضوعية وجودها. لكن لاحظنا ان العامل الذاتي الديناميكية الذاتية كانت إلى حد غير قليل متأخرة. نريد ان نعرف ما هي أسباب التأخر وما هي آفاق الجبهة الكردستانية في الجبهة العريضة؟ كيف ستكون؟

ـ الجبهة الكردستانية، كأي عملية جبهوية لا تخلو من مشاكل. والحياة نفسها لا تخلو من مشاكل. لكن الجبهة الكردستانية في الحقيقة ربما كانت أهم انجاز حققته الحركة

الكردستانية في العراق خلال هذا العقد، في تقديري. واستطاعت الجبهة الكردستانية إلى حد كبير أن تعبر عن حركة شعبها وان توحد صفوفها وتوحد وفودها وتوحد تمثيلها هنا وهناك وان تُحل لغة الحوار والتآخي محل لغة أخرى كانت تستخدم في الماضي. فلا يمكن ان نقلل ابداً من أهمية الجبهة الكردستانية ومسيرتها ايضاً. ولكن بدون شك نطمح إلى تطوير الجبهة وتحويلها إن أمكن في المستقبل إلى قيادة مشتركة للحركة الكردية، قيادة مشتركة توزع فيها المسؤوليات بين اعضاء القيادة السياسية، كل يأخذ اختصاص معين ويخدم الحركة ككل وليس فقط حزبه. طبعاً هذا لا ينفي استمرار العمل الحزبي التنظيمي، السياسي، الاعلامي، الثقافي. ومن جهة أخرى كان مجرد قيام الجبهة الكردستانية له تأثير ايجابي على باقي اجزاء كردستان في التوجه نحو توحيد الصفوف. والجبهة الكردستانية الآن ربما لها دور متميز في محاولة اقامة المنظمة المظلّة للحركة الكردستانية باجمعها لكي تكون الممثل للحركة الكردية بكافة فصائلها وقواها وهذا لو تم سيكون انجازاً تاريخياً هائلاً وضرورياً جداً.

وكون الحركة الكردية العراقية واحزابها توحدت في جبهة كردستانية يُسهل كل الحوارات الجارية لتوحيد المعارضة العراقية. الحركة الكردية عنصر أساسي وذو وزن سياسي وعسكري في المعارضة العراقية وذو تقاليد ديمقراطية وعلاقاتها جيدة مع كافة اطراف المعارضة. فعندما تأتي بصوت موحد فانها بدون شك تسهل عملية الحوار وعملية التفاهم لاقامة عمل مشترك للمعارضة العراقية، كما نأمل. ويسعدني ان اخبركم اننا الآن، بصدد سلسلة من عقد الاجتماعات لتقييم الاوضاع ووضع سياسة عملية للتحرك وتطوير آلية الجبهة الكردستانية بهدف زيادة ديناميكيتها ونشاطها.

● السؤال التالي حول علاقة حل القضية الكردية بالحل الديمقراطي للعراق، وآفاق هذا الحل الخاص للقضية الكردية، أين ترتبط مع القضية العراقية وأين تنفصل عنها؟

- يمكن ان أرجع إلى أدبيات ومؤتمرات وكونفرنسات حزب الشعب، نحن في حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني نؤمن بحق تقرير مصير الامة الكردية أسوة بأمم العالم أجمع. ونؤمن أيضاً بحق تقرير مصير الشعب الكردي في العراق على أساس اتحاد فيدرالي ديمقراطي بين العرب والاكراد في كيان واحد وضمن كيان واحد. ونعتقد انه الحل الجذري التاريخي، ولكن يمكن ان تكون للقضية الكردية معالجة ضمن إطار العراق، في الظرف الملموس، لو سقطت الدكتاتورية على الاسس التالية:

١ ـ مساهمة فاعلة وعادلة تعكس نسبة سكان الاكراد وتضحيات الاكراد ومساهمتهم النضالية، وخاصة نسبة للسكان، في الحكومة المركزية واجهزتها ومؤسساتها وصنع قرارها

(وأضع خط عريض تحت صنع قراراتها) لأننا كنا محرومين دوماً من المساهمة في صنع القرار العراقي حتى قبل نظام صدام، وهذا ما غربّ الاكراد أكثر من أي أمر آخر.

٢ ـ حقوق ثقافية وادارية للمنطقة الكردية وهي ملخصة في فكرة الحكم الذاتي.

فهذه المساهمة التي تحدثت عنها زائداً الحكم الذاتي موجودتان تفصيلاً في فقرات واضحة في اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠. لذلك نطالب بتطبيق الاتفاقية وتطويرها نصاً وروحاً. أما الحل الافضل والجذري بتقديرنا هو دولة فدرالية ديمقراطية يعيش في كنفها العرب والكرد والاقليات.

● **أهذا حل ستراتيجي؟**

ـ نعم.

● **نلاحظ انه في كل الاحزاب العراقية لم تعد المركزية المتشددة، موضوعياً، معقولة ولا منطقية، وهي لا تصلح لتطوير الحياة الحزبية الداخلية وهي غالباً تنعكس داخل الاحزاب العراقية بشكل خلافات واتجاهات ومحاور. . . الخ، أنتم حزب جديد نستطيع ان نقول عنه حديث التكوين ولكن هل الظاهرة موجودة عندكم أيضاً وتؤثر على حياتكم الحزبية الداخلية؟**

ـ كما تعرف، حزب الشعب تأسس عام ١٩٨١. ولكن المؤسسين لم يكونوا مجموعة من الشباب الجامعي القادم إلى السياسة لأول مرة، بل بشكل عام هم من الناس المساهمين في قيادة الحركة الكردية كقادة وكوادر لمدة تزيد لدى قسم منهم حتى عن ٣٠ سنة. وهكذا بصورة عامة وبدون شك جلبوا معهم تجاربهم إلى الحزب. نحن خلال هذه الفترة عقدنا مؤتمرين وكونفرنس. وعقد الثمانينات عقد المشاكل، ولم يكن عقداً سهلاً لعقد المؤتمرات والكونفرنسات. وفي المؤتمر الاخير الذي عقد في نهاية عام ١٩٨٩ لم تكن هناك قائمة موجهة في الانتخابات، ولم تتخذ كل القرارات أو معظمها بالاجماع. كثير من القرارات كانت بالاغلبية. ولم يكن هناك في تقديري أي خوف من توجيه أي نقد لأي شخص. ولم يكن أي شخص في المؤتمر فوق النقد. العديد من رفاقنا القياديين يعيشون في المجتمعات الاوربية الديمقراطية والليبرالية أو عاشوا هناك أو يسافرون اليها ويعودون. أنا اعتقد ان هذه الحالة تجعل الروح الديمقراطية قوية في الحزب وفي العلاقات أيضاً. ولكن لا يعني هذا ان الوضع من هذه الناحية هو على أفضل ما يكون. الحياة تتفاعل وأثبت التاريخ بما لا يدع أي مجال للشك ان فكرة الحزب الواحد، أو القائد الواحد، والرأي الواحد، ليست فقط غير صحيحة وانما تلحق اضراراً كبيرة ايضاً بالجهة التي تتبنى هذه الافكار.

● **الآن نلاحظ انه يوجد تغيّر بالحياة الحزبية العراقية، نريد ان نعرف كيف ترى**

ذلك؟ وكيف ترى الحلول؟ دعنا نبحثها كأزمة موجودة في كل مكان، كل الاحزاب تشهد اختلاف وجهات النظر والآراء وتعالجها بأشكال متعددة، كيف تراها كحصيلة في الحياة السياسية؟

ـ أقول مع استثناءات ربما محدودة، توجد روح استبدادية في الاحزاب. الاستبداد يبدأ من فوق، من القيادات إلى القواعد ويتسلسل. وهذا الاستبداد لا أعتقد انه غريب، أولاً اعتقد ان المجتمع العراقي فيه تراث استبدادي مع الاسف.

صار لي ٣٧ سنة أعمل في الحياة العامة والحزبية، أذكر خاصة في الخمسينات لم يكن يوجد ستالين واحد، كان كل مسؤول خلية هو ستالين. فبدون شك تقاليد الستالينية امتزجت مع التقاليد الاستبدادية الموجودة في البلد، أو ربما وجدت تربة خصبة في المجتمع العراقي.

ولا أستطيع ان أقول ان الحياة الحزبية جلبت نسائم ديمقراطية على المجتمع العراقي. أما في الفترة الاخيرة بعد هبوب رياح الديمقراطية بقوة على العالم كله. كان من طبيعة الامور ان تهب على العراق أيضاً وعلى المعارضة العراقية كذلك. لا أعرف كم أساسي وكم جذري كان تأثيرها. اتصور انه كان بدرجات متفاوتة، إلا انها بدون شك تركت تأثيرها الايجابي في الحياة الحزبية والعلاقات الجبهوية في صفوف المعارضة العراقية.



طابع المرحلة الوطنية الديمقراطية الراهنة

زكي خيري

نحو المؤتمر الخامس لحزبنا، آراء ومناقشات. تحت هذا العنوان افتتحت الثقافة الجديدة هذا الباب للمناقشة السابقة للمؤتمر كما هي العادة في الاحزاب الشيوعية عشية مؤتمراتها. وهذا تقليد ديمقراطي عريق. وكان الأفضل لو أصدرت الثقافة الجديدة ملاحق متتابعة في فترات اقصر من الفترات المتباعدة التي تصدر فيها هذه المجلة وذلك لتسريع المناقشة وتكثيفها وتشجيعها ولئلا تبرد. إلا اذا كان موعد انعقاد المؤتمر سيؤجل إلى ما بعد موعده الذي يحين في اواخر السنة الجارية أي بعد اربعة أو خمسة اشهر ـ لأن هذا المؤتمر (الخامس) ينعقد في ظروف الشتات على الاغلب، وفي ظروف دولية وداخلية استثنائية جراء حرب الخليج الجديدة.

* * *

ويبدو ان مناقشة البرنامج تحتل المكانة الرئيسية وأرى ان مناقشة سياسة الحزب الجارية هي الالح من بين جميع المسائل المطروحة على المؤتمر وكذلك وبنفس الدرجة تجديد الحزب ودمقرطته ويليها وضع طروحات للمناقشة واختيار لجنة موسعة وغنية بالاختصاصات لوضع مشروع البرنامج الجديد وعرضه فيما بعد على مجلس حزبي عام أو مؤتمر استثنائي. فليس هنالك أي مبرر لتعجيل تغيير البرنامج بصيغة نهائية في المؤتمر الخامس العتيد.

ولقد لفت انتباهي مقال أو مداخلة الرفيق (نصير سعيد الكاظمي) التي يتناول فيها مسألة تغيير البرنامج، والنقاط الرئيسة فيها وهي تدقيق تشخيص المرحلة التاريخية التي تجابه ثورة الشعب العراقي الآتية. ويعرب الرفيق الكاظمي عن موافقته للتحديد الوارد في البرنامج الراهن الذي أقره المؤتمر الوطني الرابع للحزب الشيوعي العراقي والذي حدد المرحلة الراهنة بالثورة الوطنية الديمقراطية التي لم تنجز بعد بجميع اهدافها ومهماتها بل تنتظر الانجاز. وإلى هذا الحد يبدو اننا متفقون، بيد ان الرفيق يستدرك فيقول في مداخلته في عدد حزيران ١٩٩٠ من الثقافة الجديدة: «.. إلّا ان البرنامج لا يزال يتردد في توضيح طابع الثورة الديمقراطية باعتباره برجوازياً (التطويخ بخطي - ز. خ) وليس اشتراكياً في الجوهر، أي انه يفسح المجال لنمو العلاقات الرأسمالية، وتحتفظ الثورة الديمقراطية بطابعها هذا حتى لو قادتها الطبقة العاملة وليس البرجوازية، لأن ما يتعين ان تنجزه الثورة من اهداف يظل في إطار العلاقات الرأسمالية (التطويخ بخطي - ز. خ) ثم يشيد الكاتب بافضليات قيادة الطبقة العاملة على قيادة البرجوازية للثورة الديمقراطية والانتقال منها إلى مرحلة الاشتراكية من الثورة.

والحقيقة هي ان القيادات البرجوازية ولاسيما حزب البرجوازية الصغيرة الأشد جذرية (راديكالية) أعني حزب السلطة في العراق قد انجز الثورة «بطابعها البرجوازي» سواء ضد الاستعمار أو الاقطاع. وما بقي من مهام الثورة الديمقراطية دون ان ينجز هو. سيادة الشعب إذ احتكرت البرجوازية السلطة السياسية في الدولة لنفسها بقبضة من حديد ولكن هذا لا يعني اننا أمام الثورة الاشتراكية وجهاً لوجه بأي حال من الاحوال. ان خطر مثل هذا الاستنتاج هو أنه يفقدنا حلفاء استراتيجيين في الثورة الوطنية الديمقراطية التي لم تنجز اهدافها بعد. ان ثورتنا الوطنية الديمقراطية ليست ثورة برجوازية من الطراز الكلاسيكي، من طراز الثورة الفرنسية الكبرى، أي ان اهدافها يجب ان لا «تظل في إطار العلاقات الرأسمالية» وقد سبق ان خرق هذا الاطار حتى على يد الحزب الراديكالي للبرجوازية الصغيرة الذي انتزع على سبيل المثال ٩٠٪ من التجارة الخارجية من يد البرجوازية الكومبرادورية والتقليدية وجعلها حكراً للدولة. فهل يجب على الطبقة العاملة عندما تقود الثورة الديمقراطية ان تعيد التجارة الخارجية إلى الرأسمال الخاص أم تجعلها «خطوة للأمام نحو الاشتراكية»؟! وكيف تتصرف قيادة الطبقة العاملة للثورة الديمقراطية بقطاع الدولة الذي يمتلك في العراق حصة الأسد من وسائل الانتاج والموارد المالية بمصادر التراكم؟! ان البرجوازية لا تستطيع شراءها جميعاً بسعر مجزٍ فهل تقدمها لها هدية بالمجان؟! ان «إطار العلاقات الرأسمالية» لا يمكن ان يعني هنا سوى ملكية الرأسمال الخاص لوسائل الانتاج ملكية خاصة، والتطفل على الملكية العامة بالوسائل «المشروعة»

وغير المشروعة. فهل سوف تضمن قيادة الطبقة العاملة للثورة الديمقراطية مثل هذا النهب المنظم للملكية العامة التي تديرها الدولة؟! وهل تسمح للقطاع الخاص ان يهيمن على الاقتصاد الوطني بما فيه قطاع الدولة؟!

ان الطبقة العاملة طليعة الشعب سوف تشجع القطاع الرأسمالي الخاص والحرفي والفلاحي على انماء الاقتصاد الوطني لتقديم السلع والخدمات للشعب ليس في المرحلة الديمقراطية من الثورة فقط بل حتى في المرحلة الاشتراكية ولمدة طويلة، ولكن القطاع العام سيبقى باشكال مختلفة وينمو باطراد ويبقى هو القطاع المهيمن حتى في المرحلة الديمقراطية من الثورة ناهيك عن المرحلة الاشتراكية.

لقد دار في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية نقاش طويل عريض بشأن «حتمية مرحلة التطور الرأسمالي أم عدم حتيمتها» تمهيداً للمرحلة الاشتراكية. وكان الرأي السائد في الحركة هو عدم حتمية المرحلة الرأسمالية من التطور بل من الممكن تجنبها في طريق التطور نحو الاشتراكية. ولم تكن هذه «البدعة» من بنات افكار بعض المنظرين السوفييت كما يظن الرفيق الكاظمي بل كانت في الأصل من آراء ماركس نفسه. وكان ميخائيلوفسكي، أحد إيديولوجي النارودنيين الروس، قد نسب إلى ماركس فرضيته بشأن التطور التاريخي مفادها ان جميع الامم سوف تمر بمرحلة الرأسمالية من التطور. وقد ردّ عليه ماركس باسلوب لاذع جداً في رسالته الشهيرة التي كتبها في تشرين الثاني ١٨٧٧ إلى هيئة تحرير مجلة «أوبتجستفني زابيسكي» وقد تنصل ماركس من هذه النظرة الجبرية للتطور التاريخي ومحاولة فرض كلايش أو قوالب نمطية كلية الشمول على المراحل التاريخية لجميع الامم. فلم يكن ماركس يرى ان المرحلة الرأسمالية من التطور التاريخي مرحلة محتومة بالنسبة لجميع الامم. وكان لا يزال يعتقد عهد ذاك ان بامكان روسيا تجنب المرحلة الرأسمالية و«شرورها» بعد دراسته لاحوال تلك البلاد فقال في الرسالة: «لقد توصلت إلى الاستنتاج التالي: اذا كانت روسيا ستستمر في السير على الطريق الذي انتهجته منذ عام ١٨٦١ [يشير إلى عام الغاء القنانة في روسيا وانتهاجها طريق التطور الرأسمالي] فسوف تفوت افضل فرصة قدمها التاريخ في وقت ما إلى شعب من الشعوب وستعاني من كافة مصائب النظام الرأسمالي المشؤومة». (راجع اغافونوف ـ الماركسية ـ اللينينية وطريق التطور اللارأسمالي ص ٢٦ ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٨٢).

وبعد ذلك باربع سنوات، في شباط ـ آذار ١٨٨١، كتب ماركس المسودة الأولى لرده على رسالة الثورية الروسية فيرازاسوليتش قال فيها: «اجيب: لأن المشاعة الريفية التي لا تزال قائمة على الصعيد الوطني في روسيا تستطيع، بفضل اجتماع استثنائي من الظروف، ان تتحرر تدريجياً من سماتها البدائية، وان تتطور مباشرة بوصفها عنصر إنتاج

اجتماعي على الصعيد الوطني. وبما انها معاصرة للانتاج الرأسمالي، بفضل هذا على وجه الضبط، يمكنها ان تستوعب منجزاته الايجابية دون المرور عبر جميع تطوراته الرهيبة [خط التطويخ مني - ز - خ] إن روسيا لا تعيش في عزلة عن العالم المعاصر، وهي، مع ذلك، ليست، مثل الهند الشرقية، غنيمة للفاتح الاجنبي» (ماركس/ انجلس/ في ثلاثة مجلدات/ م ٣. ج١ - ص ١٧٧).

وأضاف «. . . ومن جهة أخرى، إن كون الانتاج الغربي السائد في السوق العالمية، موجوداً في الوقت نفسه، يتيح لروسيا ان تدخل في المشاعة جميع المنجزات الايجابية التي حققها النظام الرأسمالي، دون المرور عبر مضيقة الكوديومي» (نفس المصدر ص ١٨١). يريد في ذلك امكان تجنبها التطور الرأسمالي المذل كما أذل الجيش الروماني بعد هزيمته باجباره على المرور من تحت النير في مضيق كوديوم. ويقول عن مستقبل المشاعة: «. . . ان شكلها التأسيسي يجيز واحداً من أمرين: اما ان يتغلب عنصر الملكية الخاصة الكامن فيها على العنصر الجماعي، وإما ان يتغلب هذا الأخير على الأول. كل شيء رهن بالبيئة التاريخية التي توجد فيها «المشاعة الزراعية» a priori [بصرف النظر عن التجربة] يمكن هذا المآل أو ذاك، ولكنه من الجلي انه ينبغي لكل منهما وجود بيئة تاريخية مختلفة تماماً» (نفس المصدر).

كان ذلك ما قاله ماركس قبل ١١٣ سنة بصدد موضوعة التطور اللارأسمالي وقبل ٧٠ سنة تناول لينين في المؤتمر الثاني للاممية الثالثة نفس الموضوع، موضوع حتمية أو عدم حتمية المرحلة الرأسمالية من التطور فنفى صراحة حتمية هذه المرحلة وقال: «. . انما يتوجب كذلك على الاممية الشيوعية ان تقر وان تثبت نظرياً انه بمساعدة البروليتاريا في البلدان المتقدمة يمكن للبلدان المتأخرة ان تنتقل إلى النظام السوفييتي وإلى الشيوعية عبر درجات معينة من التطور متجنبة مرحلة التطور الرأسمالي» (لينين - المختارات - م ١٠ ص ٩٦).

المسألة الجوهرية هنا هي امكان تجنب البقاء في «إطار علاقات الانتاج الرأسمالية» حتى نهايتها في طريق السير نحو الاشتراكية. ولكن ليس رفض المنجزات الايجابية للنظام الرأسمالي كالبنوك والصناعة الكبيرة الخ. كما كان يدعو اليه النارودنيون الروس. وهذا مما يجب ان لا يغيب عن البال. ان الظروف التاريخية لكل بلد من البلدان المتأخرة أو المتقدمة هي التي تقرر الطريق الذي سوف يسلكه كل بلد متأخر أو متقدم في طريقه إلى الاشتراكية وهنالك من الطرق بقدر ما هنالك من بلدان متقدمة أو متأخرة.

ولكي نكون تلامذة شيوعيين أي ان نجادل معلمينا الكبار ماركس وانجلس ولينين، كما كان تلامذة افلاطون يجادلونه وقد كانوا يحبونه ولكنهم كانوا حين قولهم يحبون الحقيقة

أكثر من حبهم لافلاطون، فمن واجبنا الآن ان ندرس أعمالهم على ضوء ظروفنا التاريخية لنرى ما اذا كانت هذه الفكرة أو تلك من أفكارهم لا تزال تحتفظ بحيويتها أم ان التطور التاريخي قد تركها وراءه. ان المنظرين السوفييت وغيرهم احيوا افكار ماركس وانجلس ولينين بصدد عدم حتمية التطور الرأسمالي وأغنوها بأمانة ومع ذلك ارتكبوا بعض الاخطاء. ففي نظرية التطور اللارأسمالي لم يفوا الديمقراطية السياسية حقها الكامل وبالغ بعضهم مثل اولبرخت في دور القادة البونابارتيين كعبد الناصر وجعلهم قادرين على بناء الاشتراكية دون اشتراط الديمقراطية السياسية التي هي وحدها تتيح مساهمة أوسع الجماهير بنشاطها الفعال والخلاق. ولم يؤكدوا أهمية تأثير الطبقة العاملة في السلطة السياسية للدولة. ومع ذلك فلا يحق لنا استصغار المنجزات الفكرية للمنظرين السوفييت وزملائهم في البلدان الأخرى. فقد اغنوا كنز الماركسية اللينينية وفتحوا آفاقاً جديدة للثورة الديمقراطية تجاوز الافق البرجوازي الضيق وإطار العلاقات الرأسمالية. واذا ولينا ظهورنا إلى تجربة الامم الأخرى وانغلقنا على انفسنا وسرنا في طريق التجربة والخطأ فسنصاب بنكسات خطيرة ونجتر همومنا لوحدنا.

وقد اطلق المتطرفون السوفييت اصطلاح «طريق التطور اللارأسمالي» على امكانية السير نحو الاشتراكية دون المرور بمرحلة التطور الرأسمالية. وقد أثارت هذه التسمية السلبية كثيراً من الجدل فابدلوها باصطلاح آخر هو «طريق التوجه الاشتراكي» ولكن هذا لم يغير شيئاً من جوهر الأمر. فهذا الطريق ايضاً يعني بناء المنجزات الايجابية للنظام الرأسمالي دون بناء نظام اجتماعي رأسمالي تام إلى حد بلوغ الرأسمالية الاحتكارية، وحتى بدون تحقيق الغلبة لعلاقات الانتاج الرأسمالية ويعني ايضاً عدم مواصلة السير في طريق التطور الرأسمالي بالنسبة للبلدان التي سبق وان انتهجت هذا الطريق وسارت فيه اشواطاً. ولكن هل يمكن بناء المنجزات الايجابية للرأسمالية من دون غلبة العلاقات الانتاجية الرأسمالية أي بدون سيادة الملكية الخاصة للرأسماليين ومن دون السيادة المطلقة للبرجوازية؟ ألا يعني هذا ضرب من «بناء الرأسمالية بدون رأسماليين»؟!

عندما استولى الضباط الاحرار وعلى رأسهم جمال عبد الناصر، وهم من مثقفي الشرائح الاجتماعية المتوسطة، عندما استولوا على السلطة السياسية في الدولة كانت تستبد بهم الرغبة في التجديد والتمدن أي بناء المنجزات الايجابية للنظام الرأسمالي ولاسيما التصنيع باقصر السبل. واكتفوا باديء ذي بدء بتأميم المشاريع التي يملكها الاجانب «التمصير» معلقين الآمال على الرأسمال المصري الخاص في تصنيع مصر باقصر الطرق ولكن سرعان ما خيب الرأسماليون المصريون آمال ضباطهم الاحرار التواقون إلى اللحاق باسرع وقت بركب التقدم الحضاري وتعزيز القدرة الدفاعية للوطن بتحرير فلسطين وتحقيق

الوحدة العربية . . . والخ من الآمال الكبار. وبعد خيبة أملهم بالتصنيع الواسع السريع على يد الرأسمال الخاص التفتوا إلى تأميم الرأسمال المصري الكبير. وقد بالغ بعض اتباعهم في سورية والعراق إلى حد تأميم بعض المشاريع المتوسطة وحتى الصغيرة، فمحافظ حلب أمم حتى المخابز الصغيرة (والتنانير) لحل أزمة الخبز في المدينة. وقد رفعوا راية «الاشتراكية» الحمراء على عينك ياتاجر! . وحتى بعد ان فتح الرئيس الميت محمد انور السادات الابواب على مصاريعها للرأسمال الخاص الاجنبي والعربي والمصري، لم يبادر هذا إلى التصنيع المنشود الواسع والسريع، بل عمد إلى التوظيف في المشاريع السياحية وما شابهها من المشاريع سريعة المردود والتي لا تتطلب ادخال التكنولوجيا الحديثة باهظة الكلفة وان ادخل شيئاً من هذه التكنولوجيا فقد كان من النوع الذي يمكن ربطه برأس خيط وسحبه بسرعة إلى الخارج عندما يشم رائحة خطر تحت شعار «الرأسمال جبان»!

ان أمل التصنيع الواسع السريع ذي التكنولوجيا الحديثة، إلى أي حد يستحق الذكر، يرتبط أما بالرأسمال متعدد الجنسيات، كما جرى في كوريا الجنوبية وتايوان وهونغ كونغ وسنغافورا وتايلند حيث تهيمن انظمة حكم موالية للامبريالية ومستقرة نسبياً، وأما في البلدان ذوات الاختيار الاشتراكي أو التوجه الاشتراكي في ظل جمهورية ديمقراطية حقاً تكون فيها السيادة للشعب حقاً وينمو نفوذ الطبقة العاملة في السلطة السياسية للدولة وتتوسع فيها الديمقراطية في جميع الابعاد السياسية والاجتماعية. وفي إطار هذه الجمهورية تتاح للرأسمال الخاص فرص النمو دون ان يسمح له بالمضاربة والاحتكار وتتاح له فرص المنافسة دون تمكينه من التغلب على القطاع العام.

وفي محاكمة الشيوعيين من تلامذة ماركس وزملائه في كولونيا (المانيا) في القرن الماضي شرح أحدهم الجمهورية الديمقراطية التي كانت سوف تعني انتصار الثورة البرجوازية الديمقراطية في المانيا قال: سوف تقوم فيها سلطة الشعب وستسود فيها البرجوازية الصغيرة باعتبارها أكثرية الشعب عهد ذاك، وانها ستحقق اهدافاً «اشتراكية إلى هذا الحد أو ذاك» وانها ليست المرحلة الاشتراكية أو «الجمهورية الاجتماعية.. الحمراء» التي سوف تضطلع بتحقيق الاشتراكية الواسع النطاق (انظر «الحركة العمالية العالمية/ قضايا التاريخ والنظرية»/ ترجمة نجاح ساعاتي/ طبع دمشق).

وهكذا فان ماركس لم يكن يرى ان اهداف الثورة البرجوازية الديمقراطية ومهامها سوف تبقى في «إطار العلاقات الرأسمالية» في جميع الظروف التاريخية وقد أغنى لينين هذا المفهوم الماركسي في كراسه «الكارثة المحدقة وكيف نحاربها» فاقترح فيه تأميم الشركات الاحتكارية والبنوك وفرض العمل الالزامي على الجميع والرقابة العمالية باعتبارها في ظل الدولة الديمقراطية الثورية «خطوة إلى أمام نحو الاشتراكية» وانها «ليست بعد

بالاشتراكية ولكنها لم تبق الرأسمالية» .

ان الجمهورية الديمقراطية بمفهوم ماركس آنف الذكر اذا ما انتصرت في العراق نتيجة اسقاط الدكتاتورية الراهنة المعادية للديمقراطية فسوف تجد قطاع الدولة الواسع والمهيمن في الاقتصاد الوطني. ولن تكون مهمتها التاريخية حصر العلاقات الاقتصادية «في إطار علاقات الانتاج الرأسمالية» بل ستخطو خطوات كبيرة إلى أمام نحو الاشتراكية، وهذا سوف يتوقف على مدى نمو الديمقراطية بأوسع معانيها ولاسيما الديمقراطية السياسية وعلى مدى نمو نفوذ الطبقة العاملة في السلطة السياسية للدولة العراقية، «الجمهورية الديمقراطية التي سوف تسود فيها البرجوازية الصغيرة، أكثرية الشعب، ولكنها المتحالفة مع الطبقة العاملة طليعة الشعب. وعلى تحقيق هذا التحالف يتوقف مصير الاشتراكية في العراق دون حتمية المرور بمرحلة التطور الرأسمالي بأكملها، بل سوف يتوقف ايضاً مصير الثورة الوطنية الديمقراطية التي لن تكون ثورة برجوازية خالصة. اذا أردنا انجازها بكامل اهدافها ومهماتها المعاصرة ويتوقف ايضاً تحقيق الديمقراطية السياسية التامة وترسيخها آخر الأمر في العراق. وقد برهنت البرجوازية الوطنية انها ضعيفة وعاجزة اقتصادياً وسياسياً عن اقامة نظام ديمقراطي برلماني تحت هيمنتها، وبقيت متكلة على الدولة التي تملك في حوزتها أكبر مصادر المال والتراكم ومعظم صافي الدخل الوطني.

قال لينين: ان من ينتظر ثورة اجتماعية خالصة، بمعنى برجوازية خالصة أو اشتراكية خالصة «لن يعيش ليراها» ومع ذلك نسمع دائماً تأكيدات بعض الرفاق على ضرورة التمييز بين الثورتين أو مرحلتي الثورة، وبين برنامج «الحد الادنى» وبرنامج «الحد الاقصى» مستشهدين بلينين إلى حد يتصور المرء معه ان هنالك وثيقتين لكل برنامج، وثيقته المستقلة أو على الاقل ان هنالك عنوانين منفصلين «الحد الادنى» و«الحد الاعلى» في الوثيقة الواحدة. ولذا اقترح على هيئة تحرير الثقافة الجديدة ان تنشر برنامج لينين القديم من اوائل القرن نقلاً عن مجموعته «عن النقابات» وهو لا يتجاوز بضع صفحات فهو مثقف للرفاق وإلى جانبه توصيات المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي بصدد البرنامج الجديد لتكوين ثقافة برنامجية ماركسية لدى الرفاق.

ان من يتتبع الأدب الماركسي اللينيني المعاصر سوف يرى كم تطور المفهوم القائل بتداخل مهمات الثورتين البرجوازية الديمقراطية والبروليتارية الاشتراكية واهدافهما إلى حد ان الاولى اصبحت جزء من طور الانتقال إلى الثانية، أي ان مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية ليست مفصولة عن المرحلة السابقة كما يتصور المرء من قراءة برنامجنا الراهن فالمرحلة الانتقالية إلى الاشتراكية تبدأ فعلاً خلال المرحلة الوطنية الديمقراطية («البرجوازية») بالذات.

ان تداخـل بعض المهـام والاهـداف من الثـورة الـديمقـراطية مع اهداف الثورة الاشتـراكية ومهامها يكاد ان يكون قضية مسلم بها، وقد انجزت ثورة اكتوبر الاشتراكية معظم الاهداف الديمقراطية على الماشي : en pasant على حد تعبير الشطرنجيين ومع ذلـك فقـد ثبت الآن بسطوع مدى الوهـم القائل ان المرحلة الديمقراطية تمهد للمرحلة الاشتراكية وينتهي أمرها. فقد تراجعت الديمقراطية السياسية بعد لينين وأدى تراجعها إلى مآسٍ وإلى تشويه الاشتراكية بفظاظة. ولن ينتهي النضال من أجل الديمقراطية إلا بعد بناء المجتمع الشيوعي الكامل وتختفي النقود وعندئذ تصبح ممارسة الديمقراطية أمراً عفوياً «بحكم العادة» فليست الديمقراطية مجرد مرحلة انتقالية إلى الاشتراكية تتحقق مرة واحدة وإلى الابد. وهذا أمر غدا معروفاً لدى اعداد غير قليلة من الناس، ولكن اعداداً أقل تعرف في الـوقت ذاته انه يمكن ويجب تحقيق بعض مهمات الاشتراكية أو على الأقل بعض واجباتها، اذا جاز التعبير، خلال المرحلة الديمقراطية «البرجوازية» من الثورة. وحتى خلال الثورة الفرنسية الكبرى، الثورة البرجوازية الكلاسيكية في اواخر القرن الثامن عشر عندما كانت البروليتاريا الثورية لا تزال مندمجة بالبرجوازية الصغيرة الثورية، أي حتى قبل مائتي سنة قامت جماعة بابوف بانتفاضة بروليتارية محاولة تحقيق اهداف بروليتارية. والآن في النصف الثـاني من القـرن العشـرين استـطاعت الحركة العمالية تجاوز إطار العلاقات الانتاجية الرأسمالية أي خرقها في البلدان الرأسمالية الطليعية فوسعت قطاع الدولة وحققت الضمانات الاجتماعية التي حققها لأول مرة في التاريخ وطن الاشتراكية الاول ـ الاتحاد السـوفييتي ـ كالضمـان التقـاعـدي والصحي والثقـافي . . . فالنضـال من أجـل بعض المكتسبات ذات الطابع الاشتراكي ضد الرأسماليين هو نضال بروليتاري ثوري آني يلازم النضـال من أجـل الـديمقـراطية قبل حلول المـرحلة الاشتـراكية من ثورة الشعب. والحـزب الـذي يتخلى عن مثـل هذا النضـال الآني ضد الـرأسمـالية حتى قبل مرحلة الاشتـراكية انمـا يفقـد مبـرر وجوده كطليعة سياسية مستقلة للطبقة العاملة. كما ان أي مكتسبات وطنية ديمقراطية أو اشتراكية تتعرض للمسخ والضياع في غياب النضال من أجل الـديمقـراطية السياسية. ان النضـال من أجل الديمقراطية والنضال من أجل الاشتراكية بالمعنى المـار ذكـره انمـا همـا وجهان لقضية واحدة حتى في المرحلة الراهنة. بيد ان الـديمقـراطية السياسية هي المفتاح في الوضع الراهن وتتمثل بانهاء الدكتاتورية الراهنة واقامة النظام الديمقراطي واطلاق الحرية السياسية التامة. وهو ما حققته الثورات البرجوازية الكلاسيكية المنتصرة.

ومن أمثلة التـداخـل بين الثورتين يضرب المـاركسيون مثلاً بالدور الطليعي الذي تضطلع به الطبقة العاملة في المرحلتين كليهما وبوضع المشاريع المؤممة تحت الرقابة

العمالية واشراك العمال في ادارة الانتاج والتخطيط ونمو نفوذ الطبقة العاملة في السلطة السياسية للدولة. وكما ان النظام الاشتراكي اقتبس تحت قيادة لينين في عهد السياسة الاقتصادية الجديدة ويقتبس الآن من النظام الرأسمالي آلية السوق بعد اخضاعها لانظمة الدولة الاشتراكية ورقابتها فان النظام الرأسمالي المتطور يقتبس ايضاً شيئاً من منجزات الاشتراكية كبعض أوجه التخطيط المركزي. ومع ذلك يبقى كل من النظامين محتفظاً بسماته الاساسية التي تميزه عن الآخر وعلى رأسها الصفة الغالبة لملكية وسائل الانتاج: أهي الملكية العامة أم الخاصة؟

وها نحن نناقش مستقبلنا ومستقبل البشرية الاشتراكي المشرق، رغم اننا نجتاز أكبر أزمة في تاريخ الاشتراكية الراهنة وفي حركتنا الشيوعية العالمية، وذلك بفضل تفاؤلنا التاريخي الذي يلهمنا ثقتنا بالمستقبل. وقديماً قال معلمنا الأول كارل ماركس قبل (١٤٠) سنة نبوءته العبقرية بصدد الثورة البروليتارية والانتكاسات التي تتعرض لها خلال سيرورتها.

تنتقد ذاتها على الدوام، وتتوقف بين الفينة والفينة في سيرها وتعود ثانية إلى ما بدا انها انجزته لتبدأ فيه من جديد، وتسخر من ميوعة محاولاتها الاولى ونواقصها ونقاط ضعفها وتفاهتها باستقصاء لا رحمة فيه، ويبدو انها تطرح عدوها أرضاً لا لشيء إلا ليتمكن من ان يستمد قوة جديدة من الأرض وينهض ثانية أمامها وهو أقوى من ذي قبل، وتنكص المرة تلو المرة أمام ما تتصف به اهدافها من ضخامة غير واضحة المعالم، وذلك إلى ان ينشأ وضع جديد يجعل أي رجوع إلى الوراء مستحيلاً، وتصرخ الحياة نفسها قائلة بصرامة: Hie ! Rhodus, hic Salta (هنا الوردة، فلنرقص هنا!)* (١٨ بروميير لويس بونابارت).

* أو كما نقول نحن في عاميتنا «هاي الكاع تعال نتصارع هنا!» تحدياً لمن يدعي انه كان قد صرع بطلاً على أرض الشام!



رأي في ازمة الخليج والدكتاتورية

ك . ش

أولاً : سياسة بدون أخلاق

ماذا يمكن ان يعني اقدام دكتاتورية العراق على احتلال وضم الكويت؟ ثمة عدة أفكار ينبغي لي ان اذكرها في البداية لكي اجيب على هذا السؤال اجابة مناسبة.

أولاً : عقب مقتل ضياء الحق في الباكستان كتبت في دفتري الخاص «ليست الضرورة وحدها هي التي تصنع الرجال، بل ان الرجال انفسهم يصنعون ضرورتهم. وقد نختلف في تحديد قيمة الرجال، خصوصاً اولئك الذين يلعبون دور الدكتاتور، لكن هذا الاختلاف يعد ثانوياً قياساً إلى الدور الفعلي الذي يضطلعون به. إن وحشية الدكتاتور قد يمكن تخفيفها اذا ما تم التركيز على النتائج العامة لسياسته: توحيد أمة وحماية استقلالها. بل ويمكن ان يبقى اثر الدكتاتور بعد رحيله كما لو انه تفويض لحماية افراد لا حضور لهم ولا ارادة».

ثانياً : ثمة مفارقة مؤلمة في عبارة ماركس التالية: «ولهذا لا تضع الانسانية ابداً أمامها إلا المسائل التي تستطيع حلها اذ انه يتضح دائماً، عند البحث عن كثب. ان المسألة نفسها لا تبرز إلا عندما تكون الشروط المادية لحلها موجودة أو على الأقل آخذة في

التكوّن» في مقدمة ماركس لمقالته: «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» [انظر مختارات ماركس وانجلز في اربعة اجزاء، الجزء الثاني، ص ٨].

قد يتحدث ماركس هنا عن بروز علاقات الانتاج الجديدة وارتباطها بالشروط المادية المطابقة لها، ولكن يمكن ايضاً ان يكون لهذه الفكرة معنى على صعيد فهم علاقة السياسية بضرورتها المادية. وهذا هو جوهر ملاحظة قديمة لي تقول بأن «تاريخ مجتمعنا العراقي المعاصر (وربما إلى حد بعيد تاريخ أغلب مجتمعات ما يسمى بالعالم الثالث) قد اظهر مثالاً مناقضاً لفكرة ماركس المشار اليها اعلاه. اذ نجد ان القوى الاجتماعية التي تنكبت لحل المهام المطروحة على مجتمعاتها لم تكن بمستوى المهام التي واجهتها، بل، والأدهى من ذلك، انه مع استعصاء الحلول ترافق ظهور مشاكل جانبية أكثر تعقيداً. ويبدو لي ان القوى التي واجهت المهام التاريخية قد امتلكت، كما في العراق، سلطة حل هذه المهام (دولة شديدة التمركز وواسعة الصلاحيات) ولكنها لم تمتلك معرفة (نظرية) حلها». وهذه المعرفة المزعومة، كما أظن، هي ليست غير لحظة وهمية للتطابق بين منطق الواقع ومنطق الارادة. على اننا غالباً ما نندهش لتداخل التجلي التاريخي للظاهرة والحلول اللاتاريخية التي تقدم لها!

ثالثاً: ليست ارادوية الحزب الحاكم في العراق (وهي ارادوية ساهمت بشكل خاص في تكوين ظاهرة الدكتاتور المخلِّص) بالأمر الجديد اذْ اقترنت السياسة عبر العصور بهذه النزعة التي تتجاوز الاختلافات الايديولوجية والاستراتيجيات. ولكن ما هو جدير بالاهتمام هنا هو ملاحظة اقتران هذه النزعة الارادوية مع أحد المكونات الاساسية لما يسمى بعصر ما بعد الحداثة. أقصد المكون الذي يدعي عدم الانصياع لهيمنة مركز واحد، أو عدد محدد من المراكز، وبالتالي يرفض فكرة التاريخ كحتمية وكمعنى. واذا كانت الارادوية ليست ظاهرة جديدة في السياسة فانها تكتسب معانٍ جديدة ضمن السياقات المختلفة: فالارادوية النازية كانت تسعى تحت ذريعة نقاء العنصر الجرماني وتفوّقه إلى اكتساح مراكز القوة المحيطة بالمانيا واقامة مركزيتها العالمية الخاصة. أما ارادوية الحزب الحاكم في العراق فانها استثمرت إلى أقصى الحدود قضايا عادلة عربياً كالقضية الفلسطينية لغايات غير عادلة. بل ان تركيز هذه الارادوية على الحلول اللاواقعية لهذه القضايا قد عنى الاعتراف بدور الدكتاتور المولع بالمراهنات الخطرة في إثارة الانتباه، في عالم يخطو بسرعة في مضمار التسويات السياسية، إلى الاحتمالات المتفجرة لتناقضات منسية.

أعود الآن إلى السؤال الأول الذي طرحته عن معنى غزو دكتاتور العراق للكويت وضمه لها. اذا اتفقنا على وجود مستويين للمعنى: ظاهري وجوهري، فاننا نجد من

المناسب وضع مغامرة الدكتاتور ضمن المستوى الثاني للمعنى، أي ضمن المستوى غير المصرّح به للمعنى ولكن القابل للتحديد بصورة مستقلة عن ادعاءات الذات الفاعلة، فردية كانت أم جماعية، واسقاطاتها الوهمية. من هذه النقطة «المحايدة» يمكننا اعتبار العدوان على الكويت كمؤشر لتجلي تاريخ خاص بالمنطقة يقوم على منطق الصراع المكشوف سياسياً وعسكرياً بين الدول العربية وبالتالي على استبدال منظومة العلاقات القائمة على الاخوة والتقاليد «العربية» التقليدية بأخرى تقوم على تنافس المصالح. ومن أهم مميزات هذا التاريخ هو انه تاريخ قومي متمحور حول مشاكل داخلية لا ترتبط بشكل مباشر بتلك التي سار التقليد على نسبها [إلى الاستعمار واسرائيل أو الشيوعية]. انه، اذا جاز التعبير، تاريخ ما بعد مرحلة الاستعمار وربما ايضاً، اذا أخذنا بأدعاته، تاريخ ما بعد مرحلة التبعية السياسية والاقتصادية. وبالطبع ليست هذه هي المحاولة الاولى لصنع تاريخ فعلي للعرب، فقد سبقها خطاب سياسي طويل للايديولوجية القومية ومحاولات جزئية على أرض الواقع: وحدة مصر وسوريا وتدخل مصر الناصرية في اليمن في الاعوام (٦٢ ـ ١٩٦٧) لاسقاط نظام الامام البدر واحلال نظام قومي عربي محله[معارض بالدرجة الاولى للسعودية]. ومع هذا فان ما يميز تجربة دكتاتور العراق ويمنحها تميزها هو أن التوحيد هذه المرة يتم لصالح مشروع رأسمالي صريح، وليس اشتراكي كما حاول عبد الناصر، أسمياً على الأقل، وبطريقة عنفية. ان الدكتاتور يعبر موضوعياً عن وظيفة الدولة الناشئة وبالتالي عن بداية انهيار الوظيفة التقليدية للدولة التابعة، على الرغم من ان دولة الدكتاتور تظهر من ناحية الشكل وكأنها محكومة بعقلية وبممارسات تقليدية جداً: كاريزما القائد، تركيز سلطة الدولة واجهزتها بيد القبيلة، تداخل قسري في مجالات الحياة المختلفة (الاخلاق التقليدية مع السياسة والاقتصاد مع الدولة)، تجاهل مطالبات المجتمع المدني بالديمقراطية بوضع الاخيرة في حالة تأجيل دائم تحت وطأة وهم الحزب الذي يمثل الارادة العامة للشعب أو تحت وطأة الظروف الاستثنائية المستحدثة، كالحرب مثلاً. وينبغي ان نلاحظ هنا انه إذا كانت الخصوصية المزعومة لهذه الدولة الحديثة تبدو مرادفاً لتشوّه شكلها الخارجي الموصوف للتو، فان وظيفتها الأعمق تبدو متسقة إلى حد كبير، بمعنى انها بدلاً من جعل خصوصيتها مصدراً لتمايز تاريخي إيجابي: ديمقراطية، وحدة، تحرر، فانها تجعل منها مصدراً للانعزال والتمركز الزائف على الذات ضمن سياق التبعية الذي تحاول عبثاً تخطيه.

ان حظوظ العالم الثالث في الخروج من حلقة التبعية تبدو، من ناحية، أكبر من حظوظ الدول الصناعية المتقدمة، ليس فقط لأنها تمثل «الحلقات الضعيفة» للامبريالية بل أيضاً لأنها مصدر عقلانية مختلفة. انها عقلانية قادرة من حيث المبدأ على طرح بدائل

حضارية مختلفة عما طرحته عقلانية البرجوازية التقليدية: الهيمنة على الطبيعة. المعرفة التكنيكية والتفكير المادي البحت. ولكن يبدو، من الناحية الأخرى، ان كل المحاولات التي سعت إلى الخروج من السياق العالمي للامبريالية قد آلت إلى طريق غير واضح المعالم بعدْ، إن لم تكن قد عادت اليه بحماس مفرط. ومرة أخرى فان ما يميّز دكتاتور العراق عن كل من قادوا محاولات أكثر اصالة للخروج عن الامبريالية هو ان الدكتاتور قد جعل من هذه العملية مجرد لحظة مؤقتة في طموح يمليه جنون عظمة أخرْق كلف العراق أثماناً باهضة حتى الآن. لقد كان العقد الاخير من السنوات أشبه بطقس دموي لتنصيب «بطل قومي» في زمن ما عاد ينتظر ابطالاً قوميين. لننسى للحظة الوهم القائل بأن ثمة حلولاً مناسبة تمكث وراء الفوضى المرعبة في العراق!.

حسناً، فاذا نُظر إلى الدكتاتور باعتباره قائداً لمحاولة غير تقليدية ـ باعتبار إنها تصدر عن بلد عالم ثالثي ـ للركون إلى منطق التناقض العدائي والمجابهة العسكرية في مناخ دولي بدأ يرتكز على منطق وحدة المصالح والتعاون السلمي، فهل هناك مبررات منطقية لهذه المحاولة؟ وهل هناك حاجة لاثبات عدوانية الغرب تجاه قضايانا في وقت صار الدرس واضحاً للجميع؟.

باختصار، فاننا نظن بأن المبرر المنطقي الوحيد لهذه المحاولة هو انها تصدر عن نزعة ارادوية متأصلة في السياسة العراقية منذ بداية السبعينات وحتى الآن، ومرتكزة على مجموعة تمثيلات غير صادقة للواقع.. وعلى هذا الاساس يمكننا القول بأن لا جامع هناك بين ارادوية الدكتاتور وبين غضب معذبي الأرض على نظام الاستغلال، أو بين تطرفه الكارثي النتائج وبين التطرف الرومانسي لتلك الثورات التي بحثت بشرف عن المستحيل: مخارج سريعة ونهايات سعيدة لآلام المجتمع الانساني. فقبل ان تصبح سياسة الدكتاتور مادة للاستهلاك الخارجي من قبل المأخوذين بالبلاغة المعادية للامبريالية، كانت هذه السياسة تتفتق عن عنف داخلي صارخ ازاء الذات. وللاسف لم يدرس حتى الآن بشكل كافٍ هذا العنف الداخلي للتاريخ عن الارادوية السياسية: هل انه يقترن بمواصفات الدكتاتوري كفرد أم بمتخيل اجتماعي سائد؟ وهل هو إنشاء ايديولوجي للسلطة أم هو مكوّن في تاريخ سياسي يشمل كل الايديولوجيات المتصارعة؟ هل هو نتاج وضعيات ناشئة أم هو نتاج شخصية فردية ملغزّة؟ هل يصح تبريره سببياً أو قدرياً؟ وهل انه سيسهم بشكل عام في تطور التاريخ أم في اعاقته؟

سوف لن نجيب هنا عن هذه الاسئلة بصورة منظمة ولكننا سنمس بعضاً من الاجابات الممكنة لها. لابد للمرء ان يعترف في البداية انه لا يمكن تفسير العنف (الذي هو في حالتنا حرب فعلية) باسبابه المباشرة فقط لأن نتائجه تكون أحياناً أكبر مما تفترضه

مقدماته (السياسية). وربما لهذا السبب تعزى الجرائم الكبرى ضد الانسانية (كجرائم النازية وهيروشيما وحلبجة) إلى إطار ما فوق سياسي يشير إلى انحطاط الانسانية وتدميرها لنفسها بنفسها. وقد تكون هذه الاحالة مجردة وتعميمية وبالتالي متصنعة الحياد الايديولوجي ولكنها تمتلك، رغم ذلك، افضلية في توضيح انفصال الاسباب عن النتائج، أي في توضيح الكيفية التي تنتج فيها أسبابٌ موضعية نتائجَ غير موضعية وغير قابلة للقياس (استباحة، قتل، تدمير، . . . الخ). وعندما يفقد العنف والحرب مبرراتهما الحقيقية فانهما يتحولان إلى موضوع إدانة لانهما يخلّفان نتائج لا يستسيغها العقل أو الضمير الانساني، في حين أنهما لا يكفان عن تذكيرنا، من ناحية اسبابهما، باللاعقلانية والارادوية التي يصعب عقرهما بشكل كامل في السياسة بحيث ان كل مجتمع يبدو حاملاً من حيث المبدأ لامكانية الانحدار، الكلي أو الجزئي، إلى مستوى غير معهود من البربرية. عندما تتسيّد النزعة الارادوية العدمية على قمة السلطة لا يبقى هناك مبرر للحديث عن قيم ثابتة ولا عن امكانية المفاضلة بين الدوافع. . إن جمالية القوة تبرز فقط حينما تتجاوز ممارستها معايير الخير والشر. ينبغي ان لا ننسى (نيتشه) في وضعيات كهذه.

وبغض النظر عن قدرتها الاستثنائية على استنطاق الواقع، وربما أيضاً على طرح اجابات مناسبة له ـ حسب ما تنتجه المصادفات ـ فان الارادوية وما يقترن بها من تخريب روحي ومادي تظل ظاهرة استثنائية تثير من الوجد الجماعي بقدر ما تثير من الشعور بالذنب. ولتقصي هذه الظاهرة، كما تتجلى في العراق اليوم، اقترح المقتربات الثلاثة الآتية:

أولاً: قوة العناصر المثالية في الايديولوجية القومية كما يفهمها الحزب الحاكم في العراق. لقد برّر الاحياء المبالغ فيه للخصوصية العربية مواقف انغلاق وريبة ازاء كل ما هو وافد وغريب، كما وأدى إلى اعتماد سياسة ميكافلية متقلبة بشكل يتناسب مع تقلّب مفهوم النقاء القومي سياسياً وحضارياً. قليل منا كان ينتظر ان يكون آخر المحاربين في سبيل القضية القومية هم من فئة القراصنة والدجالين، أو ان تقوم «معجزة» البطل القومي المعاصر على العنف الارهابي للدولة وعلى تأجيج حروب عبثية بين الشعوب».

ثانياً: اقتران معاداة الامبريالية، التي لعبت القوى القومية دوراً مهماً فيها، بنظام الحزب الواحد الذي افرزته التجربة الاشتراكية العالمية. ويبدو ان المثال الأخير، القائم على فكرة دكتاتورية البروليتارية قد برّر لدعاة القومية الآخذ بنظام الحزب الواحد الذي لم يخدم عملياً غايات الاشتراكية والتنمية الاجتماعية. أما لماذا حدث هذا التأثير الاخاذ، فلأن سلطة الحزب الواحد قد إقترنت بالتحرر فيما أقترنت التجربة البرلمانية الغربية بالاستغلال والاستعمار، وكذلك لأن نظام الحزب الواحد هو أقرب إلى خصائص

المجتمعات المتخلفة.

ثالثاً، ان الشكل اللاشرعي الذي وصل اليه هذا الحزب للسلطة (عبر انقلاب عسكري) قاده إلى الاستنتاج بأن أي نظام سياسي يعقبه سوف لن يكون شرعياً! ذلك ان المنطق القائم في هذا التفكير بسيط جداً: اللاشرعية تنتج لا شرعية والعكس صحيح. ومن لا شرعية حكم هذا الحزب يمكن ان نصل إلى نزعة الارادوية التي تتبلور في عقلية انقلابية ومؤامراتية في السلوك السياسي. ان حكماً لا يجرؤ على الاحتكام إلى مبادىء الشرعية السياسية (بل يكتفي باسباغها على نفسه وكأنها حق لا جدال فيه) ويهيمن عليه شبح فقدان السلطة الذي ينسبه إلى خصومة القريبين والبعيدين، سوف يهيىء تربة خصبة لظهور حاكم مستبد من بين صفوفه. فالتداول اللاشرعي للسلطة يفتح الطريق واسعاً لظهور قادة لا شرعيين يعملون كل شيء لاثبات شرعية مستحيلة لحكمهم. ألم يلتجيء دكتاتور العراق إلى وضع شجرة مزيفة لنسبه تعود به إلى النبي محمد؟ ألم يحيي تقاليد البيعة ويتباهى بها، وهو المدجج بالسلاح، أمام جمهوره الاعزل من كل شيء؟. وحيث ان هذا الايهام لا يمكنه ـ بسبب سكونيته ـ ان يتلاءم مع الضرورات المتغيرة باستمرار للشرعية يلجأ الدكتاتور إلى المزواجة ين مصدرين، خارجي وداخلي لشرعية الأمر الواقع (de facto) وليس الشرعية القانونية (de jure).

فقد استخدم الحرب مع ايران لكسب شرعية وطنية: الدفاع عن العراق والعرب ضد «الفرس والهجمة الخمينية» أو الدفاع عن مصالح الامة العربية ضد «فساد وتواطؤ حكام الكويت»!!. ثم استخدم الشرعية الوطنية المتخصصة ككلمة لتبرير لا شرعية القوى الوطنية المعارضة له أو لتغطية مواقفه العدائية ضد الدول العربية وغير العربية المجاورة. ثم عاد من جديد، كما في الاحداث الأخيرة، ليعلق الازمة السياسية العميقة لحكمه في داخل العراق، وبالتالي شعوره بالخطر ازاء مطالب الديمقراطية والتعددية، من خلال فرض شعور الخطر على الآخرين (هم الآن دول الخليج وشعوبها، وكانت قبلها لبنان وسوريا واسرائيل...). ولكن أمان الدكتاتور لا يتحقق فعلياً إلا عندما يشعر العراقيون بالخطر. وبالتالي الاحتماء بشخصيته الجسورة، من اعتداء خارجي. ان عبث الدكتاتور يتفجر عن ضرورات، والتاريخ الذي ينسجه الدكتاتور هو نتاج توافق الارادوية العبثية لحاكم مطلق وسطحية، بل وهمية، الواقع الذي نعيش: لا تقاليد سياسية هناك، ولا دولة حقيقية ولا سلطة قانونية أو اخلاقية أعلى من شهوة الحكم. فهل سندين الارهاب ونحن لا نمتلك تقليداً ايجابياً محصناً ضده؟

* * * *

ثانياً : سياسة بلا تاريخ

فجـأة بدا وكـأن قطاعاً مهماً من الولاء الشعبي العربي قد اختار مخالفة الاعراف والقـوانين المحلية والـدولية بانحيازه إلى جانب دكتـاتـور مولـع بالادعـاءات وبالنزوات الدموية. فهل هناك مرجع مقبول يسند هذا الموقف الشاذ والمفارق للحس السليم؟ ثمة مصـدران لتحـريك الاحتجـاج الشعبي العـربي في الـوقت الراهن، الأول هو المصدر الاسلاموي ـ القوماني الذي يعبر عن حساسية العداء لاسرائيل ومن تدخل القوى الاجنبية «الكافرة» في شؤون المنطقة واهلها. ثانياً؛ الذي تغذّيه النقمة المتفاقمة على لا عدالة توزيع الثروات في المنطقة العربية وعلى فساد دول النفط في الخليج. لقد ألّبت مغامرة الـدكتـاتور هذين المصدرين واحتمت بهما من الناحية الشرعية مثلما إحتمت باجساد الرهائن الاجانب من الناحية الفيزيائية. ويبدو انه في زمن رتيب ومنغلق على نفسه، كزمننا العربي الراهن، ليس هناك أفضل من الدكتاتور قدرة على التلاعب بحساسية رَجل الشارع التي همّشتها ماكنة القمع العربية حتى احالتها إلى مادة طيّعة لشعارات الحركات السياسية الرومانسية والاصولية. اذ طالما كان هناك عالمٌ آخر (بكل النقاء وبكل اليقينية المفترضة) هو العـالم الـذي تَعدُ به الاساطير السياسية (سواءاً كانت ذات مرجع ديني أو دنيوي)، فليتفجر سريعاً هذا العالم الارضي الذي لا يطاق. فما سيخسره مؤقتاً هذا الجمهور النافذ الصبـر والمحـاصـر ببؤس الحياة وشـراسة القمع، سوف يستعيده بشكل دائم في عالم فردوسي منتـظر! . ان رجل الشارع ينتظر ظهور قائد قوي ليستثمر فيه ضعفه ومحدوديته باعتبار ان هذا القائد هو بالدرجة الاولى رمز للقوة المجردة وليس باعتباره قائداً ـ محرراً أو مستبداً ـ عادلاً. ان ايجابية الدكتاتور لا تتجلى إلا بعد رحيله، بينما يقترن حضوره بالقوة التدميرية التي تلهب خيال الجمهور المقموع وكأنها الفضيلة الأرقى. ولا حاجة هنا إلى الاستطراد في مقارنة مفصّلة بين مفهوم الذكورة والانوثة في التحليل النفسي وبين تماهي السلبية «المؤقتة» للذات الجماعية مع الايجابية المهيمنة للدكتاتور. ان العلاقة الناشئة في هذده الحالة هي علاقة إسقاط أكثر منها علاقة جدلية بين نقائض فاعلة.

أما بصدد التأييد «الشعبي» داخل العراق لمغامرة الدكتاتور فانها تحتمل تحليلاً من نوع آخر يقوم على افتراض انعدام امكانية الاختيار بالمعنى المطلق للكلمة أمام شعب وضعته الدكتاتورية الفاشية في طريق مسدود يعلو في نهايته جدار منيع هو جدارها، فلا أحد يمكنه مس الجدار ناهيك عن تسلّقه للتطلع فيما وراءه. وفي هذه الحالة لا يغدو مجدياً البحث عن مدى اقتناع أو عدم اقتناع الشعب بالسلطة، ولا ايضاً عن مدى تعبير

هذه السلطة عن الدوافع الأعمق والرغبات الأشمل التي قد تكون غائبة عن بصيرة ووعي الشعب بينما هي واضحة كل الوضوح في أعين السلطة كما لو أنها الحقيقة التي تسوّغ لها (للسلطة) امتشاق اسلحتها القسرية والاقناعية لتصويب انظار الشعب اليها!. ما هو مجدٍ بحثه بنظرنا هو العلاقة بين سلطة، رمزها فرد متحكم، مقتدرة وحاضرة ـ كوهم شديد المفعول ـ في كل مكان، وبين جمهور مخصيّ وغائب بالمعنى الفعلي للكلمة، أي بمعنى الارادة والاحتواء على المقاومة [لا تدخل المعارضة الوطنية ضمن جمهور السلطة بالبداهة].

ان أول ما يواجهنا في هذه العلاقة هو ارتكازها، **أولا**، على وجود مؤسسات تأخيرية قوية للكيان الاجتماعي (الحزب ومنظماته واجهزته العسكرية والايديولوجية) تجعل استخدام القمع أمراً عادياً في كل الاحوال لأن مصدر الخطأ هو بالضرورة الفرد أو مجموعة الافراد. ان حصانة هذه المؤسسات تنبع من ولائها الثابت لشخص الدكتاتور أما صلاحياتها فانها دائماً موضعية؛ انها مراكز محلية للقسر والاخضاع. أما الصلاحية الشاملة فهي محفوظة للدكتاتور وحده. وتقوم هذه العلاقة، ثانياً، على تحقق إيهام متبادل تصنع منه السلطة الجمهور وفق غاياتها الخاصة وعلى أساس مبدأ العقاب والثواب [ان جوهر فكرة الدين تقوم على هذا المبدأ المهم للمفاضلة بين أفعال البشر، فالافعال التي تستدعي العقاب هي أفعال سيئة وتلك التي تستحق الثواب هي أفعال حسنة!. ان مبدأ العقاب والثواب يقوم على الافتراض المسبق بوجود سلطة علوية مقدسة للنهي وللطاعة أكثر من كونه نابعاً من طبيعة الافعال ذاتها.].

واذا كانت سلطة الدكتاتور تُقسر جمهورها أو توهمه بأن مصلحته تكمن ليس في قبولها وانما ايضاً في الاعجاب بها، فان الجمهور لا يفعل غير التظاهر ـ وهنا ربما يتكثّف معنى وجوده الفعلي ـ بفوزه بثقة السلطة مردداً بابتهاج خطابها واستراتيجيتها مدغماً السلطة بالوطن والدكتاتور بالشعب ؟ثمة أغنية عراقية تقول: ١٦ مليون نسمة.. والشعب صدام إسمه!!]. وهنا علينا ان نلاحظ ايضاً بأن علاقة الايهام هذه تحتمل بجانب جديتها، التي تعمّدها آلية قمع بربري، قدراً كبيراً من السخرية المتبادلة. ذلك انه من ناحية تخشى السلطة الرأي الحر لجمهورها بها فتثقل عليه بحق الصمت: حق حمل المهمات التاريخية المستحيلة واجتراح البطولات النادرة. ومن البديهي ان تحضر وراء خطاب التنظيم والاشادة مهمة تضليل ايديولوجي واعٍ من جانب سلطة بارعة في صناعة الكذب، صناعة السخرية من الشعب. أما من الناحية الأخرى فانه، لم يبق للشعب، الذي صار لا يتجرأ على التحقق من جدية السلطة سوى منازلتها في ترهاتها وتزويراتها عبر المغالاة (المازوخية) في قبول الارادة القدرية المفروضة عليه. ان جمهور الفاشية هو ذلك

الجمهور الذي يتناوبه دوران لا ثالث لهما : دور المقاتل ودور المهرج. ومن هذه الزاوية، زاوية العلاقة الاحادية بين السلطة وجمهورها، يصح وصف المجتمع العراقي اليوم بأنه مجتمع ما بعد السياسة، مجتمع انطباق السياسة مع غاياتها ومن ثم نهايتها. وخلاف ما يمكن ان يتبادر إلى الذهن فان مجتمعاً كهذا ليس بالمجتمع (اليوتوبي) السعيد لأنه في الواقع مجتمع مضاد لليوتوبيا؛ مجتمع مأساوي لا ايديولوجيات تشدّ نسيجه ولا حقوق ترسم حدوده.

هل ان سيادة علاقة من هذا النوع، وهي علاقة بنيوية شديدة التماسك تؤدي إلى الاضمحلال التام للارادة الحرة للذات، في مجتمع كئيب كالمجتمع العراقي في العقدين السابقين، يعد مؤشراً لانبجاس الشخصية الوطنية العراقية لاول مرة كشخصية موحدة سياسياً؟. يمكن ان ترجىء الاجابة على هذا السؤال حتى نتفحص التمييز الممكن بين شكلين لتحقق الوحدة الوطنية والاجماع السياسي. الشكل الأول يمثل الوحدة الناشئة عن وجود عامل خارجي مهدد لكيان الشعب ككل أو عن ظهور قائد كاريزماتي. وفي كلا الحالتين فان الطابع المفروض للوحدة والاجماع يكون مؤقتاً بطبيعته لأن زوال الخطر الخارجي أو ضعف وروتينية ظاهرة القائدة الكاريزماتي قد يقود إلى تجدد انفجار الخلافات السياسية والاجتماعية والطائفية. أما الشكل الثاني للوحدة فهو الناشىء عن ايجاد تسوية فعلية للتناقضات الاجتماعية الداخلية عبر نوع من العقد الوطني المكفول قانونياً واخلاقياً. ويمتاز الوحدة الناتجة في هذه الحالة بأنها أكثر ديمومة لانها تجسد مفهوماً واقعياً، وشمولياً في نفس الوقت، للوطن وللمواطنة. ولكن شكليّ الوحدة اللذين تطرقنا اليهما لا يمكنهما مع ذلك مفارقة طبيعتهما التاريخية وبالتالي تبرير الحديث عن وحدة وطنية بالمعنى المتيافيزيقي للكلمة. ان الوحدة الوطنية (أو الاجماع) هي تجلٍ ثابت نسبياً لحركة صراعية متعددة المستويات والابعاد، أو بعبارة أكثر دقة هي حصيلة توافق بين المتخيل الاجتماعي (تصورات الجماعة عن نفسها وعن العالم المحيط بها) وبين المصالح الايديولوجية للسلطة. ان الخطاب السياسي يجعل من الوحدة الوطنية معطىً مسبقاً بينما هي في الحقيقة اختلاق ايديولوجي - ليس زائفاً بالضرورة - وظيفته صيانة علاقة المجتمع بالسلطة عبر منح الاخيرة صلاحية الحيلولة دون ارتذاد المجتمع إلى حالة التفكك الداخلي أو انهياره بفعل تحدٍ خارجي. وهكذا يبدو انه من الخطأ الظن ان الوحدة الوطنية في العراق تجلّت لأول مرة في سياق حرب الدكتاتور مع ايران لأن هذا التجلي لم يأت كنتاج للارادة العامة للمجتمع بقدر ما جاء كنتاج لعلاقة شاذة بين السلطة والشعب. فوحدة خلقها الاعلام والقمع لا يمكنها ان تنجو من إمكانية التراجع الحاد إلى أشكال دنيا من الولاءات القبلية والطائفية والسياسية بسبب عدم إقتران خلخلة التركيبة الاجتماعية في العراق بتقديم

بديل أكثر رقياً من الولاءات التقليدية. اضافة إلى هذا فانه يمكن الاشارة إلى سابقة تاريخية مهمة لتجلي الوحدة الوطنية العراقية هي تلك التي مثلتها الفترة القصيرة التي أعقبت ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ حيث عاش الشعب تجربة انهيار النظام القديم وبداية حياة سياسية جديدة تجسدت في معاداة الاستعمار وفي ظهور شخصية كاريزماتية اصيلة هي شخصية عبد الكريم قاسم. لقد كادت الوحدة الوطنية آنذاك ان تتجسد قانونياً بسنّ دستور دائم للبلاد وبالاعتراف بحرية العمل السياسي، أما «الوحدة الوطنية» اليوم فانها لا تتجسد إلا في عسكرة المجتمع واثارة حروب خاسرة والبقية تأتي!!

بغض النظر عن موقفنا من الملاحظة القائلة بأن خطوة ضم الكويت من قبل الدكتاتور ستنطوي، حتى في حالة اضطراره إلى الانسحاب عنها، على بداية فصل تاريخي جديد في المنطقة، وبغض النظر ايضاً عن الاغراءات القوية لتنبؤ ما سيجلبه المستقبل للمنطقة جراء حدوث هذه السابقة المهمة، فاننا نقترح لفهم ما يجري اقرانه بمنطق حركة التاريخ في منطقتنا. أو بكلمة أخرى من خلال البحث في مدى صيرورة تاريخ المنطقة، بفضل سابقة الدكتاتور المشار اليها، أو بفضل ما عداها من التجليات الفوضوية العنيفة، نحو غايةٍ محددة يمكن تسميتها الوحدة؟. ان نظرة أولية إلى تاريخ العرب في العقود الاربعة الاخيرة يمكن ان يقودنا إلى ملاحظة المآل الواقعي لخطابات التوحيد القومي: تجذير حالة التجزئة التي فرضها الاستعمار. ولكن هذا الاستنتاج السياسي النظري لم يبلغ بعد قاعدة المجتمعات العربية، أي انه لم يؤدِ إلى اندثار الوهم الوحدوي التقليدي من المتخيل الاجتماعي العربي. فهذا المتخيّل لم يزل ينزع إلى الوحدة ربما لانها تنسجم ببساطة مع الطابع التوحيدي للايمان الديني، أو لانها تعبر عن مطلب عملي: وحدة السوق. ولكن الوحدة في هذا المتخيل قد استحالت، بسبب الفشل المتكرر للاجراءات السياسية لتحقيقها ولو جزئياً، إلى تحديد سلبي، أي إلى نفي للمشهد المعاش الذي هو مرادف للعوز الاقتصادي والحروب الداخلية وغياب الحريات. ومن كونها نفي متعالٍ عن الواقع فان الوحدة تصبح ملجأً تعويضياً وأملاً اخروياً في الوجدان القومي العربي. ان الفكر السياسي، الذي يعمل على استثمار وبالتالي تعميق الفجوة بين واقع الوحدة ومثالها، هو ما نود ان ننتقده هنا (وان بصورة سريعة) ابتداءاً من طرح فرضية تذهب بعكس ما هو شائع بأن الشعوب العربية مجزأة وتسعى إلى الوحدة. ان هذه الفرضية تقول بأن الشعوب العربية اليوم هي موحدة اصلاً، ضمن شروط سياسية سلبية شاملة، ولكنها تتحرك ـ دون ان تعي ذلك وبسبب هذه الشروط السلبية ذاتها ـ نحو تجزئة متزايدة. وكما هو واضح فقد استغلت العقلية المناورة لدكتاتور العراق صورة العرب المجزأين والباحثين عن الوحدة (بالضد من «مؤامرات الامبريالية والصهيونية»... الخ) وكسبت

تأييداً شعبياً وسياسياً لا يستهان به على المستوى العربي . لكن هذا الايهام سوف لن يدوم طويلاً، لأن الصورة النقيضة للعرب ـ اولئك الموحدين ولكن المدفوعين نحو التجزئة! ـ سوف تتجلى للوعي الذاتي بعد ان تجلت طويلاً في الواقع . وعندئذ سيكتشف ان في بطانة الخطاب القومي الصارخ «والصحيح» تكمن مصالح قطرية تسلطية ثقيلة . ان ضم الكويت لم يؤكد حتمية توّحد العرب بل ربما حتمية الطابع الدوراتي لتاريخهم؛ فكل ما أنجزته السياسة العربية المعاصرة يدخل في مجال اعادة انتاج بنية تفكير وممارسة تقوم على الرفض المثالي لحالة التجزؤ القومي من أجل تعميقها واقعياً ثم البدء برفضها مجدداً . . وهكذا دواليك. ان مصير الوحدة هو كمصير الديمقراطية (لم يسفر رفض الاستبداد والتسلط إلا عن اختمار وضعيات غير ديمقراطية «بديلة»)، فكلاهما يشهدان على دوراتية تاريخنا المعاصر. ان مثالي الوحدة والديمقراطية يمكن ان يقدما للباحث مادة مثلى لدراسة علاقة الافتراض بين التاريخ (الواقع) وبين السياسة (الارادة). وبانتظار فكر سياسي عربي ناقد للثنائيات العقيمة: وحدة/ تجزؤ، اصالة/ تقليد، محلي/ اجنبي . . . الخ، يظل الدكتاتور العراقي بامتياز رائد الاحتمالات المسدودة.

* * * *



من اجل التضامن العربي مع الاكراد

في أوائل آب الماضي جرى لقاء بين الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية للتداول بشأن مستجدات القضية الكردية ومناقشة السبل لتضامن حركة التحرر العربية مع نضال حركة التحرر الكردية، وتنسيق جهود الشيوعيين العرب في هذا المجال. وفيما يلي المداخلة التي قدمها ممثل حزبنا في هذا اللقاء:

الشعب الكردي هو أحد الشعوب الشرقية العريقة. عاش الكرد على أرض وطنهم منذ الوف السنين، وحافظ الشعب الكردي على وجوده على أرض كردستان على الرغم من حملات الغزو العديدة التي مرت على منطقة الشرق الاوسط في مختلف العصور.

لقد ساهم الشعب الكردي مساهمة كبيرة في بناء حضارات المنطقة ومنها الحضارة الاسلامية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نشير إلى الدور البارز للقائد الكبير صلاح الدين الايوبي في دحر الصليبيين الغزاة، إلى جانب دوره في العناية بالعلم والثقافة.

- حدث أول تقسيم فرض على كردستان (عام ١٥١٤) على يد العثمانيين والصفويين. فالقضية الكردية نجمت عن عمليات الاخضاع والتقسيم التي كانت السبب الاساسي لعرقلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والحضاري للشعب الكردي الذي لحق به غبن تاريخي كبير ولا يزال.

ـ ان حركة التحرر الكردية في مختلف اجزاء كردستان هي حركة تاريخية موضوعية ولدت استجابةً لضرورات التطور الموضوعي في جميع النواحي.

يبلغ تعداد السكان الاكراد حسب الاحصائيات الرسمية أكثر من (٢٢) مليون نسمة موزعين في تركيا وايران والعراق وسوريا وفي الاتحاد السوفييتي.

وان تاريخ كردستان المعاصر يحتفظ بالعديد من الصفحات المشرقة التي تجسدها النضالات والانتفاضات وكذلك الصفحات السوداء لمضطهدي الاكراد، ومجازر الابادة الجماعية، كما في عام ١٩٢٥ على اثر انتفاضة الشيخ سعيد بيران في كردستان تركيا، حيث دمر النظام التركي (٢٢٠) قرية كردية، واباد حوالي عشرة آلاف شخص، بينهم الكثير من الاطفال والشيوخ والنساء. وفي ايران على اثر اسقاط جمهورية مهاباد لكردستان ايران عام ١٩٤٧ ارتكب نظام الشاه مجازر رهيبة بحق الالوف من السكان الكرد بعد اعدام قادة الجمهورية والكثير من المناضلين الثوريين.

في العراق ليس الاكراد أقلية، بل هم القومية الرئيسية الثانية في البلاد كما يعترف بذلك الدستور المؤقت. وهناك اقليات قومية وهم الآشوريون والكلدان والتركمان والارمن. وبعد ثورة ١٤ تموز عام/ ١٩٥٨ ثبت الدستور ان العراق شراكة للعرب والاكراد. وان هذه الصيغة كسبت المزيد من عطف الكرد لمساندة ودعم الثورة بحماس وبتأثير من الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق وكافة القوميين والتقدميين الاكراد.

ولكن بعد مدة قصيرة اضطر الشعب الكردي ان يخوض نضالاً صعباً في وجه دكتاتورية عبد الكريم قاسم للمطالبة بالحقوق القومية.

من الجدير بالذكر ان الحركة القومية الكردية في الغراق هي أكثر تطوراً مما هي عليه في بقية اجزاء كردستان، وذلك بفضل الحركة الديمقراطية العراقية وبسبب دور الحزب الشيوعي العراقي وصواب سياسته تجاه القضية الكردية منذ البداية، وذلك انطلاقاً من مبادىء الماركسية ـ اللينينية والاممية البروليتارية.

رفعت جريدة كفاح الشعب الجريدة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي سنة ١٩٣٦ شعار الاستقلال وحق الشعب الكردي في تقرير المصير وهذا مطروح في وثائق الحزب أكد عليه الكونفرنس الثاني عام ١٩٥٦ وثبت في برنامج الحزب، ورفع الحزب شعار «على صخرة الاتحاد العربي الكردي يتحطم الاستعمار والرجعية»، ولا شك ان الاعتراف المبكر لحزبنا والقوى التقدمية في بلادنا بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي واسناد كفاحه العادل ساعد على التلاحم النضالي وقدم دعماً تاريخياً كبيراً لنضال الشعب الكردي. وسُنّ قانون الحكم الذاتي بفضل نضالات الشعب الكردي ودعم الحركة الديمقراطية له على اثر

اتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠.

وفي العراق يتعرض الشعب الكردي منذ سنوات طويلة إلى حملة ابادة جماعية وحرب شوفينية حقيقية تنطلق خلفيتها من الموقف الشوفيني ازاء حق الشعب الكردي من ممارسة حقوقه القومية المشروعة، لابد من التأكيد على الترابط الكفاحي بين الحركة التحررية الكردية من جهة وحركة التحرر الوطني العربية وكذلك سائر حركات التحرر في المنطقة، والترابط العضوي بين الديمقراطية والحقوق القومية للشعب الكردي وحقوق الاقليات القومية.

ـ ان الشعب الكردي هو الشعب الوحيد في العالم بهذا التعداد السكاني لم يحصل على حقوقه القومية العادلة لحد الآن.

ـ يبلغ عدد الكرد في العراق حوالي اربعة ملايين نسمة، وهناك صفحات مجيدة من النضال المشترك تجسد الاخوة العربية ـ الكردية والاقليات.

ـ يتعرض الشعب الكردي إلى حملة ابادة شوفينية واسعة النطاق، وفي العراق اتخذت ابشع صورة الابادة العرقية، وقصف النظام الدكتاتوري الشوفيني في العراق أكثر من (١١٢) موقعاً ومنطقة في كردستان العراق بالسلاح الكيمياوي. وكانت قمة الاجرام في قصف مدينة حلبجة الكردية (يبلغ سكانها حوالي ـ ٧٠ الف نسمة) حيث استشهد حوالي (٥) آلاف مواطن وجرح حوالي عشرة آلاف، وتم تهجير أكثر من اربعة آلاف قرية والعديد من المدن والقصبات وشرد أكثر من مائة ألف إلى معسكرات تركيا وايران ويعيشون في ظروف سيئة للغاية، وجرت حالات التسمم في معسكر (ماردين) بتركيا.

ـ في كردستان العراق حوالي (٥٥) الف كم^2 خالية من البشر من جراء التهجير وحرق القرى والبساتين وسد منابع وعيون المياه، جراء سياسة (الارض المحروقة).

من جراء الحرب المدمرة التي شنها نظام صدام الدموي تعرضت منطقة كردستان إلى المزيد والمزيد من الخراب والدمار.

ـ وتم تشريد أكثر من مليون مواطن عراقي خارج الوطن من العرب والكرد ومن الاقليات القومية.

ـ جرى تغيير الطابع السكاني القومي والجغرافي للكثير من مناطق كردستان.

ـ وينتهك النظام الحقوق الفردية والاجتماعية والثقافية بفظاظة، ويعم الارهاب الفاشي والقتل الجماعي والاعدام بالجملة، وشمل اعتقال وقتل الاطفال وحتى بيعهم كما حصل في نهاية عام ١٩٨٨.

ـ ولا يزال مصير الالاف من العوائل مجهولاً بينهم (٨) ثمانية آلاف من البارزانيين منذ عام ١٩٨٣.

فان حزبنا والقوى والاحزاب الوطنية المتحالفة والشعب الكردي حريصون على تمتين اواصر الاخوة والتلاحم الكفاحي مع فصائل حركة التحرر الوطني العربية ويناضلون من أجل الحقوق القومية تحت شعار الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان.

وان الجبهة الكردستانية العراقية التي انبثقت بجهود مشتركة من ستة احزاب بما فيها حزبنا من خلال مشاركة منظمة الحزب في اقليم كردستان تواصل النضال ضد الدكتاتورية وضد حرب الأبادة (انجينو سايد) ومن أجل الحفاظ على الوجود القومي للشعب الكردي ومن أجل الحقوق القومية العادلة للانسان وحفظ كرامته.

ان القضية الكردية في الظروف الراهنة تحتل موقعاً هاماً وبتصورنا تحتل المركز الثاني بعد القضية الفلسطينية في الشرق الاوسط، تتصاعد على الصعيد المحلي والدولي.

وبفضل التضحيات الكبيرة للشعب الكردي ودعم حلفائه واصدقائه بدأت القضية الكردية تفرض نفسها على المسرح الدولي واصبحت موضع اهتمام الرأي العام العالمي والكثير من الاوساط التقدمية بما فيها الاوساط الغربية والشخصيات التقدمية والليبرالية التي تزيد من تضامنها مع الشعب الكردي.

- عقد مؤتمر باريس في منتصف تشرين الاول/١٩٨٩ بمبادرة من منظمة فرنسا - حريات والمعهد الكردي في باريس تحت شعار، الاكراد: (حقوق الانسان والهوية الثقافية) حضرته (٣٠٠) شخصية من (٢٦) بلداً توصلوا إلى العديد من القرارات والتوصيات، منها طلب تمثيل الاكراد بصفة مراقب في الجمعية العامة للامم المتحدة.

- وعقد مؤتمر في لوزان في نيسان/ ١٩٩٠ حضره أكثر من اربعين شخصية عالمية صديقة للشعب الكردي من مختلف البلدان.

- ومن المقرر عقد مؤتمر في ايلول القادم في ستوكهولم حول الشعب الكردي والتضامن معه.

- عقد اكراد الاتحاد السوفييتي في اواخر تموز الماضي مؤتمراً بحضور شخصيات كردية من مختلف اجزاء كردستان لدراسة وضع اكراد الاتحاد السوفييتي بصورة خاصة.

- ومن الجدير بالذكر ان الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية تضامنت في العديد من المرات وفي مختلف السنوات مع قضية الشعب الكردي:

- قبل حوالي سنتين شكلت لجنة عالمية للتضامن مع الشعب الكردي بينهم شخصيات عالمية معروفة في اوربا وآسيا وافريقيا بينهم الرفيق محمود أمين العالم.

- نقترح التوقف عند القضية الكردية والمحنة الرهيبة التي يعاني منها الشعب الكردي

والتعبير مجدداً عن التضامن مع النضال العادل الذي يخوضعه الشعب الكردي المناضل.

ونحن في هذا الاجتماع ندعو إلى تشكيل لجنة تضامن عربية مع الشعب الكردي مع حقوق الشعب الكردي، مع حقوق الانسان ومع الديمقراطية والحرية وليس شيئاً آخر، وهذا في تقديرنا هو أحد المواضيع الهامة للاعراب عن شعار:

«على صخرة الاتحاد العربي الكردي تتحطم كافة مؤامرات الاستعمار والرجعية».

ونحن نتطلع لتضامن حركة التحرر العربية مع حركة التحرر الكردية، هذه المسألة بتقديرنا جيدة ومفيدة للاستفادة من مساهمة الشخصيات الشيوعية والديمقراطية والوجوه الاجتماعية والشخصيات الثقافية والدينية، وفي رأينا نوجه نداءاً باسم هذه الشخصيات التي يتم الاتفاق عليها في مختلف البلدان ويجري توقيع نداء يدعو إلى تعزيز التآخي العربي ـ الكردي ويعبر عن التضامن.

١٩٩٠/٨/٩

ملاحظة:

تم الاتفاق على تشكيل لجنة تضامن عربية مع الشعب الكردي بأقرب وقت تضم شخصيات من كل بلد من ١ ـ ٣ شخصية.

وتم توزيع ملف واسع من الوثائق حول جرائم الحرب الشوفينية ضد الشعب الكردي في العراق والارهاب الفاشي في العراق عموماً.



رسالة مفتوحة إلى الاستاذ هادي العلوي

عدنان حسين

هذه الرسالة كان قد وجهها كاتبها إلى مجلة «الهدف» الفلسطينية التي نشرت للاستاذ هادي العلوي مقالين، الأول حث فيه الجيش العراقي على عدم الانسحاب من الكويت باعتبارها «حقاً تاريخياً» للعراق و «جزءاً منزوعاً منه»، والثاني أعرب فيه عن شماتته بأهل الكويت، مما حل بهم من تهجير وتدمير وانتهاك للحقوق، بسبب المعاملة السيئة التي تلقاها، في السنوات الماضية، المواطنون العراقيون الفارون من ارهاب النظام العراقي، من قبل السلطات الكويتية، وتأييد الصحف وبعض الشخصيات الكويتية لسياسات النظام العراقي. واستشهد الاستاذ العلوي في مقاله الثاني بنص قديم يقول بأن من لايشمت بعدوه «حمار». وقد رفضت ادارة «الهدف» نشر هذه الرسالة مما أعطى لكاتبها الحق في نشرها في دوريات أخرى.

حاشاك، يااستاذي وزميلي هادي العلوي، ان تكون من عائلة الحمير وأنت البحاثة المبدع والمؤرخ التنويري، لكنني أخشى عليك ان يحسب الذين لا يعرفونك جيداً ان نسيبك قد تحوّل من عائلة الانسان المظلوم، المحروم، المضطهد، المعذّب، المقموع،

المدافع الجريء عن حقوق الانسان، إلى عائلة اولئك الذين يستمرئون القتل وسفك دم البشر.

في مرة سابقة منحت، ياهادي، بركاتك لأولئك الذين اطلقوا رصاصهم وكلابهم الحديد (الدبابات) في ساحة السلام السماوي ببكين على الشبيبة اليافعة التي لم تكن تريد سوى صين ديمقراطية واشتراكية صينية انسانية.. وقفت، على نحو مفجع، إلى جانب الجلادين القتلة ضد الضحايا الابرياء، معتبراً ـ عن خطأ ـ ان الأخيرين، بأجمعهم، عملاء للـ (سي. آي. أيه).

وها أنت اليوم تفجعنا، مرة ثانية، باستحسانك ما فعله صدام حسين في الكويت، تارة بالقول ان الكويت حق تاريخي للعراق وأخرى بالشماتة من أهل الكويت، حكومة وأهالي، لأنهم لم يحسنوا إلى الوطنيين العراقيين معارضي صدام.

أنتَ على خطأ. فصدام ـ كما تعرف ـ لم يذهب إلى الكويت لاستعادة حق تاريخي تنازل عنه هو، طائعاً مختاراً، مرتين في شط العرب. وصدام لم يذهب إلى هناك للانتقام لك ولي ولسوانا من معارضيه من سوء معاملتهم في الكويت.

وأنت على خطأ أيضاً، لأن في الكويت الكثير ممن لم يعيشوا «على آرائك الديباج تخدمهم بنات الهند والفلبين وسيلان». وفيها الكثير الكثير ممن كرهوا، بصدق، صدام حسين، وركبوا مركب المخاطرة والمجازفة بايوائهم ورعايتهم لوطنيين عراقيين. ما ذنب هؤلاء ان تكبسهم في صندوق واحد مع القلة التي جعلت من الكويت «بالنسبة للعراقي هوّة مظلمة لا يدرك قعرها»؟.. أهذا جزاء من أحسن، على مدى سنوات طويلة، لرفاق وزملاء لك كانت رؤوسهم مطلوبة في بغداد؟ أهذا جزاء مَنْ آوى، بعد اجتياح الكويت، الوطنيين العراقيين في بيوته، وتنازل لهم عن وثائقه الرسمية وملابسه وسياراته، وأمّنَ لهم طريق الخروج من الكويت حتى لا يقعوا في أيدي عدوهم صدام؟

ان الشماتة، أيها الأخ العزيز، هي ـ كما تعرف ـ الفرح ببلية العدو. والشعب الكويتي ليس عدواً لك أو لشعبنا العراقي أو لحركته الوطنية لتشمت به. أنا عشت في الكويت، وأعرف كم يعيش هناك من الناس الطيبين الذين يحبوننا، نحن وطنيي العراق، ويتألمون لما حلّ بنا وبشعبنا. وأعرف كم يوجد هناك من المناضلين الحقيقيين الذين لم يفسدهم المال، ولم يحرق ضمائرهم النفط، ولم تلوثهم «القذارات التي افرزتها ثقافة الكويت وصحافتها». وبالمناسبة، يقتضي الانصاف القول أن الكويت تحوّلت في السنين الأخيرة إلى واحدة من أهم مراكز انتاج الثقافة العلمية والانسانية المتميزة في العالم العربي على خلاف العراق الذي هبطت ثقافته الرسمية إلى الحضيض.

منذ أيام، أيها الأخ العزيز، شاهدتُ شريط فيديو صُوِّر سراً في الكويت، وهُرِّبَ سراً

من الكـويت. . لن أحدثك عن الخراب المهول الذي أحدثته قوات صدام حسين في «القضاء العراقي السليب». . ولن أنقل اليك مظاهر الشعور بالعار التي ارتسمت على وجوه زوجتي وابنتي وابني. . العار من السلوك المشين الذي قام به حرس صدام «الجمهوري» باسم العراق وتحت الراية الرسمية للدولة العراقية، لكنني فقط انقل اليك مشهداً واحداً مما عرضه شريط الفيديو: فتية في عمر الزهور، أولاد وبنات، يخطّون على الجدران: الموت للغزاة. . الموت لصدام. . الموت لجلاد بغداد. . الموتُ لبطل مجزرة حلبجة. . صدام = هتلر. نساء يتظاهرن ويتحدين دبابات صدام حسين ويرفعن لافتات كُتبت عليها شعارات مماثلة، ثم ينهمر عليهن الرصاص ـ من دبابات صدام بالطبع ـ فيسقطن على الأرض قتلى مع أطفالهن الرضّع أو الذين يَحبُون للتوّ أو الذين في أول صفوفهم المدرسية.

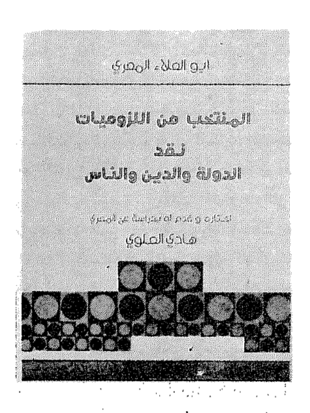
انهم يرفعون شعاراتنا، ويرددون هتافاتنا، ويموتون بالبنادق ذاتها التي أطلقت، من قبل، الرصاص على رفاق واخوة لنا في العراق.

أيستحق هؤلاء أن نشمت بهم؟

ماذا أبقينا لصدام اذن؟

أنت على خطأ كبير. وواجب الرفقة والزمالة يدفعني إلى مناداتك للعودة عن الخطأ. و«صديقك من صَدقَكَ لا منَ صَدَّقك».

أعرف انك أهل لنداء كهذا. وأسلم لمحبّك.



حقوق الانسان في الكويت منذ الغزو العراقي

المنظمة العربية لحقوق الانسان

بعد أكثر من شهرين منذ احتلال الكويت مازالت منظمات حقوق الانسان تعاني من ضباب حول تفاصيل ما يحدث في مجال حقوق الانسان هنالك. فرغم كثافة الاهتمام الدولي والقومي بأحداث الكويت، وانغماس العديد من الهيئات الرسمية والاعلامية في تتبع كل صغيرة وكبيرة مما يحدث هنالك، فلا تزال معظم التقارير المعنية تتسم بالعمومية، وتخلو من التفاصيل التي تمثل عصب التقارير النمطية لمنظمات حقوق الانسان.

وربما لا نضيف جديداً اذا قلنا ان السبب الرئيس وراء هذه الظاهرة يكمن في توظيف المصادر الاعلامية والسياسية لمعلوماتها وأخبارها في الصراع المحتدم حول أزمة الخليج. لكن الواضح ان هذه الظاهرة تخلق نمطاً مثيراً من الجدل وسط ظروف التباين المعروفة في رؤى ومواقف بعض القوى السياسية العربية من موقف العراق، والتي تتزايد مع تفاقم حجم ودور القوات الاجنبية، واحتمالات المواجهة العسكرية. وينتظم هذا النمط الجديد من الجدل في منظومة من الأسئلة والتساؤلات، تدور حول التشكيك في دقة المعلومات، وحيدة المصادر، والحاجة لتلافي الانسياق وراء اعلام الأزمة وعدم استخلاص ظواهر أو احكام كلية من جزئيات، أو وقائع فردية.

ولا تجافى هذه الملاحظات الصواب، ولكن الأمر يتوقف على السياق العام للتناول والغرض منه، فاذا كان الغرض من التناول هو المحاجحة السياسية، فقد أصاب أصحاب هذه الآراء مرمى مغايراً، أما اذا كانت المجادلة تتعلق بالتدقيق والحذر فهذا مقصد متفق

عليه، يضيف لصحة الغاية صواب الاسلوب. فالاختلافات بين المصادر هي في الواقع اختلافات كمية فليس ثمة من يجادل في سقوط قتلى، أو تنفيذ أحكام اعدام، أو وقوع أعمال سلب ونهب، أو حدوث حالات اغتصاب. ولكن الجدل يثور حول حجم هذه الوقائع، وما اذا كان بعضها يمثل سياسة حكم أم انفلات أفراد، وكذلك تفسير هذه الوقائع. وندلل على ذلك بمثال من اتصالات أحد مسؤولي المنظمة بدبلوماسي عراقي رفيع حول بعض وقائع النهب والسلب التي وقعت. ففي هذا الاتصال لم ينف الدبلوماسي العراقي وقوع مثل هذه الحالات ولكنه جادل بأن أحداث النهب لم تقع من مواطنين عراقيين فحسب، ولكن شارك فيها جنسيات أخرى كذلك، وان السلطات العراقية أعدمت من تورط في هذه الاعمال.

مثل هذه التبريرات ليست مما يبعث على الرضا، فلا نحن راضون عن وقوع أعمال سلب ونهب، ولا عن توسيع نطاق الاعدامات لتشمل مثل هذه الحالات، ولا نحن مطمئنون انه قد كفلت محاكمات عادلة لمثل هؤلاء المتهمين. ومع كل ذلك تظل هناك قضايا خارج التفاصيل تستدعي وقفة موضوعية، فهي ترتبط باجراءات رسمية، صادرة عن مسؤولين ولا تنطوي على أي لبس. وتشكل عصب القضية الكبرى في الكويت مثل قرار الضم وانكار حق الكويتيين في تقرير مصيرهم.

دوائر الانتهاك:

من بين بنود حزمة التشريعات الدولية التي تعرف «بالشرعية الدولية»، وتمثل قوام المبادىء الدولية لحقوق الانسان، والتي استقرت كقانون ملزم للدول التي صادقت عليها، ومن بينها العراق، تكاد لا توجد فقرة لم تتعرض للانتهاك بدءاً من حق تقرير المصير المنصوص عليه في المادة الأولى من العهدين الدوليين للحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى آخر مادة في العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تنص على انه «ليس في العهد الحالي ما يمكن تفسيره بأنه تعطيل للحق المتأصل لجميع الشعوب في التمتع بثرواتها ومواردها الطبيعية والانتفاع بهاكلية وبحرية». وعلى الخط الواصل بين جملة هذه الحقوق يقع نهج غير خاف من الانتهاكات لحقوق المواطنين الكويتيين. ولكن في تقرير موجز، ومساحة محددة للنشر ليس هناك مفر من التركيز على القضايا الكبرى.

قضيتنا الكبرى هنا في حق تقرير المصير للكويتيين. والتبريرات الثلاثة المتناقضة التي قدمها العراق في ظرف أسبوع واحد بدءاً من «ثورة طلبت الدعم»، ومروراً «بالوحدة

الانـدمـاجية»، وانتهاء «بالضم على أساس الحقوق التاريخية» لا تغير من حقيقة انكار النظام العراقي لحق هذا الشعب في تقرير مصيره. ولا تعطي العراق الحق في فرض ظروف ضاغطة لاخلاء الكويت واحراق ملفات السجل المدني، ونزع وثائق الهوية من النازحين وتـوطين عائـلات عراقية هنـالـك، وهذه الاجراءات لا تتعارض مع الحقوق الواردة في العهـدين الدوليين فحسب، وانما تتعارض كذلك مع جوهر قضية حقوق الانسان، ومع القانون الدولي الذي يحرم تغيير الطبيعة الديموغرافية للاراضي المحتلة. بل وتتعارض أيضاً مع مجمل ما استقر عليه الفكر القومي من ثوابت في السنوات الأخيرة.

أمـا الآثـار الفرعية التي تترتب على هذه الخطوة من طمس هوية الشعب العربي بالكويت، واعلاء رموز الاحداث التاريخية العراقية، واطلاق اسماء ابطالها الوطنيين على الطرقات والمؤسسات العامة فتنتهك بدورها الحقوق الثقافية للمجتمع الكويتي حتى ولو داخل مجتمع تسوده ثقافة قومية واحدة.

لكن ربما يكون أهم النتائج الفرعية لهذا الاجراء هو مد القوانين العراقية للكويت، بحكم اعـلان الضم، بالمخـالفـة لكل المواثيق والاتفاقيات الدولية، والمفارقة هنا تثير المزيد من القلق فليس هيكل القوانين العراقية هو أفضل بديل للقوانين الكويتية، وثمة اجماع بين منظمات حقوق الانسان بأن القوانين العراقية تحتاج للكثير من التطوير فيما يتعلق بحقوق الانسان قبل أن تصلح للتطبيق في العراق ذاته. وفضلاً عن ذلك فان حرمان المواطنين الكويتيين من حقهم في تقرير مصيرهم، يعود بالنضال من أجل حقوق الانسان في الكـويت سنـوات إلى الـوراء فبعـد أن كان أبرز هموم هذا النضال هو اعادة الحياة الدستورية والنيابية وتوسيع نطاق المشاركة في ادارة شؤون البلاد، وتعزيز هيكل الحقوق والحريات الاساسية للتعبير. أصبح جُل المطلب الشعبي الكويتي الآن هو استعادة الحق في تقرير المصير، وحماية المدنيين تحت الاحتلال.

وإذا كان حق تقـرير المصير هو «أب» الحقـوق الجماعية كلها فقد نصت العهود الدولية كذلك على حق الشعوب في ان تتصرف بحرية في ثرواتها ومواردها الطبيعية وعدم حرمان شعب من وسائله المعيشية الخاصة، وهذه هي القضية الثانية الرئيسية في انتهاك الحقوق الجماعية في الكويت. لقد حفلت المصادر المختلفة بتفاصيل كثيرة عن استيلاء العراق على موجودات المصارف الكويتية والمخازن الرئيسية، كما تعرضت بعض المصادر لنقـل المعـدات الـطبية وتجهيزات المستشفيات والمـدارس، والاموال المنقولة لبعض الـوزارات والمصـالـح والهيئات الحكومية إلى العراق. وبغض النظر عن مدى دقة هذه الانبـاء، فقد وضع النظام العراقي يده رسمياً على منابع النفط ـ المصدرُ الرئيسي لثروة الكويت ـ وأعاد تقويم العملة الكويتية بأدنى من قيمتها الحقيقية كثيراً، وساواها بالدينار

العراقي قبل ان يلغيها كلية. ورغم كل التحفظات التي يثيرها البعض على طريقة السلطة الكويتية السابقة في إدارة ثرواتها، فان هذا يأتي مخالفاً لنصوص العهود الدولية.

وفي مجال وسائل الاعلام والاتصال، فقد قوضت سلطات الاحتلال الهامش المحدود لحريات الصحافة في الكويت، ولم يعد يصدر هنالك سوى صحيفة يومية موالية للعراق يطلق عليها «النداء» فيما تشرف السلطات العراقية - بالطبع - على الارسال الاذاعي والتليفزيوني. كما أوقفت وسائل الاتصال الخارجية من تليفون وفاكس وتلكس كلية.

فاذا ما انتقلنا من دائرة الحقوق الجماعية إلى دائرة الحقوق الفردية، فاننا لا ننتقل - للأسف - لميدان أفضل لمنظومة حقوق الانسان. ففي صدارة هذه الحقوق يُنتهك حق الحياة. ومصادر هذه الظاهرة متعددة تبدأ بمواجهة صور التعبير السلمي. أو شبه مقاومة سلطات الاحتلال، وقد أصدر مجلس قيادة الثورة العراقية قراراً في ١١/ اغسطس/ آب بتجريم اخفاء الاغذية لاغراض تجارية بعقوبة الاعدام. وفي ٢٤ اغسطس قرر مجلس قيادة الثورة كذلك عقوبة الاعدام كذلك لمن يدان بالنهب في الكويت. واعتباراً من ٢٥ اغسطس/ آب اضيف ايواء الاجانب كسبب للاعدام، كما أصدرت السلطات العراقية قراراً يهدد الموظفين الكويتيين من ذوي الوظائف القيادية بالاعدام اذا لم يلتحقوا باعمالهم اعتباراً من يوم السبت ٢٢ سبتمبر/ ايلول.

والأمثلة كثيرة ومتنوعة، في الممارسة، ففي مواجهة صور الاحتجاج السلمية اطلقت السلطات العراقية النار على مظاهرة احتجاج سلمية صغيرة تضم ٣٥ امرأة وشاب صغير في منطقة الجابرية بمدينة الكويت يوم ٨ اغسطس راح ضحيتها شابة (٢٠ عاماً) وطفلان (١٣، ١٦ عاماً) إثر اصابتهم جميعاً في الرأس. وتكررت نفس الظاهرة في مواجهة مظاهرة أخرى في الرميثة يوم ١١ اغسطس/ آب غير انها أسفرت عن سقوط جرحى فحسب. كما تفيد التقارير الواردة للمنظمة عن سقوط قتلى آخرين خلال عمليات القصف العشوائي التي لجأت اليها سلطات الاحتلال لقمع المقاومة بقصف المناطق السكنية شرقي منطقة كيفان السكنية، وقد قدرت اللجنة الكويتية لحقوق الانسان ضحايا هذا القصف بنحو ٤٥ - ٥٠ من المدنيين.

كذلك فان التقارير الخاصة بحالات الاعدام متعددة، وتفيد التقارير الواردة للمنظمة ان سلطات الاحتلال اعدمت مجموعة من المدنيين في منتصف شهر سبتمبر/ ايلول منهم خالد السمحان وعادل الفلاح، وعادل غانم الدبوس ومبارك فالح النوت. وكان الأخير من العناصر النشطة في الحركة الديمقراطية التي قامت بعدة تظاهرات قبل أشهر من الاحتلال. كما تفيد التقارير انه تم اعدامه رمياً بالرصاص على مشهد من الناس. كما تفيد التقارير كذلك باعدام شقيقين من أسرة دشتي بعد القاء القبض عليهما بتهمة استخراج

بطاقات مزورة. وقد تم ذلك اثر اعتقالهما لمدة ثلاثة أيام، وجرى اعدامهما في الحي السكني الذي يقطنان به أمام ذويهما وأقربائهما.

وتشير اللجنة الكويتية لحقوق الانسان انها تلقت معلومات بتاريخ ٢١/٩/٩٠ عن وقائع اعدام وقتل لمواطنين كويتيين في الداخل هم عبد العزيز الرقم، وحمود الجاسم، وهزاع الرشيدي، وبدر رجب الكندي، وعادل الرقم، وسناء عبد الرحيم، وعادل أحمد العبس، ونواف مبارك الخشان، ومحمود خليفة الجاسم، وغازي العتبي، وأوضحت اللجنة انها لم تستطع التعرف على تفاصيل الظروف التي أفضت إلى اعدام أو قتل هؤلاء.

كما تلقت المنظمة مؤخراً معلومات أخرى عن اعدام ثلاثة من موظفي الهلال الاحمر في الكويت هم د. عبد الرحمن السميط، وابراهيم بهبهاني وعبد الكريم جعفر، وآخران هما د. هشام عبيدان ود. البلهان مدير مركز علاج السرطان. وذلك بعد ورود أنباء عن توقيفهم وغموض مصيرهم، خاطبت المنظمة السلطات العراقية بشأنها ولم تتلق رداً.

وتقدر منظمات حقوق الانسان عدد القتلى في الكويت منذ الغزو بعدة مئات ورغم عدم توفر معلومات أكثر تحديداً، إلا ان تقدير المنظمة ينصرف إلى ان المشكلة جسيمة، وهو ما يفسر قرار المقاومة الكويتية بالاعلان عن وقف عملياتها في الاحياء السكنية نتيجة لعنف رد فعل سلطات الاحتلال. وليس بوسع أحد الإيحاججنابدقة الارقام. فسواء كان عدد ضحايا الاحتلال بضعة عشرات أو أكثر أو أقل فان الأمر في كل الحالات يثير الجزع.

ويتعرض الحق في الحرية والسلامة الشخصية، بدوره لانتهاكات أساسية في الكويت والتفاصيل هنا ذات أهمية قصوى في المطالبة بالافراج عن المحتجزين. بيد ان ما تحت أيدي منظمات حقوق الانسان لا يتجاوز تفاصيل وأسماء لبضعة عشرات يجري الحوار بشأنها مع السلطات العراقية، بينما تجمع المصادر ان الظاهرة أشد من ذلك وطأة وتقدر أعداد المحتجزين بالمئات.

أما نوعية الأسباب التي تقود للمعتقل فهو يثير القلق، وأحياناً ما يكون عدم الانصياع لأمر تثبيت صورة الرئيس العراقي في مؤسسة ما سبباً كافياً للاعتقال.

وقد أوردت منظمة العفو الدولية أسماء ستة معتقلين ذكرت انهم اعتقلوا يوم ٣ اغسطس/ آب عقب الغزو بسبب مشاركتهم في مظاهرة سلمية في منطقة الصليبخات تعارض الغزو. وهؤلاء هم حيدر اشكاناني (٢٤ سنة) ومحمد كاظم (٢٦ سنة) وعلي كاظم (٢٢ سنة) وعبد المحسن كاظم (١٨ سنة) وعبد الوهاب الكلاف (١٩ سنة) ومحمد ابراهيم (١٨ سنة).

كما أوردت مصادر رسمية كويتية أسماء أربعة أعضاء سابقين في مجلس الامة الكويتي تم القبض عليهم بين عدد كبير من المدنيين عقاباً على رفضهم التعاون مع

سلطات الاحتلال. وهم خالد سلطان العيسى عضو مجلس الامة السابق وعضو مجلس التراث الاسلامي، وعبد الكريم الجحيدلي عضو مجلس الامة السابق وعضو المجلس الوطني، ومبارك الدويلة وجاسر الجاسر عضوا المجلس الوطني. وقد استطاع الأخير ان يغادر البلاد كما ذكرت نفس المصادر ان المعتقلين الكويتيين يتعرضون لشتى أنواع الارهاب والتعذيب الجسدي. وان مصيرهم غير معروف أسوة بعدد كبير آخر من المدنيين والعسكريين الذين اعتقلوا في وقت سابق وما زال مصيرهم مجهولاً.

كما تلقت المنظمة العربية لحقوق الانسان معلومات تتعلق باحتجاز كل من الدكتور خالد الوسمى والسيدين فيصل الصانع، ونايف الاذينة من قبل السلطات العراقية في الكويت. وأشارت المعلومات إلى أن هذا الاجراء قد شمل في الوقت نفسه القبض على ابنائهم وبعض ذويهم وأنه من غير المعروف أماكن احتجازهم أو حقيقة المصير الذي يواجهونه. وقد خاطبنا السلطات العراقية بشأنهم.

وقد التقى باحثوا المنظمة وبعض الذين تعرضوا للاعتقال، اثر الافراج عنهم. وقد أفاد أحدهم وهو طالب (٢٠ سنة) انه تم توقيفه أثناء خروجه لشراء مواد تموينية لأسرته، وانه بقي رهن الاعتقال لمدة أسبوع وانه احتجز مع بضعة عشرات آخرين يماثلونه في العمر تقريباً. ولم يوجه له أي اتهام، ولم تجر معه أي تحقيقات إلى حين الافراج عنه. ويذكر الشاهد انهم تعرضوا لارهاب نفسي شديد حيث كان الجنود من الحراس ينذرونهم مساء كل يوم بالاستعداد لتنفيذ حكم بالاعدام صباح اليوم التالي.

ومن ناحية أخرى فقد أفادت التقارير الواردة للمنظمة عن القبض على بعض عناصر المعارضة العراقية التي كانت تقيم في الكويت قبل الغزو، ورحلتهم إلى بغداد، وقد تلقت منظمات حقوق الانسان أسماء عديدين منهم، ويسود دوائر حقوق الانسان قلق شديد من هذه المسألة حيث تنسب لبعض هؤلاء تهمة الانتماء إلى حزب الدعوة الاسلامية المحظور، وعقوبتها في العراق الاعدام.

لكن أكثر ما يثير الجدل حول انتهاك الحقوق الفردية في الكويت هو الحديث حول ظاهرة الاغتصاب ففي مجتمعات تستنكر هذه الفعلة الشنيعة استغل الحديث عنها على أوسع نطاق في إطار التعبئة السياسية. ويجادل البعض بانها حالات فردية وليست ظاهرة عامة، كما يجادل البعض بانها تركزت في فئات محددة، (اشارة لمعنى القبول) ويشير البعض إلى نفي صدر عن حالات محددة ذكرت بالتخصيص وذلك كمدخل للتشكيك في صحة الوقائع برمتها. ولن نجادل في كل هذه المقولات. فابتداء لا يقع في ظن أحد ان تكون استباحة هذه الحرمة سياسة لحكومة العراق، وانتهاء لا يقع في خلد أحد انها تتم برضاء السلطات العراقية. أما انها تقع أو لا تقع فهذا أمر آخر. وعندما ترد أخبار عن وقوع

مثـل هذه الانتهاكات في ظروف احتلال، وجيش شعبي قد يعوزه الانضباط، وعشرات الآلاف من جنود بعيدين عن أسرهم علينا ان نتردد بضعة مرات قبل ان نجزم إلى هذا الحد بعـدم وقوعها، وعندما يصدر نفي عن حالة معينة جرت الاشارة إليها فعلينا ان ندرك ان الدراسات الاجتماعية في مناطق مختلفة من العالم قد أشارت إلى ان كثيرين يفضلون اخفاء جراحهم في مثل هذه الظروف عن تسجيلها في سجلات رسمية.

يلي ذلـك عشرات الحقوق التي تندرج في منظومة حقوق الانسان والتي تتعرض للانتهاك مما قد تكون موضعاً لتقرير تفصيلي تال. ويظل لب القضية الجوهرية في الجدل المثار هو السؤال هل هناك احتلال طيب، واحتلال رديء. أم ان الاحتلال هو الاحتلال. وهل هناك انتهاك أخوي لحقوق الانسان وآخر أجنبي. أم ان الانتهاك هو الانتهاك.

لقـد خلق الاحتـلال العـراقي للكـويت وضعـاً مأساوياً لكل الكويتيين والوافدين المقيمين بهـا. وحـوّل الكـويت من بؤرة جذب إلى مركز طرد. وطبقاً لتقديرات تلقتها المنظمة، وتستند إلى دراسة مدققة فلم يبق بالكويت من المواطنين سوى ٣٠٠ الفاً من أصل ٧٥٠ الفـاً. أمـا الـوافدون الذين نزحوا بمئات الالاف فلم يبق منهم سوى ٣٠ الفاً من المصريين (من بين حوالي ٢٠٠ الفاً) وحوالى ١٦٠ الفاً من الفلسطينيين (من بين حوالى ٣٥٠ الفـاً) وغـادر أكثـر من نصف الوافدين الآسيويين. وتبقى بعد ذلك قضية احتجاز الرهائن الاوربيين ومشكلات النزوح والعبور والايواء وفقد المستحقات والممتلكات مما تحفل به كافة المصادر.

وبعد.. لقد كان مصدراً للألم لنا أن تُذكر العراق كقوة احتلال بقدر ما كان مصدراً للألـم أن تُذكر الكويت كوطن محتل.. ولكننا، وقد تراضينا في المنظمة العربية لحقوق الانسـان ـ منـذ تأسيسها ـ على مبدأ انه لا مقايضة بحقوق الانسان، مهما كانت النوايا والغايات. فاننا نتطلع لأن تتحد قلوب الامة بكل قواها وفئاتها على مطالبة العراق بوضع حد فوري للظروف التعسة التي يعاني منها الكويتيون، وليس هناك من سبيل لتحقيق ذلك سوى الانسحاب.

والمنظمة العربية لحقوق الانسان اذ تطالب العراق بهذا الانسحاب، لا تضع في اعتبارها حقوق الشعب الكويتي وحده، وانما المخاطر التي تـهدد شعوب المنطقة بما فيها الشعب العراقي بالطبع، من جراء المواجهة العسكرية المحتملة أو اضفاء شرعية زائفة على وجود عسكري اجنبي في منطقة ناضلت شعوبها طوال نصف القرن الأخير في تحقيق استقـلالهـا بعنـاء شديد. وهـو الأمر الذي سبق ان نبهت اليه المنظمة بالحاح في كل اصداراتها الخاصة بأزمة الخليج.



اجتماع الجبهة الكردستانية العراقية

عقـدت القيادة السياسية للجبهـة الكردستانية العراقية اجتماعها الاعتيادي خلال الفترة من ٢٧ تشرين الاول ـ ١ تشرين الثاني ١٩٩٠، بمشاركة اطرافها كافة، بالوقوف دقيقة حداد تحية لذكرى شهداء كردستان والعراق والفقيدين عزيز شريف وسليم الفخري نصيري الشعب الكردي، وتدارست الوضع السياسي العام والتطورات الدولية وأزمة الخليج الخطيرة الناجمة عن اجتياح قوات النظام الدكتاتوري العراقي للكويت وضمها قسراً إلى العراق بالضد من ارادة الشعب الكويتي. كما قيمت مسيرة الجبهة منذ اعلانها رسمياً في أيار ١٩٨٨ وسبل تطوير وتنشيط عملها، والاوضاع الراهنة في كردستان وعموم العراق.

على الصعيد الدولي، وقعت خلال العامين الاخيرين تطورات تاريخية باتجاه اقامة نظام دولي جديد قائم على أساس الانفتاح والسلام والوفاق والتعاون بين الدول الكبرى والصغرى على أساس توازن المصالح والحل السياسي للقضايا والنزاعات الاقليمية وانهاء آثار الحرب الباردة، وتنظيم الجهود الدولية لحماية البيئة وتخفيف سباق التسلح وتحريم اسلحة الابادة الجماعية والتدمير الشامل/النووية والجرثومية والكيميائية/واتلافها وضمان حرية التجارة الدولية والسوق الدولية الواحدة. ورافقت ذلك دعوة عالمية تزداد اتساعاً من أجل اطلاق الحريات واشاعة الديمقراطية في مختلف بلدان العالم وضمان حقوق الانسان واقامة دولة القانون. ويتميز هذا الاتجاه الايجابي بتعزيز دور منظمة الامم المتحدة وازالة الحيف والعدوان والاحتلال حيثما وقع، واحقاق العدالة بضمان مصالح وحقوق الدول

الصغيرة والشعوب والاقليات المضطهدة ، وجاءت التغييرات الديمقراطية في اوربا الشرقية لتعزيز الميل في ذلك الاتجاه الذي تحققت في ظله وحدة الشعب الالماني بعد تمزقه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقد بدأت بوادر انعكاس هذا الميل الايجابي على شعوبنا في الشرق مباشرة وتفاعلت معه الجماهير الشعبية المحرومة،مطالبة بالخلاص من الدكتاتورية والاستبداد، وباقامة المؤسسات الدستورية التي تضمن سيادة القانون واطلاق الحريات العامة والتعددية السياسية وتداول السلطة باساليب برلمانية،واحترام حقوق الانسان،وحق تقرير المصير للشعوب ، وحل المشاكل والنزاعات الاقليمية والدولية بالحوار والطرق السلمية .

أما الحكم الدكتاتوري في العراق ، الذي ظل يناور خلال العامين الماضيين باطلاق الاحاديث عن الديمقراطية والتعددية ، فقد واصل الارهاب السياسي ضد الشعب العراقي واحزابه السياسية المعارضة على اختلاف تياراتها ، ومارس سياسة الاضطهاد الطائفي وسياسة تدمير كردستان وتغيير طابعها القومي والتاريخي . واصدر مشروعاً للدستور الدائم يتضمن بنوداً كثيرة تغتصب حريات وحقوق المواطنين،بحيث يكرس حكم الفرد المطلق ويعزز النهج الاستبدادي للنظام،، هذا النهج المسؤول عن كوارث النزاعات الداخلية والخارجية التي أوقع بلادنا فيها،وهو الذي قاده ليرتكب مغامرة عسكرية أخرى بالاجتياح للكويت في الثاني من آب الماضي .

تدارس الاجتماع الوضع العربي،وفي المنطقة،وانعكاسات أزمة الخليج عليها ، كذلك الاحداث الهامة الأخرى التي وقعت ومنها المجزرة التي ارتكبتها القوات «الاسرائيلية» في القدس الشريف . ان الجبهة الكردستانية تجدد استنكارها الشديد لهذه المجزرة وتضامنها الكامل مع ابناء القدس والانتفاضة الشعبية في الاراضي الفلسطينية المحتلة والكفاح المشروع للشعب الفلسطيني الصديق من أجل التحرير وحق تقرير مصيره بنفسه ، واقامة دولته الوطنية المستقلة على أرض وطنه .

لقد أدى اجتياح الكويت إلى أزمة دولية خطيرة تهدد المنطقة والعالم باحتمال نشوب حرب مدمرة باستخدام اسلحة الدمار الشامل بما في ذلك الاسلحة الكيمياوية ، وهو ما حذرت منه جبهتنا منذ استخدام هذه الاسلحة في كردستان منذ عام ١٩٨٧ وخاصة في حلبجة في آذار ١٩٨٨ ، وطالبت المجتمع الدولي باستمرار للسعي من أجل تحريم هذه الاسلحة واتلاف مخزوناتها .

ان الجبهة الكردستانية العراقية تدين كل احتلال من قبل أي دولة لدولة أخرى أو لشعب آخر . وانطلاقاً من ذلك تضم الجبهة صوتها إلى الرأي العام العربي والدولي مطالبة بالحل السلمي لأزمة الخليج وتجنيب بلادنا والمنطقة كوارث الحرب وذلك بانسحاب

القوات العراقية من الكويت واعادة الاوضاع الطبيعية اليها وسحب القوات الاجنبية من المنطقة.

تشارك جبهتنا بقية قوى المعارضة العراقية ادراكها العميق لحراجة الاوضاع العامة في البلاد وخطورة المرحلة التي يعيشها الشعب العراقي سواء بسبب آثار الحرب العراقية - الايرانية وسياسة الارهاب والقمع والدكتاتورية أو في ظل الحصار الدولي الشامل الذي يسبب الجوع والخوف والقلق.

وتجسيداً لاهدافها الديمقراطية وتنفيذاً لبيانها التأسيسي شاركت (ج. ك. ع) منذ تأسيسها مشاركة ايجابية وفعالة في المحاولات واللقاءات العراقية الرامية إلى توحيد عمل قوى المعارضة التي جرت اوائل العام الماضي، ونشطت خلال الاسابيع الاخيرة للوصول إلى اتفاق على جملة مبادىء أساسية وبرنامج سياسي فيه. بينها من أجل تحقيق أمرين أساسيين:

خارجياً: التأكيد على الخيار السلمي لحل أزمة الخليج ودرء كارثة الحرب المحتملة ونزع فتيلها وذلك باجبار نظام صدام حسين على الانسحاب من الكويت واطلاق حرية جميع الرعايا الاجانب بدون قيد أو شرط وتعبئة كل القوى من أجل سحب القوات الاجنبية من الخليج والجزيرة العربية وحل الخلافات بين دولها سلمياً.

داخلياً: مواصلة الكفاح لحل مشاكل البلاد بارادة الشعب العراقي نفسه الذي له الحق في تقرير كافة شؤون العراق بما في ذلك شكل الحكم وما يتطلب من اسقاط الدكتاتورية وتصفية مخلفات سياساتها والغاء القوانين الجائرة وانهاء ممارسة الاضطهاد السياسي والقومي والديني والمذهبي والغاء كافة اجراءات تغيير الطابع القومي والتاريخي لكردستان العراق وتحقيق الديمقراطية والاقرار بالتعددية السياسية وتداول السلطة بالاساليب البرلمانية ووفق ارادة أكثرية الشعب والانتقال بالبلاد إلى الاوضاع الدستورية وحل القضية الكردية حلاً سلمياً يضمن حق تقرير المصير وممارسته لحقه في الحكم الذاتي الحقيقي على أساس تطبيق وتطوير اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ ومشاركة الشعب الكردي في السلطة المركزية وصنع القرار العراقي، وضمان الحقوق الثقافية والادارية للاقليات القومية.

ان الخيار الكردي المفضل في ظل أزمة الخليج هو الخيار الديمقراطي العراقي، وتؤكد جبهتنا على الضرورة القصوى للتحرك في إطار العمل العراقي المشترك مع بقية قوى المعارضة مع الاحتفاظ بالدور المميز للجبهة وتعزيزها.

إن القضية الكردية هي قضية سياسية عادلة لشعب مغبون تاريخياً له الحق في تقرير مصيره بنفسه شأنه شأن سائر الشعوب. ومن هذا المنطلق تتعامل الحركة التحررية الكردية

مع أي طرف على أساس الاقرار السياسي بواقع الشعب الكردي والاعتراف بشرعية قضيتنا وعدالة حقوقنا ومطالبنا القومية والديمقراطية بما يعزز الاخوة العربية ـ الكردية.

صحيح ان أزمة الخليج ومضاعفاتها تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على مشاكل المنطقة كافة بما فيها القضية الكردية، وان طريقة حل الأزمة بأي شكل كان ستؤثر على طريقة حل قضيتنا. إلا اننا في الوقت ذاته نؤكد على الطابع الخاص للقضية الكردية وتمييزها عن أزمة الخليج. لأن قضيتنا موجودة قبل تلك الأزمة وستبقى بعدها طالما ظلت بدون حل عادل. لذلك ينبغي عدم طمس حل القضية الكردية بالحلول المطروحة لأزمة الخليج. وستواصل الحركة التحررية الكردية كفاحها بالاساليب الملائمة والامكانات المتاحة بما يستجيب للمصالح والتطلعات القومية والديمقراطية للشعب الكردي كما انه ينبغي ادراج القضية الكردية في جدول عمل أي مؤتمر دولي يعقد لحل قضايا الشرق الاوسط. فالشعب الكردي كغيره من الشعوب يتطلع إلى ان يكون ويعيش ضمن عالم مستقر مشمولاً بالحق والعدالة في ظل النظام الدولي الجديد، حيث لا يمكن ايجاد حل عادل وشامل لمشاكل الشرق الأوسط وتحقيق الاستقرار والسلام فيه بدون حل ديمقراطي عادل للقضية الكردية.

ان (ج. ك. ع) محتفظةً منذ تأسيسها بحق شعبنا المشروع في استخدام أساليب الكفاح السلمية والمسلحة لتحقيق اهدافه، قد أكدت دوماً على الدعوة للحل السلمي للقضية الكردية في العراق. وبذلت خلال العامين الاخيرين محاولات جدية لايصال ذلك إلى الرأي العام الداخلي والعربي والاسلامي والدولي. لكن السلطة المركزية في بغداد قد اضاعت فرصاً كبيرة وتنكرت لضرورات ايجاد حل سياسي سلمي للقضية، مثلما اضاعت فرصاً تاريخية أخرى خلال السنوات الخمس عشر الماضية، وظلت ترفض بعناد الحل السياسي العادل واهمة انها تستطيع تدمير الحركة التحررية الكردية وتعريب كردستان. فقد واصل النظام ركوب مركب الغرور والاستبداد والانفراد بالرأي والتحكم في كل ما يتعلق بالعراق. ولم يخطُ خطوة واحدة لاشراك الشعب وقوى المعارضة العراقية بما فيها الحركة التحررية الكردية في تقرير شؤون البلاد، وظل الدكتاتور ينفرد باخطر القرارات التي تمس مصير الشعب والوطن. دون مشاركة من أي مؤسسة شعبية دستورية أو قانونية منتخبة، كاشعال الحرب العدوانية على الجارة ايران بعد الغاء اتفاقية الجزائر التي وقعها مع الشاه والعودة اليها بقرار فردي متجاهلاً ارادة الشعب العراقي عرباً وكرداً واقليات في الحالتين، رغم كونها اتفاقية جائرة هندس لها (هنري كيسنجر) عام ١٩٧٥ بالضد من مصالح الشعب الكردي والعراقي. كان شعبنا ولا يزال يتطلع إلى تبديل تلك الاتفاقية بمعاهدة صداقة وحسن جوار تصون منافع البلدين الجارين.

تعبر (ج. ك. ع) عن ارتياحها لتبادل أسرى الحرب بين العراق وايران وحل المشاكل بين البلدين بالحوار والطرق الدبلوماسية بما يحقق صلحاً عادلاً يخدم مصالح وطموحات الشعبين الصديقين الجارين العراقي والايراني وحسن الجوار والاحترام المتبادل بينهما. وارساء أسس السلام الوطيد بين البلدين الجارين بما يضمن سلاماً عادلاً يشمل شعب كردستان ايضاً. ولا شك في ان تصفية آثار الحرب كافة مرتبطة بحل المشاكل الاساسية الاخرى للبلاد وفي مقدمتها تحقيق الديمقراطية واشاعتها.

لقد فتحت أزمة الكويت نافذة ليطل منها العالم ويرى بوضوح أشد محنة الشعب العراقي لاسيما الجروح العميقة لشعب كردستان من جراء حرب الابادة واستخدام الاسلحة الكيمياوية في كردستان وخاصة في حلبجة وبهدينان، والتهجير وتدمير آلاف القرى والقصبات خلال السنوات المنصرمة. ان جزءاً واسعاً من العالم العربي والاسلامي أيضاً ظل بعيداً أو مبعداً عن معرفة تلك الحقائق ورؤية مشاهد المأساة، لذا يقف اليوم مذهولاً ازاء ما يرى وما يسمع من وقائع. وثبتت مرة أخرى قوة الحقيقة التي لن تضيع ابداً، ومظلومية الشعب الكردي الذي راح ضحية الاضطهاد القومي وملابسات الحرب المشؤومة التي سماها صدام حسين بنفسه بانها كانت «فتنة» أوحت بها «القوى الشريرة» كما ورد في رسالته إلى القيادة الايرانية بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٩٠، وبالتالي لم تكن «قادسية» أو «دفاعاً عن البوابة الشرقية» ولا «دفاعاً وطنياً» عن «وحدة التراب العراقي» كما زعمت ابواق دعايته.

تنفتح اليوم آفاق أوسع لطرح القضية الكردية عربياً واسلامياً ودولياً، وقد قامت الجبهة بنشاط ملموس على تلك الاصعدة خلال الفترة الماضية، وأكد الاجتماع على توسيع هذه النشاطات.

أما في الداخل، ومنذ حدوث الأزمة، فان الجبهة وفصائلها ومؤسساتها قامت بتنشيط النضال السياسي والجماهيري والاعلامي ضد الدكتاتورية، ومن أجل تعبئة وتنظيم الناس وشحذ يقظتهم ووعيهم. واصدرت الجبهة في الوقت ذاته التعليمات إلى قوات البيشمه ركه (الانصار) لايقاف العمليات العسكرية منذ حدوث الأزمة في اوائل آب الماضي، دون ان يعني ذلك تغيير نظرتنا ازاء طبيعة النظام الاستبدادية أو الكف عن الكفاح المسلح، وانما للتعبير عن حرصنا على تمييز القضية الكردية عن تعقيدات أزمة الخليج خشية وقوع تدخلات اجنبية بعيداً عن ارادة الشعب الكردي ومصالحه الحقيقية وكذلك للحرص على المصالح الحقيقية للشعبين الشقيقين العربي والكردي واخوتهما التاريخية الخالدة. وفي سياق نفس المنطلق فان الجبهة تؤكد على خيار السلم في أزمة الخليج تعبيراً عن رفضها لحل الأزمة عن طريق الحرب التي من شأنها تعريض بلادنا إلى الدمار وتحطيم قدراتها البشرية والمادية ووضع البلدان العربية والمنطقة أمام أخطار جسيمة لا يمكن التنبوء

بنتائجها.

ان ملايين العراقيين عرباً وكرداً وأقليات يعانون اليوم من الضائقة المعيشية الطاحنة والقلق والخوف من مصير مجهول يقودهم اليه النهج العدواني للنظام، وتشتد المعاناة في كردستان حيث كان قسم كبير من ابنائها يعيشون قبل الأزمة ايضاً في حصار شديد وتجويع واذلال في المجمعات السكنية القسرية، وجاء الحصار الدولي بسبب الأزمة ليضاعف مأساتهم وتجويعهم. وقد سمح النظام للرجال بالعودة مؤقتاً إلى قراهم الاصلية ومزارعهم وذلك فقط لمزاولة الاعمال الزراعية ثم العودة إلى عوائلهم في المدن والمجمعات. فلم يشأ النظام حتى تحقيق هذا الاجراء الذي هو بمثابة الغاء لجزء من سياسة حرب الابادة ضد شعب كردستان العراق، وهو السماح بعودة كافة الفلاحين المهجرين إلى قراهم الاصلية ومزاولة اعمالهم بحرية، وعودة الاهالي الاكراد إلى قصباتهم ومدنهم المهدمة أثناء حملات الابادة والتهجير لتفريغ كردستان من سكانها الاصليين مما يفضح الطبيعة الشوفينية العنصرية للدكتاتورية وحقدها الدفين على القومية الكردية.

أولى الاجتماع اهتماماً بالغاً بالتعقيدات الجديدة المحيطة بالقضية الكردية في ظل هذه الاوضاع وضرورة تعزيز الجبهة وتوسيعها وتنظيم مؤسساتها، والاهتمام الجدي بالوضع الكردستاني العام والعلاقات الكردستانية. ودرس الاجتماع سبل تعزيز هذه العلاقات والعمل من أجل إطار كردستاني مشترك والتنسيق والتعاون بين القوى والاحزاب الكردستانية عامة مع ملاحظة الظروف الخاصة والاساليب النضالية الخاصة بكل جزء من كردستان، كذلك تثبيت القواعد الديمقراطية والاخوية للعلاقات بين هذه الاحزاب على ان تكون مصالح الحركة التحررية الكردية أساساً لأية علاقة يقيمها أي حزب مع أي جهة في المنطقة والعالم، وتحريم الاقتتال بين الاخوة داخل صفوف الحركة وادانة افتعال النزاعات والمعارك والمهاترات بينها، وحل الخلافات وادانة حالات التشرذم والانشقاقات في صفوفها والدعوة إلى الاتحاد والتحالف والتوحيد فيما بينها على أسس مبدئية سليمة واشاعة الديمقراطية في صفوف الحركة.

قيّم الاجتماع مسيرة (ج. ك. ع) منذ تأسيسها، فالجبهة مكسب تاريخي هام للحركة أقامت في وقت قصير العديد من مؤسساتها التنظيمية والاعلامية والجماهيرية رغم الصعوبات الموضوعية، ودعمت تشكيل المنظمات الجماهيرية والمهنية الكردستانية الموحدة، ونشطت سياسياً واعلامياً على الصعيد الخارجي للتعريف بالقضية وكسب التضامن معها، واتخذ الاجتماع عدداً من القرارات التنظيمية لتطوير مؤسساتها وتنظيم نشاطاتها اللاحقة وسد النواقص والثغرات فيها. واقر الاجتماع قبول اعضاء جدد في الجبهة.

ووضعت الجبهة في صلب مهماتها الداخلية الآنية :

ـ مواصلة أشكال الكفاح السياسي والتنظمي والاعلامي والدبلوماسي وغيره واعادة تنظيم العمل الانصاري واعداده .

ـ تعزيز الجبهة وتنشيط مؤسساتها وفقاً للقرارات الجديدة .

ـ مواصلة النهج العملي المرن الذي اختطته الجبهة منذ بداية أزمة الخليج ، وتطوير هذا النهج حسب الظروف الملموسة .

ـ السعي لتوحيد القوى والاحزاب الكردستانية التي تتقارب في مناهجها وفكرها وتراثها .

ـ تعزيز التنظيم الداخلي للجبهة واطرافها وتعميق صلاتها بالجماهير في المدن والمجمعات والقصبات وغيرها .

ـ اعادة تنظيم قوات البيشمه ركه وتوحيدها واعادة تدريبها واعدادها حسب الاساليب الحديثة بما يتلائم والتطورات الحاصلة في البلاد .

ـ توسيع النضال الجماهيري اليومي في المجمعات والقصبات والمدن الكردية وفي صفوف اللاجئين والمهجرين وتعبئة الجماهير حول مطاليبها اليومية والعامة وانهاضها لخوض الكفاح جنباً إلى جنب مع جماهير بقية المدن العراقية .

ـ التحسب لكل الاحتمالات واعداد الجبهة لفصائلها وقواتها وعلاقاتها الجماهيرية على أساس الاستفادة القصوى من تلك الاحتمالات حتى يمتلك شعبنا زمام المبادرة في الوقت المناسب ليشارك مشاركة فعالة في تقرير الأمور بالاتجاه الذي يخدم مصالحه وطموحاته المشروعة في تحقيق الديمقراطية للعراق والحقوق القومية والديمقراطية للشعب الكردي .

في الختام عبرت القيادة السياسية عن ثقتها بايمان وصمود الجماهير واعضاء وأنصار فصائل الجبهة واصرارهم على المقاومة والمثابرة على الكفاح .

وحيت عوائل الشهداء الخالدين والمفقودين والمعتقلين وصمود اللاجئين وعوائلهم المشردة وقوات البيشمه ركه البواسل والمناضلين داخل المدن ، وسكان المجمعات القسرية كما حيت اصدقاء الشعب الكردي والعراقي والاوساط والجهات المتضامنة مع قضيتنا العادلة والتي قدمت مساعدات للاجئين .

خرجت القيادة السياسية من الاجتماع مفعمة بالتفاؤل والأمل بنهوض شعبي كبير تلوح بشائره رغم ظلام الاوضاع الصعبة التي تحيط كردستان والعراق والمنطقة .

ان النصر الأكيد هو لارادة شعبنا الكردي المناضل من أجل الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان وشعوب هذا العصر.

القيادة السياسية
للجبهة الكردستانية العراقية
١/ تشرين الثاني/ ١٩٩٠

من أجل السلم ومستقبل أفضل للشبيبة

ايتها الزميلات.. ايها الزملاء!
ياشبيبة عراقنا الحبيب!

يحل في الخامس عشر من تشرين الاول الحالي العيد الـ ٣٩ لتأسيس اتحادنا المجاهد ـ اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي. وبهذه المناسبة المجيدة يسر اللجنة التنفيذية ان تهنيء مناضلي الاتحاد ومؤازريه.. وتدعو هم إلى المزيد من النشاط والعمل المثابر على طريق تحقيق اهداف وطموحات شبيبة بلدنا في الحياة الحرة الكريمة والمستقبل الافضل.

ان عيد ميلاد اتحادنا يحل هذا العام، ونحن أكثر تماسكاً وتنظيماً من ذي قبل، حيث تمكنا من عقد أكبر فعالية تنظيمية في تاريخ الاتحاد منذ مؤتمره الاول عام ١٩٥٩،

ألا وهي المجلس الاتحادي الذي تمخض عن انتخاب قيادة جديدة للاتحاد واقرار اهدافه ونـظامه الداخلي ووثائق اخرى. ولا شك ان نجاح اعمال المجلس يشكل خطوة هامة متقدمة على طريق النهوض بعمل الاتحاد ليأخذ دوره الجماهيري المرموق في النضال الوطني العام، لاسيما في الظرف الراهن وتعقيداته بعد اقدام نظام صدام حسين وطغمته البـاغية على مغـامرة عدوانية جديدة بالضد من ارادة ومصالح جماهيرنا الشبابية وعموم جماهير شعبنا العراقي.

ان شعبنـا قد ذاق الآمرين من جراء نهج النظام الارهابي على الصعيد الداخلي وامتـدادات هذا النهـج على الصعيد الخـارجي باللجوء لاستخدام القوة لحل المشاكل والخلافات الدولية.. وان وقائع الحياة في بلدنا مازالت تؤكد بوضوح على تمسك النظام بنهجه هذا، لا بل انه قائم عليه. فما ان انتهت الحرب العراقية ـ الايرانية، سارع لشن اقذر حرب شوفينية ضد الشعب الكردي وصعّد حملاته الارهابية الفاشية ضد عموم ابناء شعبنا العراقي... وراح في الاشهر الاخيرة يتاجر بالشعارات القومية، غير انه سرعان ما أقـدم على غزو الكـويت الشقيق. وعـرض أمن وسلامة المنطقة، من جديد، لمخاطر جسيمة قد ينجم عنها، بين لحظة وأخرى، حرب كارثية تعم المنطقة وتهدد السلام العالمي.

ان شبيبتنا المجندة قسراً في تشكيلات الجيش والجيش «الشعبي» تواقةللعودة إلى الحياة المدنية، واستبشرت خيراً ـ بعد ان وضعت «قادسية صدام اوزارها ـ بتسريح بعض المواليد من الخدمة العسكرية الالزامية. ولكنها استدعيت ثانية للخدمة وابقى النظام على المواليد من عام ١٩٤٥ ولغاية ١٩٧٢ تحت السلاح وسرعان ما انتشرت مفارز التجنيد في طول البلاد وعرضها وشنت حملاتها القسرية لتجنيد المواطنين في صفوف الجيش والجيش «الشعبي». كمـا شنت اجهـزة النـظام القمعية حملة اعتقالات مسعورة ضد ابناء شعبنا الرافضين لمخططاته العدوانية والتوسعية ونهجه الارهابي المقيت وما سيترتب على مغامرته المجنـونـة ضد الشعب الكـويتي الشقيق من آثـار مأساوية سيعاني منها شعبنا، لاسيما التدهور الاقتصادي والتقشف الاجباري وجباية «التبرعات».

ان اتحـادنا يحّمل نظام صدام حسين كامل المسؤولية في كل ما سيتمخض عنه احتـلال الكويت وتوتير الاوضاع في المنطقة. ويطالب بسحب قواته فوراً من الاراضي الكويتية وحل المشاكل بالطرق السلمية وحسب المواثيق والاعراف الدولية ويجدد اتحادنا تضامنه الكفاحي مع اشقائنا الكويتيين ويساند رفضهم للاحتلال العراقي أو أي احتلال آخر، ويدعم حقهم في تقرير مصيرهم بانفسهم وصيانة استقلال بلدهم وسيادته الوطنية واختيار النـظام السياسي الـذي يرتضـوه. كمـا يطالب بسحب جميع القوات العسكرية

الاجنبية، وخاصة الامريكية من الخليج والمنطقة فوراً... ويدين أي تدخل للقوات الامريكية والحليفة لها في شؤون بلدان المنطقة.

ايتها الشبيبة العراقية الباسلة.. ياورثة امجاد شعبنا ومآثره الثورية!

اننا اذ نحتفي بالعيد الـ ٣٩ لتأسيس اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي فالواجب النضالي يدعونا جميعاً، على اختلاف قومياتنا ومعتقداتنا الدينية والفكرية والسياسية، لتحمل شرف المسؤولية الوطنية بمعاقبة طغمة صدام الدكتاتورية والخلاص من نظامه الارهابي البغيض... وفي سبيل بناء عراق ديمقراطي مزدهر ترفرف على ربوعه رايات السلام والحرية وينعم في ظله الشعب الكردي بالحكم الذاتي الحقيقي.

عاشت الذكرى الـ ٣٩ لتأسيس اتحادنا المجاهد!

والمجد والخلود لشهدائه الابرار!

اللجنة التنفيذية

لاتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي

بنية الوعي الديني

و التطور الراسمالي

دراسات اولية

مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

لا للحرب ـ من أجل حل سلمي للنزاع في منطقة الخليج

١ ـ يتسم الوضع في الشرق الاوسط منذ سنوات طويلة بالتوتر الشديد، وازداد هذا الوضع المتوتر تفاقماً باقدام العراق على غزو الكويت والحشد الهائل من القوات الامريكية وغيرها في منطقة الخليج . وتسبب هذا الحشد العسكري وازدياد التهديد باستخدام القوة لحل الأزمة، في وضع المنطقة والعالم بصفة عامة على حافة حرب مدمرة لا يمكن التنبؤ بما سينجم عنها من خسائر بشرية ومادية .

٢ ـ واذ يؤكد المؤتمر النقابي العالمي الثاني عشر التزامه بحق الشعوب في السيادة والاستقلال وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى وتسوية الخلافات بالطرق السلمية، فان المؤتمر يعتبر احتلال الكويت وضمها من قبل العراق انتهاكاً لا مبرر له لشرعة الامم المتحدة وميثاق الجامعة العربية واعتداء على سيادة دولة مستقلة وحرمة اراضيها الاقليمية . ويطالب المؤتمر بانسحاب القوات العراقية فوراً ودون شرط من الكويت، والغاء كل التغييرات التي ترتبت على غزو الكويت وضرورة احترام استقلال وسيادة هذا البلد وبعد ذلك ضرورة بدء المفاوضات دون ابطاء بين الحكومتين العراقية والكويتية لحل الخلافات العالقة بين الطرفين بالوسائل السلمية .

٣ ـ واذ يرى المؤتمر ان التطورات التي أعقبت غزو الكويت واقدام الادارة الامريكية وغيرها من البلدان الاجنبية الأخرى على حشد قواتها العسكرية في منطقة الخليج والتلويح باستخدام القوة انما تشكل خطوات وحيدة الجانب من شأنها ان تعرقل مساعي الامم المتحدة الرامية إلى حل الأزمة حلاً سلمياً عن طريق المفاوضات فانه يعلن معارضته للجوء إلى القوة والحرب من أجل حل النزاع، ويطالب بانسحاب كل القوات الاجنبية من الخليج، لازالة أسباب اندلاع مواجهة عسكرية ستكون لها نتائج كارثية خاصة على شعوب المنطقة وعلى أمنها واستقلالها .

٤ ـ لقد أدى غزو الكويت إلى تحويل مئات الالاف، خاصة العمال الاجانب الذين اضطروا إلى ترك أعمالهم ومدخراتهم في ظروف لا انسانية وتحويلهم إلى مشردين . ويدعو المؤتمر الامم المتحدة ومنظمة العمل الدولية وغيرهما من المنظمات المتخصصة مواصلة مساعيها من أجل تقديم كل أشكال المساعدات والدعم التقني لكل اللاجئين الذين

تضـرروا من سياسـة الطرد. وأدى هذا إلى احتجاز الرعايا الاجانب كرهائن ومنعهم من مغـادرة الكـويت والعراق، وعليه فان المؤتمر الثاني عشر يطالب باحترام سلامة وحقوق ممتلكات اسر العمال الاجانب في كل من العراق والكويت وباطلاق سراح كافة الرعايا الاجانب فوراً ودون شرط.

٥ ـ ويعبـر المؤتمر الثاني عشر عن قناعته، في هذا السياق، بأن القانون الدولي ينبغي ان يطبق على كافـة الـدول دون استثنـاء، وان مصداقية الشرعية الدولية ومبادىء الواقعية والعدالة لا يمكن ان تتماشى والتطبيق الانتقائي لقرارات الامم المتحدة أو سياسة الكيل بمعيارين.

قرار المؤتمر النقابي العالمي الثاني عشر
موسكو ١٣ ـ ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٠



الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ العراق

الازمة . . . القضية . . . موقفنا
للقضية الكردية وزنها، لا يجوز التفريط به

ان كان الاجـراء العسكري وعملية الاستيلاء على الكويت خلال فترة لم تتجاوز لخمس عشرة ساعة، حدثاً مفاجئاً غير متوقع، فان مطامح صدام حسين وتطلعه إلى تلك الخـزائن المغمـورة وذلك الموقع الاستراتيجي، قد أثارت الشك والريبة لدى المراقبين والمحللين المعنيين بالشؤون السياسية، خاصة بعد توقف حرب الثمان سنوات وبقاء أزمة الحدود مع الكويت، علاوة على ذلك، فان جميع التوقعات بهذا الصدد، وان كانت تأخذ في الاعتبار احتمال عنصر القوة والعمل العسكري، فان ذلك التصور لم يكن ليتجاوز ـ في أكثر الاحوال ـ حدود جزيرتي (بوبيان) و (وربة) وحقول الرميلة النفطية.

ان الاجراء العسكري الذي أثار أزمة شائكة، بالغة التعقيد في منطقة الخليج، والتي تكاد تقرب العالم، يوماً بعد يوم، من أشد انفجار ذي ابعاد خطيرة جداً، نقول ان هذا الاجراء، وان كان مبعث فكرته يعود لشخص واحد، لكنه في الوقت ذاته يمثل أحد افرازات أزمة اقتصادية خانقة مردها اعواماً ثمانية من حرب مدمرة، وهذه الاخيرة، بدورها، كانت حصيلة طبيعية للمشاكل والقضايا الداخلية للبلاد، بقيت دونما حل، وهي اجمالاً نابعة من سياسات حكام العراق الخاطئة.

سنوات طوال وشعبنا الكردي يتعرض لاشرس وأوسع حملة على يد النظام العراقي الذي أجاب على تطلعاته المشروعة بتدمير أكثر من أربعة آلاف قرية وقصبة والعديد من المدن والقصبات، وكذلك تهجير أكثر من مليوني شخص من ابنائه وزجهم في معسكرات قسرية، وسقوط الالاف من النساء والاطفال شهداء بفعل الاسلحة الكيمياوية السامة والمحرمة دولياً، اضافة إلى آلاف أخرى من المفقودين لم يتم الكشف عن مصائرهم حتى اليوم. . . وغير ذلك كثير وكثير. .

خلال هذه المحنة ليس هنا مَنْ لم يَسْمَع نداءات الاستغاثة وصيحات النجدة من هذا الشعب المهدد بخطر الابادة والزوال. . . غير ان أحداً لم ينبر بشكل جدي لاستغاثته أو يتقدم لادانة كل جرائم النظام هذه التي قل نظيرها في التاريخ. . لكنهم وحرصاً على مصالحهم التي باتت يهددها الخطر ومن مصدر التهديدات ذاته، فقد راح اصحاب المصالح، هؤلاء يهرعون مغرقين المنطقة بقواتهم العسكرية واساطيلهم الحربية، وهم الآن، أجل! الآن فقط، باتوا يصرخون بما شكيناه على مدى سنين عديدة، وكأن هذه، هي الجريمة الوحيدة التي تستحق الادانة فقط، اذ اجمع العالم على التضامن لادانتها ورفضها.

ويحق اليوم لنا ان نقول متسائلين: ترى، ألم تكن التكنولوجيا الغربية ـ الامريكية التي مكنت النظام من صنع وامتلاك الاسلحة الكيمياوية والاسلحة والمعدات العسكرية الشرقية هي التي أوصلت «العراق» لكي يرى نفسه انه من القوى «الكبرى» في المنطقة؟

أو ليست أموال الخليج الطائلة التي انهالت على النظام، هي التي ساعدته ليحصل على هذه التكنولوجيا التي اهلته ليكون قادراً على صنع هذه الترسانة الضخمة من الاسلحة العملاقة الفتاكة؟

ألم يلعب «التضامن العربي»، والاصح القول تضامن الحكام العرب، الذي كان النظام مدعوماً به، في تأليبه وتشجيعه على مواصلة اتباع السياسة العدائية حيال شعب كردستان العراق؟

أليست اجهزة العالم الدعائية نفسها، عملت على ايصال النظام إلى ذروة هذا «الغرور والكبرياء» التي توصم بهما اياه الآن؟!

ترى كيف سمحت ضمائر هؤلاء القادة والحكام، وكيف لم تستفق، حينما تحولت أموالهم وثرواتهم إلى اسلحة تدمير وابادة، تنزل كالمطر على رؤوس ابناء شعب آمن؟ . . كيف وعلى أي أساس اضفت «الضمائر المتضامنة» المصداقية والمشروعية لارتكاب تلك الجرائم ضد شعب مسالم يشكل أحد الجزئين الاساسيين للشعب العراقي والذي تربطه

بالشعب العربي وشيجة الدين الحنيف واواصر الأخوة والتاريخ. . . الخ. ؟

كيف لم يهزهم الوجدان. . ولم يحركوا ساكناً؟!

يبدو لنا، انهم كانوا على اعتقاد من خطأ توقعاتهم وربما فهموا ما قلناه من حقائق على العكس منها! . . . إلى ان حل ما حل، ووقعوا هم انفسهم مع «اخيهم» و«صديقهم» الحميم في هذه التجربة الصعبة الشائكة، وهم في حيرة من أمرهم، يستصعبون الخروج من البلية التي المت بهم.

والآن تتجلى للعالم أجمع بسالة شعب كردستان وروعة وقوفه الصامد طيلة هذه السنوات بوجه نظام بغداد. .

الآن فقط، يستدركون، مدى الجور الواقع على هذا الشعب الكردي. . وكم هو محروم من أبسط حقوقه الانسانية والوطنية والقومية. . . والآن أيضاً، تتجلى أمامهم عدالة قضية هذا الشعب وعظم تضحياته في سبيلها، ولابد انهم مقتنعون الآن، لو أنهم وقنوا «هكذا» لمنع تزويد المواد الداخلة في صنع السلاح الكيمياوي وامتلاكه له واستخدامه ضد ابناء شعبنا في كردستان ـ العراق، لما وصل الحال إلى ما هو الآن، ولما احتاروا هم أمام هذا (الاقتدار) الخطير؟

لقد عبرنا ومنذ نشوب هذه الازمة في الخليج، وبكل صراحة ووضوح، عن اننا ضد جميع أشكال الاحتلال ولسنا مع استخدام القوة واللجوء إلى الحرب، بل نحن مع حل الأزمة القائمة بالتفاوض والحوار والسلام وفي ظل الخيمة العربية، مثلما هو موقفنا على صعيد الازمات الاقليمية، ضد الحروب والاحتلال وانتهاك سيادة الشعوب واستقلال بلدانها. . نحن مع الالتزام بالقوانين والاعراف والمواثيق الدولية التي بها يستتب الامن والاستقرار والسلام في المنطقة والعالم، وبها تصان وتدرء عنها التدخلات والاخطار.

وتأسيساً على هذه القناعة وعلى هذا الموقف الواضح وبالرغم من ان الازمة الراهنة، استفحلت ووصلت ذروة التعقيد، وهي تلوّح بالانفجار وبتهديد السلم بالخطر الحقيقي، فان أكثر ما نخشاه هو ان يدفع شعبنا العراقي الثمن. . ثمن قرارات حكامه والتي ليس له فيها رأي. . لذا ندعو إلى حلها حلاً سلمياً، يبعد شعوب المنطقة عن المخاطر وعن التدخلات الاجنبية وحراب الانظمة الدكتاتورية.

ان القضية الكردية، باعتبارها قضية سياسية، ظلت عالقة تنتظر الحل، وبالرغم من ان شعب كردستان العراق لجأ مكرهاً إلى السلاح دفاعاً عن وجوده من حملات الابادة، لكنه مع ذلك، كان دوماً مع صيغ التفاهم واسلوب الحوار معتقداً بصحة الحل السياسي السلمي، ولم يفوت فرصة أو مبادرة جادة، في هذا الاتجاه، إلا وتلقفها مستقبلاً إياها. . . ورغم الممارسات الجائرة والمحن فان هذا الباب لم يوصد.

ان الدول العظمى وذوات المصالح، والدول والاوساط الاخرى التي لحقت بها الاضرار من جراء أزمة الخليج والتي كان لها بهذه الدرجة أو تلك ادواراً فيما لحق بشعبنا من محن وكوارث، نقول لهم ولكل المعنيين بأمر العراق وبوضع كردستان خاصة، ان القضية الكردية هي قضية سياسية وعلى من يرغب في حلها وإقامة علاقات معها يجب ان يكون ذلك، من منطلق سياسي واضح بعيداً عن الكواليس والصفقات السرية، وعدم التفكير في استخدام الحركة التحررية الكردية كأداة ضغط فقط، فنحن لسنا «ثواراً تحت الطلب» بل نحن أصحاب قضية عادلة، نتعامل على أساس الاحترام المتبادل مع كل من يحمل تجاهنا نوايا صادقة وطيبة.

ان الاحداث الراهنة، تضع الحركة التحررية الكردية وبالذات، الجبهة الكردستانية العراقية المناضلة أمام اختبار، مثلما تضعها ازاء مسؤولية أكثر خطورة وجسامة، لذا فمن الواجب ان تكون في مستوى الاحداث والمسؤولية التاريخية وان ترصد وتتابع ما يجري بالدقة والروية، وتلمس ملامح طريقها الصحيح وتضع نصب عينها عبر شعبنا النضالية لأجل ان تتخذ على ضوئها وحسب ما تمليها المصلحة الحقيقية للشعب الكردي وحركته التحررية التي هي فوق كل المصالح الاخرى، الموقف الموحد والخطوة الصائبة.. ولا يمكن أن يعقد الآمال بانتصار القضية الكردية على المراهنة بالوعود المعسولة الوقتية والخالية من المصداقية والفعل.

ان لقضيتنا الكردية العادلة، وزنها المرموق واللائق، فلا ينبغي التفريط به، كما ان شعبنا بلغ من الوعي والادراك مستوى لا يمكن فيه ان ينطلي عليه ما ليس واقعياً ولا ما يتفق ومصلحته الحقيقية... المطلوب هو ان نكون واقعيين، فقضيتنا، فيما لو توفرت الرغبة الصادقة والمخلصة لحلها، ليست هي بالقضية العسيرة أو المعقدة كما توصف في أحيان كثيرة، بل ان الاجابة على التساؤل القائل: (ما الذي يريد الشعب الكردي وحركته التحررية) ليس بالصعب لمن يروم حلها حقاً.

- فمطلب الشعب الكردي هو ان يعامل فعلاً على أساس الاخوة العربية - الكردية الحقة والتطلع اليه باحترام.

- ان ما يطمح اليه الشعب الكردي هو حقوقه القومية، ضمن الجمهورية العراقية ووحدتها الوطنية.

- نبذ واجتثاث فكرة صهره وابادته والغاء السياسات القاضية بتغيير خصوصيته القومية والجغرافية.

- ايقاف حملات الملاحقة والبطش والتنكيل بابنائه.

- الكشف عن مجهولي المصائر واطلاق سراح المعتقلين السياسيين والمتعلقة

قضاياهم بالقضية الكردية.

ـ تحرير الفلاحين وجماهير القرى والارياف من حياة المعسكرات القسرية القائمة وعودتهم إلى مناطقهم الاصلية لمزاولة اعمالهم الحياتية في قراهم واراضيهم.

ـ الديمقراطية واطلاق الحريات وسيادة دولة القانون. . .

المقال الافتتاحي للعدد ٦٠٧/ آب ١٩٩٠ لصحيفة «خه بات» (النضال)

هل يراود النظام حل معضلات البلاد الداخلية؟

ضمن مخطط استعدائي وسياسة خاطئة لم تكن تخدم العراق ولا المصالح العليا للامة العربية، انتهج النظام طوال سنوات ولا يزال، ضد الشعب الكردي ثاني قومية رئيسية تشكل الشعب العراقي، وفي محاولة لاجهاض تطلعاته المشروعة التي لا تخرج عن إطار الوحدة الوطنية والاخوة العربية ـ الكردية. . . وفي مسعى للنيل من الحركة التحررية للشعب الكردي الحليفة الطبيعية لحركة التحرر الوطني العربية، انتهج النظام، سياسة «الارض المحروقة» في كردستان كمقدمة لمخطط الابادة الشاملة لهذا الشعب المضطهد المسلوب الحقوق، والذي ساهم بتفان واخلاص في بناء وخدمة بلده العراق، وضحى في سبيل صيانة استقلاله وسيادته بالكثير، ووقف جنباً إلى جنب مع شقيقه الشعب العربي في قضاياه القومية المصيرية. . في مهرجان افراحه وانتصاراته، كما في محنه ونكباته. . . فقد مارس النظام دونما انقطاع سياسة تدمير كردستان وتهديم وتسوية الالاف من القرى بالارض واحراق الحقول والمزارع وتفجير المئات من العيون والينابيع، وترحيل السكان عنوة من على ارضهم وقراهم، ليقذف بهم، وهم محرومون، أشبه ما يكونوا بالاسرى في معسكرات قسرية تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة.

في حين ان النظام يدعي اقراره ومنحه الشعب الكردي «الحكم الذاتي» وان (كردستان) وفي ظل هذه «المكرمة» غدت جنة على الارض!

ان شعبنا دمرت له أكثر من (٤٠٠٠) قرية وحرم عليه العيش والحياة على أرضه التاريخية، ليقضي داخل اسلاك المعسكرات. . ان شعباً لازالت مئات الالاف من ابنائه، شيباً وشباباً. . رجالاً ونساء واطفالاً، لا زالت مصائرهم مجهولة، أو يرزحون في الدهاليز المظلمة أو يقضون في الغربة والمهجر لاجئين. . ان شعباً هذا حاله، فأي حقوق وأي حكم ذاتي هو هذا الذي ينعم بهما. . . أي فردوس هي كردستان، بينما باتت في أغلب جهاتها، مدمرة محروقة؟ أجل! اذا كان هذا هو واقع حال الشعب الكردي وتلك هي حقائق الامور في كردستان، فلمن منح وأين هو هذا الحكم الذاتي المزعوم؟. . الاقرار شيء وواقع الحال شيء آخر تماماً. . فشعبنا الكردي أقرت له حقوقه على أساس الحكم الذاتي، بينما الواقع، انه لا يسمح له العيش والبقاء حتى ضمن الحدود المحدودة لمنطقة «الحكم الذاتي» فكيف يصح هذا، وفي أي زمن وأين حصل ما يحصل في كردستان؟ أية نظرية ومادة قانونية وأية فلسفة تجيز وتقبل بهذه الازدواجية والتناقض؟ ياللعجب! فرئيس الجمهورية لا يذكر هذا الشعب، إلا بالاستدلال على كونه واحداً منه «شعبنا الكردي» فاذا كان الشعب الكردي هو حقاً «شعبه» فبأي وجه حق يمارس أو يسمح ليمارس ضد «شعبه» هذا كل هذا القهر والحرمان او يتعرض لكل هذه المحن والكوارث؟! فهل نسي النظام انه نفسه الذي أقر في ديباجة البيان التاريخي لاتفاقية آذار عام ١٩٧٠ من ان أحد الاسباب المؤدية إلى قيام (ثورة) حزبه هو تذمره من سلوك انظمة الحكم الفردية والرجعية السابقة التي كانت معزولة عن الشعب وعاجزة عن حل القضايا الوطنية في البلاد وانها كانت تفتقر إلى امتلاك القدرة حيث هدرت الطاقات البشرية والمادية للعراق. . . أليس النظام هو القائل في الديباجة ذاتها: ان حل المسألة الكردية هي في مقدمة القضايا الوطنية التي تواجه «الثورة» خاصة، وانها لم تكن في مقدور العهود السابقة ادراكها. . ألم يخاطب في البيان المذكور الجماهير الكردية قائلاً: ان هذا الانجاز يمثل سلّم الوصول إلى كافة طموحاتكم القومية في ظل هذا الوطن ووحدة شعبه العظيم؟ أو لم يجعل التاريخ شاهداً على نفسه بأن «الشعب الكردي سوف لن يجد أخاً اصدق واخلص له من الشعب العربي». . فاذا كانت تلك هي نيات النظام واخلاصه حيال الشعب الكردي، فلماذا اذن اباح سياسة الارض المحروقة في كردستان لابادة وضرب حركته التحررية بهذه الكيفية؟ في مصلحة من كان ضرب مسيرة السلام والتآخي، ووضع السلبيات والعراقيل؟ ألمصلحة العراق وشعبه، أم الشعب العربي وأمته؟ أم ياترى لصالح عدوهما المشترك؟!

لقد كانت كردستان العراق، أرض الخير والعطاء، زاخرة غنية بالمصادر والثروات الزراعية والحيوانية، تنتج ثروات ومحاصيل كثيرة وعديدة، لم توفر الاكتفاء الذاتي من الحاجات لكردستان وحدها، بل ـ ان لم نقل ـ انها كانت تفي حاجة البلاد، فانها كانت

بالتأكيد تضمن قسطاً كبيراً من المواد الغذائية ومواد الخام المحلية الداخلة في صناعاتنا المحلية الوطنية وغيرها من الوسائل. . . لولا تلك السياسة العدائية الظالمة، وفيما لو اعيرت كردستان الاهتمام المطلوب فانها كانت ستشكل أحد الاعمدة الاساسية لاقتصاد البلاد، وكان بوسع العراق اذ ذاك الصمود أمام الازمات. . غير ان الشعب العراقي واقتصاده الوطني يدفعان ومنذ أمد، ضريبة سياسات النظام وثمن الحرمان من ثروات ومنتوجات كردستان. . لكنه لم يسبق للعراق ان مر باوضاع صعبة كالتي يمر بها اليوم. . فاليوم ونتيجة لازمة الخليج، اصبحت دول العالم بأسرها ملزمة بالقرار المرقم (٦٦١) الصادر عن مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة. . والدول شرقية كانت أم غربية، امبريالية، أم تقدمية وغالبية الدول العربية تطبق الحصار الاقتصادي على العراق وتحرمه من التجارة الخارجية، وباتت المواد الغذائية ومستلزمات الحياة الأخرى في اسواق المدن نادرة وغدا شبح التجويع يلاحق المواطنين. . في وقت تأخذ وتيرة اسعار المواد الاستهلاكية بالتصاعد. ان الازمة الاقتصادية اليوم في البلاد، تبرهن بشكل جلي كم كانت سياسة الارض المحروقة في كردستان خاطئة وجريمة كبيرة ليس بحق شعبنا الكردي المغبون، بل وبحق العراق ككل. . مدللة على جسامة الخسائر التي نالتها البلاد من جراء ترحيل فلاحي ومزارعي كردستان من قراهم وحقولهم، وأكدت بشكل قاطع، انه لولا ما حل بالشعب الكردي على يد النظام، ولو كانت كردستان عامرة وآهلة بسكانها الفلاحين والمزارعين، ينتجون من ارضها السخية المعطاء المحصولات الزراعية والمنتجات الحيوانية، فأي دور كانت (كردستان) هذه ستؤديها في مواجهة ازمة البلاد الاقتصادية وأمام تهديد الحصار الدولي القائم حالياً؟ وكان لابد ان يظهر وقتذاك الدور الذي يمكن ان تقوم به سواعد فلاحي كردستان في التخفيف، لا بل في ابطال مفعول وآثار الاوضاع المفروضة اليوم.

وكان سيظهر ايضاً أي خير وفير تنعم به ارضها الطيبة؟ وقتذاك ما كان ليكون حال العراق هكذا وما كان ليبالي شعبه بهذا الحصار المضروب عليه باحكام، كما هو الآن. . .

تلك هي حصيلة سياسة النظام المجحفة بحق كردستان واهلها، وذلك هو حصاد الغدر - دونما وجه حق - بالشعب الكردي. . . لكن ما السبيل لتخليص الشعب العراقي من سياسة تجويعه؟ وفيما يمكن النجاة من طوق الحصار الاقتصادي ومشاكله؟ ما الذي ينبغي عمله لأجل ان يصمد العراق أمام أسباب تهديده؟

ان المسألة هي مسألة الشعب العراقي وبلاده ومستقبله، قبل أي شيء آخر. . وعلى هذا الاساس فان اسئلتنا اعلاه تطرح نفسها على كل الصعد والجهات. . .

هذه الايام، تتوارد معلومات مفادها، ان النظام يجيز هنا وهناك في بعض المناطق في كردستان المهجورة المحرمة، للفلاحين بالتوجه إلى حقولهم السابقة لحرثها وزرعها

والعودة إلى المعسكرات مساء؟ وازاء هذا لا يستصعب على المرء ان يستدرك (في ظل اوضاع البلاد الراهنة)، ان الدوافع الحقيقية وراء هذه الخطوة غير المعلنة، هي الازمة الاقتصادية والحصار التجاري المطبق على العراق، فالنظام والحالة هذه، يتوجه مرة أخرى صوب كردستان لرأب الصدع، وادراكاً منه للدور المتميز الذي يمكن لكردستان اداءه بوجه هكذا ازمة. . فان هذا التوجه يثبت ـ ولو بشكل غير مباشر ـ اعتراف النظام بما اقترفه من ظلم واعتداء كبيرين بحق هذا الجزء المهم من بلاد وشعب العراق، كردستان وشعبها. . لكن هل سيتحقق للعراق ما يجب ان يتحقق له لمواجهة الوضع الناشيء بهذه الصورة من التوجه المحدود والضيق الافق؟

ان الذي يهمه العراق ومستقبل شعبه، ويبغي حقاً تخليص بلاده من المحن، ويبحث بشكل جدي عن سبل حل الازمة الاقتصادية وغيرها. . . وان الذي يرغب فعلاً في قطع الطريق أمام تكتيكات الاجنبي الطامع ومخططات الدول الكبرى. . ان الذي يريد ذلك حقاً، فما عليه إلا ان يبحث بجدية في الحلول الجذرية والصحيحة لكافة معضلات البلاد الداخلية. ولا نأتي بجديد ان قلنا، ان القضية الكردية تشكل أولى وأهم القضايا المزمنة التي تنتظر بالحاح الحل السياسي والسلمي الجذري والدائم. . ذلك وليس غيره هو السبيل الاضمن والاصح للخروج بالبلاد من أزماتها وتمكينها من الوقوف بوجه الاعاصير. وعند هذه النقطة بالذات نقف، من جديد لنركز إلى دافعنا من الاشادة والاستشهاد في مستهل هذا المقال بما ورد في ديباجة بيان الحادي عشر من آذار التاريخي، حيث تلمست ونبهت إلى ضرورة وأهمية حل المسألة الكردية جذرياً وسلمياً، والتي كان لعدم الادراك بها وافتقار الرغبة الصادقة لحلها عامل بقائها قائمة معلقة.

ان اصرارنا على ضرورة الحل السياسي السلمي والجذري نابع من منطلق حرصنا على العراق وعلى الاخوة التاريخية بين العرب والكرد.

واليوم وبعد مرور عشرين عاماً على ذلك الاقرار التاريخي، نرى ان السلطة لم تأخذ بالدروس والحقائق التي أقرتها وأكدت على ضرورة الأخذ بها، لذلك فان القضية الكردية ليست قائمة حتى الآن من غير حل وحسب بل اصبحت تطرح نفسها بشكل أخطر.

ان الظروف الراهنة والاوضاع الخطيرة التي تشهدها المنطقة، والعراق بشكل خاص، تفرض بأن مصالح العراق وشعبه والأمة العربية ايضاً، تقتضي حل هذه القضية المزمنة حلاً فورياً وبالشكل الذي ذكرناه والذي يستجيب لطموحاتنا المشروعة. . ان توفر الارضية اللازمة لهذا الحل يتمثل في المبادرة إلى اتخاذ الخطوات الصادقة من أجل:

الغاء قرارات الترحيل والتهجير في كردستان ومعسكرات الاسكان القسري، اعادة الفلاحين والقرويين إلى مناطقهم الأصلية، الكشف عن مجهولي المصير واطلاق

سبيلهم، اخلاء سبيل المعتقلين السياسيين، انهاء سياسة معاداة الشعب الكردي والغاء مخططات الاذابة والابادة بحقه، المساواة والعدالة والديمقراطية في البلاد عامة.

ان الشعب الكردي في كردستان حقيقة قائمة، يشكل جزءا هاماً من العراق وشعبه، وقد اعترف وأقر بحقه في (الحكم الذاتي) بشكل رسمي ودستوري، فلماذا النيل من شأنه، ولماذا الالتفاف عليه؟

وأخيراً فليكن واضحاً لكل من يعنيه أمر العراق والمنطقة، ان لا سلم ولا استقرار بدون حل عادل لقضية شعب كردستان المشروعة.. فهل يفكر النظام في ذلك؟!

(خه بات-النضال) العدد /٦٠٨/ ايلول ١٩٩٠

هل هم فاعلون؟!

علوان

ردة الفعل العربية الغاضبة التي شملت أوساطاً شعبية ورسميّة، على المجزرة الفلسطينية التي قام بها المحتلون الاسرائيليون في القدس الشريف بقتل العشرات وجرح المئات من المواطنين الفلسطينيين العزل، هي ردة فعل طبيعية وشرعية في الوقت نفسه، لم تحركها مشاعر قومية مع الاشقاء العرب في فلسطين المحتلة فحسب، بل ومشاعر الغضب الانساني حينما تجاوز القمع حدوده واستهتر المحتل بالقيم والاعراف الضامنة للسكان العزل حياتهم وامنهم في ظل الاحتلال وحينما خرقت بفظاظة شريعة حقوق الانسان.

نقول هذا وليس غائباً عنا ان ثمة من عارض احتلال العراق للكويت ومن أيد الاحتلال علناً جهاراً أو بمداراة الاحتلال، ولكل في ذلك اسبابه ودوافعه وربما خلفياته

وهي ليست موضوع حديثنا.

ففي حديثنا هذا نحاول تجنب السياسة واحتمالات الاختلاف فيها، رغم انها تكاد تتدخل في كل شيء، ونتناول الأمر من زاوية أخرى قد تبدو للبعض اضيق ولكنها في الواقع أكثر شمولاً، من زاوية حق أي انسان وحق أي شعب مهما كان صغيراً في العيش آمناً على ارضه بصرف النظر عن هوية السلطات الحاكمة وبصرف النظر عن شرعية الاحتلال أو عدم شرعيته.

لعل من تابعوا ازمة الخليج ومضاعفاتها، وهم كثيرون، قد سمعوا بمعاناة الشعب الكويتي في ظل الاحتلال العراقي. وكعراقي لا يطاوعني القلم في سرد تفاصيل هذه المعاناة التي وقعت بايدٍ عراقية واكتفي بمجرد الاشارة إلى بعضها: رجال يقتلون أمام الملأ وآخرون يساقون أسرى إلى السجون في العراق وبين هؤلاء واولئك اطفال لم يبلغوا بعد سن الرشد، نساء تغتصب، ياللعار والفضيحة! منازل تهدم على رؤوس سكانها، اطفال رضع يتركون ليموتوا. . ولا أريد الحديث عن الأموال المنهوبة والمؤسسات والمنشآت المنقولة والتي تنقل كل يوم من الكويت إلى العراق لأن أمر هذه الاشياء، بعد ان اصبحت الكويت المحافظة التاسعة عشرة من محافظات العراق بقرار الرئيس (المبجل) صدام حسين، يعود إلى السلطة المركزية في بغداد. فمثلما السلطة المركزية وصدام حسين حران في نقل منشآت ميناء البصرة من جنوب العراق إلى مدينة حلبجة في شمال العراق وتسمية مدينته تكريت محافظة بدلاً من سامراء وهي أحق بذلك، فهو يملك الحرية نفسها في نقل منشآت تحلية مياه البحر من الساحل الكويتي على الخليج إلى ضفاف نهر ديالى عند مصبه في دجلة!

كل هذا وغيره الكثير يجري لشعب الكويت، وهو شعب عربي على كل حال، لكن البعض من العروبيين لم يعملوا شيئاً ولا رفعوا صوتاً لا ليدينوا حكام بغداد على افعالهم وهذا ما لا نطلبه منهم، بل لكي يقولوا كلمة حق عسى ان تساعد في اضفاء، مسحة من النظافة، من النقاء، من البراءة على الوليد الجديد «وحدة الكويت مع العراق» غير الشرعي، هل هم فاعلون؟

عن (الغد الديمقراطي) اكتوبر ١٩٩٠

أزمة الخليج :
هل بدأ الفرز . . بعد ان اختلطت الأوراق؟

خلف شعارات براقة عن الأمن القومي العربي ووحدة العرب ضد اعدائهم، وفي خضم مزاعم النظام العراقي وتهديداته لافناء اسرائيل ومخاربة الامبريالية والحفاظ على ثروات العرب البترولية من مستغليها والمفرطين بها التي ترافقت مع الغزو العراقي للكويت، اختلطت الاوراق وطمست معالم النزعة التوسعية المغامرة لصدام حسين وما يمكن ان ينتج عنها من دمار شامل لا يلحق العراق وشعبه بل والمنطقة كلها مع شعوبها، واختلفت المواقف وتفرقت الآراء واضطربت المقاييس.

ولكن بعد ان شعر الجميع بما قاد اليه صدام حسين العرب والمنطقة من مأزق خطير لم تلحق اضراره المدمرة دولاً معينة فقط كالكويت والعراق، بل ودولاً عربية أخرى كانت تتوهم انها بمنأى عن الكارثة، حتى بدأت الصورة تتغير والوقائع تفرض نفسها على الجميع فتزيل الغشاوة عن العيون وتجسد المأساة بكامل حجمها. وبدلاً من العواطف أخذ العقل يحتل دوره وباتت الحقائق الصلدة تتبدى من خلال الركام الكثيف من الشعارات والمزاعم.

فالزعيم الليبي معمر القذافي يقول في كلمة له في ختام مؤتمر الشعب العام: «انه لا يوجد حل لأزمة الخليج إلا بخروج العراق من الكويت وان حرب الخليج التي أرادها حكام العراق، لولا الموقف الليبي والسوري، حرباً عربية ـ فارسية ويريدونها الآن ان تكون، رغم كل شيء ورغم اطرافها الاسلامية والعربية، حرباً اسلامية».

وأكد وزير خارجية تونس الحبيب بولعراس في حديث نشرته صحيفة «الحياة» ونقلته وكالة رويتر ان ايجاد حل لأزمة الخليج لا يمكن إلا ان يقوم على نقاط ثابتة وواضحة تتمثل بانسحاب العراق من الكويت واسترجاع الكويت سيادتها احتراماً لميثاق الامم المتحدة وجامعة الدول العربية وان هذا الحل هو الذي يبعد شبح الحرب التي ستكون وبالاً على الكويت والعراق وعلى المنطقة كلها اذا ما وقعت.

ولم يكن غياب الملك الاردني حسين عن حضور مؤتمر المنظمات الشعبية العربية المنعقد في عمان تحت رعايته إلا محاولة لمراجعة الموقف الاردني، المساند لصدام حسين، كما يأتي في هذا السياق ما صرح به رئيس الوزراء الاردني لصحيفة «الرأي»

الاردنية نهاية ايلول الماضي قائلاً: ان الملك حسين حريص على التوصل إلى خطة جماعية لأزمة الخليج لوقف تصعيد العمليات العسكرية وانسحاب القوات العراقية من الكويت.

أما الرئيس اليمني علي عبد الله صالح فقد قال في تصريحات جديدة: ان العراق لابد ان ينسحب من الكويت لأن البديل لعدم الانسحاب هو الدمار الشامل. وان اليمن ملتزم بتنفيذ قرارات مجلس الامن الخاصة بالمقاطعة الاقتصادية للعراق.

وافاد تصريح منسوب لمسؤول منظمة التحرير الفلسطينية في باريس ان المنظمة ليست مع غزو العراق للكويت مؤكداً انه «لا توجد وثيقة واحدة مكتوبة لها تؤيد العراق».

هذا ويبدو ان مراهنة النظام العراقي على كسب حياد ايران من أزمة الخليج لقاء تنازل صدام لشروط ايران لم تحقق هدفها. فقد صرح الرئيس الايراني، في مقابلة له مع صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية نشرت يوم الاثنين ٨ تشرين أول (اكتوبر الحالي، معلناً معارضة بلاده لأي تنازلات كويتية لصالح العراق كجزء من أية تسوية لأزمة الخليج. وقال رفسنجاني: ان ايران ابلغت الكويت بانها لن تقبل بادنى تنازل اقليمي، بما في ذلك جزيرة بوبيان.

جدد الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد في تصريح له واصفاً الوضع في الخليج بانه خطير جداً، وقال: «اننا لسنا مع العراق في احتلاله للكويت مهما كانت المبررات».

وأكد الرئيس الجزائري سعي بلاده لايجاد حل عربي للازمة في الخليج وذكر بأن الأمور تطورت ودخلت فيها عناصر واطراف أخرى لابد من أخذ رأيها.

عن (الغد الديمقراطي) اكتوبر ١٩٩٠

المرحلة لا تتحمل الخطأ!

القاسم المشترك الوحيد الذي يمكن ان تجتمع عليه فصائل المعارضة العراقية، بعد توحيدها الجهد والعمل لاسقاط نظام صدام وانقاذ العراق والمنطقة، هو الديمقراطية

بمعناها الحقيقي الواسع والشامل، والمتمثل في حق الانسان بكامل أمنه، سياسياً، واقتصادياً وعقائدياً.

وبالاجتماع على هذا المحور الاساس، تستطيع المعارضة العراقية ان تثبت انها النقيض الحقيقي لنظام صدام حسين بكل صفاته الدكتاتورية وخصائصه الارهابية، وممارساته اليومية التي سلبت ـ وما زالت ـ حرية الانسان العراقي وكرامته، وداست بعجلة القمع والتعسف على كافة حقوقه الطبيعية التي أقرتها له شرائع الارض والسماء. . .

ولا شك ان الديمقراطية بالمعنى الذي نشير اليه، لا تكفي ان ترفع شعاراً براقاً، ولافتة عريضة، ومصطلحاً مجرداً يعنون أدبيات المعارضة ويؤطر طروحاتها وفعالياتها الشكلية، وانما يجب ان ترسخ هذا المعنى وتعمق مفهومه مصاديق واضحة تشكل بمجموعها حالة تؤمن بالانسان وتحترم ارادته وحريته وحقوقه الأخرى.

وكنا قد أشرنا في كتابات نشرناها في اعداد سابقة من (البديل الاسلامي) إلى حقيقة مفادها ان صدام حالة وليس شخصاً، وأعلنا ان ما نخشاه ونحذر منه هو ان تسري عدوى هذه الحالة المتخلفة لتصيب مفاصل اساسية في واقع المعارضة العراقية، فتمارس ـ بقصد أو دون قصد ـ ممارسات الحالة «الصدامية» ولكن بالقدرة والاسلوب الذي يتيحه لها ظرفها الراهن في مرحلة المعارضة، مما ينذر بخطر فادح يتمثل بانتقال شعبنا العراقي المضطهد من دكتاتورية صدام إلى دكتاتورية المعارضة التي هي أمله في الخلاص والانعتاق.

وعلى الرغم من ان أدبيات المعارضة العراقية وما حملته من خطاب سياسي للشعب العراقي والرأي العام العربي والعالمي، لم يتضمن ما يوحي بسريان الحالة الدكتاتورية في هيكل المعارضة ووجودها، إلا ان بعض المظاهر والممارسات الخاطئة تدفعنا للتأكيد مجدداً بأن احوج ما تحتاجه مختلف فصائل المعارضة العراقية اليوم هو اثباتها العملي لمصداقيتها في انها تجاهد، وتناضل، من أجل اسقاط نظام صدام، لأنها نقيضه. . ولأنها نفيه بكل ما تحمله العبارة من معاني القضاء على الظلم والاستبداد وكل ما من شأنه مصادرة الانسان وسلبه حقه في أمنه ورأيه ومعتقده، وليس لأنها تطمح في مجرد حكم العراق مستقبلاً. ولا يمكن اثبات ذلك إلا من خلال ممارسة نقيضة لممارسة النظام، ومنهج مغاير لمنهجه، ومهما كلف تحقيق هذا الهدف من نكران للذات «الشخصية» أو «الفئوية» إلا ان انجازه يعد أمراً لازماً وضرورياً للغاية، فالمرحلة التي تمر بها القضية العراقية غاية في الدقة. . وغاية في الخطورة والحساسية، ولا تتحمل الخطأ!!

أجل لا تتحمل الخطأ!!

(افتتاحية البديل الاسلامي)
١٩٩٠/١١/١

مرة أخرى . . ملاحظات صريحة حول وضع العراقيين في ايران

أحمد سالم

لعل أهم ما يشغل بال العراقيين المقيمين في الجمهورية الاسلامية هذه الايام، هو مصيرهم الذي سيؤولون اليه، بعدما عادت العلاقات بين طهران وبغداد وفتحت السفارتان لدى البلدين ابوابها وتزداد التساؤلات ويتصاعد القلق أكثر عندما لا يرون أي مؤشر ايجابي يبعث في نفوسهم الاطمئنان على انهم لن يكونوا الخاسر الأول والأكبر في هذا التطبيع الذي تسارع بشكل لم يكن في الحسبان.

ومعروف ان العراقيين الموجودين في ايران ينقسمون إلى قسمين: المهجرون والمهاجرون. وكلاهما يواجه نفس الوضع من حيث المعاملة والاعتبار. فالمهجرون، جرى ابعادهم عن بلادهم عنوة بعد تجريدهم من جميع ممتلكاتهم بل وحتى من ابنائهم الشباب الذين ابقى عليهم النظام في السجون طوال السنين الماضية، أما المهاجرون فهم الذين هاجروا من العراق بدينهم وارواحهم، هرباً من البطش الذي مورس بحق كل الاسلاميين بعد انتصار الثورة الاسلامية، أو هرباً من الحرب وتحاشياً للموت في حرب ظالمة شنها نظام بغداد ضد الثورة الاسلامية، ونحن عندما نوجه كلامنا إلى المسؤولين الايرانيين، فلأن ايران طرف معني قبل غيره بهذه المشكلة التي اصبحت الآن أكثر حاجة للحل، وايران معنية بالأمر، لعدة اعتبارات.

أولاً: ان التهجير تم إلى ايران وليس إلى دولة أخرى.

ثانياً: التهجير تزامن مع تصاعد حملة العداء الصدامي للثورة الاسلامية بعيد انتصارها، بل وجاء في سياق الاستعدادات التي قام بها النظام تمهيداً لشن الحرب على ايران.

ثالثاً: التهجير تم بدعوى ان الذين تم ابعادهم ينحدرون من اصول ايرانية مهما كانت بعيدة.

رابعاً: ان الغالبية العظمى من المهجرين، انما حل بهم غضب النظام بسبب نشاطاتهم الاسلامية الحركية ومواقفهم من النظام وتأييدهم للثورة الاسلامية.

خامساً: أما بالنسبة إلى المهاجرين فقد قصدوا ايران لاعتبارات ومبادىء اسلامية تبنتها الثورة الاسلامية ودعت المسلمين إلى الاستجابة لها، فكان العراقيون أول من استجاب وتحمل في سبيل ذلك شتى أشكال العذاب، والمشاق بدءاً بطريقة هروبهم من العراق ومروراً بما حل باهلهم وذويهم في العراق من بطش وتنكيل وتقتيل، وانتهاء بالمشاكل التي واجهوها داخل ايران، على صعيد الاقامة والعمل والوثائق المعنية بشؤون العراقيين وهي مشاكل يشترك بها كل العراقيين في ايران سواء كانوا مهاجرين أم مهجرين.

وليس خافياً على أحد، حجم التضحية التي قدمها العراقيون في ايران في سبيل الثورة والدفاع عن حرمة الجمهورية الاسلامية، وفي الحرب كان لهم الدور المشهود فقدموا الشهداء من خيرة شبابهم، وظل هؤلاء جنوداً مجهولين حقاً، اذ ان عوائل الكثير منهم لا زالت في العراق ولا تعلم عن مصير ابنائها شيئاً.

اذن فايران معنية بالعراقيين المقيمين على أرضها قبل غيرها، وما دام الوضع الذي هم فيه جاء نتيجة لعداء النظام العراقي للثورة الاسلامية وجمهوريتها، فلماذا لا ينسحب تلاشي هذا العداء، وحلول التطبيع محله، ايجابياً على وضعهم ايضاً. فهل من العدل والانصاف ان تستمر معاناتهم بعدما زالت اسبابها وتصالح مسببوها؟

ولعل تجربة السنوات الماضية الغت من قاموس العراقيين في ايران «التفاؤل» و«حسن الظن» وتصديق الاقوال والوعود التي طالما سمعوا بها، فلا زالوا يتذكرون وعد وزير الداخلية السابق السيد محتشمي لهم بحل جميع مشاكلهم وان هناك «جوازات سفر للعراقيين تحت الطبع»، ثم تمر الايام ليتضح ان لا وجود لمثل هذه الجوازات ولا حتى نية اصدارها.

وتزداد المرارة أكثر، عندما تظهر مؤشرات على تصاعد ظاهرة الجفاء ضدهم من قبيل ما يشاع عن مطالبة بعضهم باستحصال تأييد من السفارة العراقية التي اعيد فتحها في طهران حديثاً، بشأن معادلة شهادة جامعية أو معاملة من قسم شؤون الاجانب بوزارة الداخلية وغيرها فهذه بداية غير محمودة لمستقبل مشوش المعالم بالنسبة للعراقيين في ايران. ولابد من وقفة مسؤولة عندها، ولفت انظار الاخوة المسؤولين في الجمهورية الاسلامية لخطورة التمادي فيها. فلعلها تكون من فعل مستويات حكومية دنيا، لكنها مع كل حال يمكن ان تتحول إلى ظاهرة توجه اساءة لمصداقية ايران وتقدم خدمة كبرى لنظام بغداد الذي لم يعد خافياً انه ضد ابناء العراق كما هو ضد الشعوب الاخرى.

وبعيداً عن حديث المبادىء والعدل والمسؤوليات الشرعية، فان الاصول القانونية والانسانية تحتم حل المشكلة، فالمهجرون يعانون مشكلة الهوية قبل غيرها وما يترتب عليها من حق العمل والتملك والدراسة، فلا هم بالعراقيين، بعد ان سلبهم النظام جميع

وثائقهم الثبوتية، بل وحتى شهاداتهم الدراسية، ولا هم بالايرانيين لأن المسؤولين يرفضون منحهم الجنسية الايرانية، بحجج، مختلفة... فيما تمنح هذه الجنسية للاجانب من غير العراقيين، خاصة اذا كان ينحدر من اصل ايراني. أما المهاجرون فلهم الحق - حسب القانون الايراني الذي يطبق الآن على الجميع-في الحصول على الجنسية بعد اقامتهم في ايران لأكثر من خمس سنوات أو زواجهم من امرأة ايرانية.. واذا لم يتم ذلك، فعلى الأقل توفير تسهيلات لهم تمكنهم من السفر إلى بلاد الله الواسعة ورفع العقبات الحالية التي تجعل خروج العراقي من ايران أشبه بالحلم، خاصة بالنسبة للذين لا يحملون وثائق السفر.

أما ما يشاع داخل ايران اليوم من ان المسؤولين الايرانيين ينوون اجبار نظام بغداد على عودة المهجرين والمهاجرين وأخذ ضمانات منه على سلامتهم وضمان حياتهم فانما يدل على جهل أو تجاهل لطبيعة الحكم العراقي، ومدى التزامه بالاتفاقات و«الضمانات» التي يقدمها.

على أي حال، فان مشكلة العراقيين في ايران برزت اليوم إلى السطح باقوى ما كانت عليه حتى الآن، وتستلزم من المسؤولين في الجمهورية الاسلامية وعلى أعلى المستويات قراراً عاجلاً، دون ايصال هذه المهمة إلى اللجان والمجالس و«الجلسات» التي عادة ما تضيع فيها أكثر قضايا البلاد أهمية وحساسية.

عن (البديل الاسلامي)
١٩٩٠/١١/١

كي لا تغيب الحقيقة

مما لاشك فيه ان غزو نظام بغداد للكويت، جريمة غادرة مدانة في كل المقاييس الوطنية والقومية والانسانية، وان العمل على سحب القوات التي أرسلها صدام حسين إلى

المكان الخطأ ضرورة لاسقاط المسوغات التي أدت إلى التواجد الاجنبي الكثيف فوق الأرض العربية وإلى التشبث بذلك التواجد، وان ارسال القوات العربية إلى الجزيرة والخليج هام لحصر الخطر وتضييق ابعاده. ومع الاقرار بهذه الاعتبارات، لابد من التنبه لمسألتين هامتين:

● الأولى: ضرورة التمييز بين الدفاع عن شعب العراق، والدفاع عن الطاغية الحاكم فيه، اذ ان المسافة شاسعة بين الأمرين. وعندما تنطلق دعوات الانتقام من العراق دون هذا التمييز، فانها دعوات مشبوهة تناقض مصالح وطننا وامتنا.

فالعراق، في المحصلة، بشعبه وامكانياته هو للامة وليس للحاكم الذي نأى به عن قضايا الامة الحقيقية، وبالتأكيد يصبح مرفوضاً في الوقت ذاته، أي تصور يجعل من الدفاع عن العراق، يبدو وكأنه دفاع عن استمرارية الحاكم الحالي للحفاظ على وحدة الوطن وسلامته، لأن الذي يهدد تلك الوحدة وتلك السلامة بأفدح الأخطار هو استمرار الحاكم في حكمه وجرائمه.

واذ يبقى الانسحاب من الكويت حلاً آنيا مطلوباً، فانه يظل حلاً جزئياً دون النضال الوطني لانجاز اسقاط الطاغية الذي دأب على قيادة العراق منذ استلامه الحكم من مغامرة خاسرة لأخرى متسبباً بمآسي جمة ودمار شامل تعدى حدود العراق.

● الثانية: انطلاقاً من هذا القياس فان معارضتنا لسياسات الحاكم في بغداد والعمل على اسقاطه، لا يعني الدفاع عن امريكا وسياساتها ومخططاتها في منطقتنا، لأنها تبقى عاملاً أساسياً في الكثير مما أصابنا ويصيبنا في كل أرجاء الوطن العربي.

وقد استمرت سياساتها تجاهنا عدائية غير منصفة، مرائية، ضد مصالحنا وأمانينا. ففي فلسطين مثلاً كان أيسر علينا معالجة قضية الصراع ضد الصهاينة لولا امريكا وما تؤديه للكيان الصهيوني.

فليس من تناقض بين الدعوة لاسقاط صدام حسين ومناهضة امريكا، لأن الاول هو ذاته الذي أسدى لامريكا جل الخدمات بما تسبب فيه للعراق وللامة العربية، وذلك بعد ان الغى الدور القومي لبلدنا، وشن الحرب الضروس على شعبنا العراقي، ووجه بنادقه وحرابه إلى اصدقاء العرب قبل ان يحولها إلى العرب انفسهم.

بمعنى اننا عندما نرفع شعاراتنا ضد الحاكم في بغداد، فاننا في الوقت ذاته نقف ضد امريكا باغلاق الطريق على مخططاتها.

وقد يبدو مقبولاً ان الامريكان يريدون استمرار حاكم بغداد في غيه واحداث المزيد من الشروخ والانهيارات المريعة في الواقع العربي... بل قد يدفعونه إلى التشبث الارعن

بالكويت لكي تستمر خططهم لتدمير العراق واحداث المزيد من الاضرار. كما دفعوه من قبل إلى الايغال في محاربة الثورة الايرانية. ولهذا عندما نصعد نضالاتنا ضد الحاكم في بغداد، ونعتبر اسقاطه مهمة أولى من المهام الوطنية والقومية، فاننا بذلك نقاوم خطط امريكا في وطننا.

(صوت الجماهير)

تشرين الأول

«الحوار» المنقوص!

أشرف السيد

اجواء التشنج والتصعيد الطاغية على أزمة الخليج، لم تستطع ان تحجب الجهود المتواصلة من أجل الوصول إلى تسوية سياسية رغم التشاؤم الذي يسيطر على أكثر من جهة تسعى إلى ذلك.

ففي نهاية الاسبوع صدرت علامات تميل إلى «التهدئة» لكنها بقيت في حال مراوحة بعدما جوبهت باحجام نحوها من جانب الاطراف المعنية مباشرة بالأزمة.

ففي «مناظرة» غير مباشرة بين الملك فهد وحاكم العراق صدام حسين لمناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، تقدم العراق بدعوة مفتوحة «للحوار»، لكن هذه الدعوة بقيت اسيرة الطروحات العراقية المعروفة التي لا تنم عن ارادة حقيقية لاقامة حوار ناجح يأخذ بعين الاعتبار القرارات الدولية وخاصة لجهة الانسحاب غير المشروط من الكويت.

وبهذا المعنى جاءت الدعوة للحوار فارغة من المحتوى السياسي المطلوب من بغداد بالتحديد.

فحاكم العراق لم يشأ ان يتراجع عن مواقفه وبقيت الدعوة للحوار بعيدة عن «التنازلات» السياسية المطلوبة في هذه الازمة من أجل فتح باب التسوية السياسية وابعاد خطر نشوب الحرب.

كما ان دعوة الملك فهد بهذه المناسبة لم تخل من «الدبلوماسية» التي تطالب بغداد بالعودة عن خطواتها التي سممت الوضع باكمله في منطقة الخليج.

وبقيت الدعوة السعودية في إطار «التمنيات» وحسب، خاصة وان مواصلة الحشود العسكرية تتوالى دون توقف بانتظار استكمالها في فترة لا تزيد عن الشهر الواحد من أجل ان تتم جهازيتها للقيام بأي عملية عسكرية معينة ضد العراق.

في هذا الاطار بقيت الرسالة الجوابية التي حملها وزير الخارجية العراقي إلى الملك حسين في عمان بهدف ابلاغها إلى كل من الملك الحسن الثاني والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، بقيت طي الكتمان رغم ان بعض الجهات تؤكد انها رسالة خطية تجيب على الاسئلة التي سبق لاجتماع الرباط الذي ضم المسؤولين الثلاثة ان طالب صدام حسين بالجواب عليها خطياً لكي تشكل أداة مناسبة لتحرك عربي يبحث بصورة جديدة إطاراً للحل.

وقد ربطت بعض الجهات بين زيارة طارق عزيز إلى عمان وما قد يحمله من ردود قابلة للنقاش على المستوى العربي وبين الرد العراقي «المرن» على مبادرة الرئيس الفرنسي ميتران، وان كانت تخلو من الاساس حول اعلان «نية» العراق الانسحاب من الكويت كشرط للتسوية السلمية أو لتحرك دولي واسع بهذا الاتجاه كما عبر عن ذلك الرئيس ميتران.

ويسجل هذا التوجه في وقت أعلن فيه الاتحاد السوفييتي تأييده لاجراء عسكري «شرط ان يتم تحت راية هيئة الامم المتحدة واحياء هيئة الاركان العسكرية في مجلس الامن الدولي التي لم تجتمع منذ قيام المنظمة الدولية التي نصت على وجود مثل هذه الهيئة في ميثاقها!

وسط هذه الاجواء لم تتوقف المساعي من أجل اقناع العراق بالالتزام بالقرارات الدولية لكي يجنب شعوب المنطقة المواجهة التي ستعود بالوبال عليها!

عن (النداء)

«الجغرافيا الاقتصادية» . . . وأزمة الخليج

محمد مشموشي

عندما يتحدث كاتب امريكي مشهور مثل توماس اوميستاد عن «الجغرافيا الاقتصادية» باعتبارها البديل عن «الجغرافيا السياسية» التي حكمت صراعات العالم في فترة الحرب الباردة، فانه يمس جوهر المسألة المطروحة حالياً في المنطقة العربية انطلاقاً من اجتياح العراق للكويت وأزمة الخليج التي نتجت عنه.

فالاقتصاد هو بطل المسرحية التي تمثل الآن على مسرح الخليج، في منطقة جغرافية أوسع هي ما يطلق عليها اسم منطقة الشرق الاوسط وكل ما عدا ذلك يأتي في المرتبة الثانية. هكذا كان الأمر بالنسبة لحركة صدام حسين في اتجاه الكويت، ومن يقرأ رسالته إلى جورج بوش عشية الاجتياح وكذلك رسالته اليه بعد الاجتياح يكتشف ذلك، تماماً كما هو الأمر بالنسبة لحركة بوش وحلفائه الغربيين في اتجاه السعودية والامارات وقطر وغيرها. أما الحركة العربية سواء منها السياسية لناحية الدعوة إلى حل عربي، والعسكرية لناحية إظهار التضامن العربي مع المعتدى عليه أو الخائف، فهي تأتي في إطار محاولة انتزاع «الجغرافيا الاقتصادية» و«الجغرافيا السياسية» من الايدي الخارجية وابقائها، قدر الامكان، في عهدة المنطقة واهلها ومصالح دولها وشعوبها.

ولعل هذا هو المأزق الحقيقي الذي تمر فيه المنطقة كلها حالياً.

فالرئيس العراقي الذي طرح أزمته الاقتصادية، بما فيها المساعدات والديون وأسعار النفط، قبل اجتياح الكويت، ذهب بعيداً في طرحه إلى حد استخدام التهديد بداية، ثم القوة المسلحة تالياً، ثم «الجغرافيا السياسية» والتاريخ و«الحقوق التاريخية» في وقت لاحق. وباختصار فقد وصل صدام إلى النقطة التي لم يكن يتصور الوصول اليها عندما طرح أزمته الاقتصادية، فضلاً عن انه لم يعد يعرف الرجوع عنها بعدما طرح «الجغرافيا السياسية» والتاريخ شعاراً لها.

والرئيس الامريكي الذي طرح الصوت في بلاده، وفي الغرب عموماً، على اعتبار ان «الدولة العظمى» لا تكون عظمى إلا باقتصادها فقط في مرحلة ما بعد الحرب الباردة،

وان مستقبل الدول الصناعية كلها هو المهدد، ذهب بعيداً في طرحه كذلك إلى حد انه حشد أكبر قوة عسكرية له في الخارج منذ حرب فيتنام وارسل وزيري خارجيته وماليته لتجميع تكاليف هذا الحشد، كما ان عينه على مهلة الايام الـ ٦٠ والـ ٩٠ التي يعطيه اياها الكونغرس بموجب «قانون الحرب» من ناحية، وعلى الانتخابات الفرعية في الشهرين المقبلين من ناحية أخرى. وباختصار فهو، مثل صدام، في مأزق، إلا ان ما يخفف من مأزقه كون الامم المتحدة ومجلس الامن إلى جانبه، فضلاً عن الاتحاد السوفييتي الذي أبدى أخيراً استعداده للتدخل عسكرياً في ما لو كان الحشد كله تحت علم الامم المتحدة وبقيادة لجنة رؤساء الاركان للدول الخمس ذات العضوية الدائمة في مجلس الامن.

إلا انه بين المأزقين، تبدو الحركة العربية مؤهلة لأن تكون في وضع مريح نسبياً لو ان مصير المنطقة كلها لم يكن على المحك، أو لو ان صدام حسين كان مستعداً لنزع فتيل اللغم العسكري ـ الاقتصادي ـ السياسي الكبير عن طريق الانسحاب من الكويت وترك الأمر بين يدي «الحل العربي» على طريقة حل العام ١٩٦١.

لكن مصير المنطقة، ومصير شعوبها وثرواتها، هو الموضوع على المشرحة الآن سواء في اللقاءات العلنية أو في اللقاءات السرية بين قوى ما بعد الحرب الباردة. كما ان صدام لم يتقدم خطوة واحدة بعد على طريق نزع الفتيل الذي زرعه هو بنفسه.

واذا كان ذلك يشكل مأزقاً للعرب، وتالياً للحركة العربية التي تسعى لانتزاع المنطقة من على طاولة المشرحة، وبالتالي من سوق المزايدات والمساومات، فان ما يبقى هو ان «الحل العربي» ما يزال الأوفر حظاً برغم كل شيء.

ولكن اذا. . . .

اذا ماذ؟. . اذا كان صدام مستعداً لنزع فتيل اللغم الذي زرعه بيده. ولن ينزع الفتيل ما لم يتم الانسحاب العراقي من الكويت.

فهل يكون كلام صدام منذ يومين عن رغبته بـ «الحوار» مع الغرب من أجل «حل سلمي» دليلاً على مثل هذا الاستعداد؟.

لا شيء مؤكداً بعد، مع ان البعض يعتقد بأن الرغبة بـ «الحوار» مؤشر على نوع ما من التراجع.

عن (السفير)

أزمة الخليج ونهاية المواجهة بين القوتين العالميتين

انفجار أزمة الخليج في الوقت الذي تظل فيه مشكلة الشرق الاوسط معلقة ويوضع حد للمواجهة بين القوتين العالميتين هو موضوع الحوار الذي اجراه مراسل «نوفوستي» مع البروفسور غيورغي ميرسكي أحد الباحثين السوفييت الكبار المتخصصين بشؤون الشرق الاوسط.

ويرى الباحث ان التخلي عن اعتبار العالم مكوناً من قسمين متعارضين لا يعني ان الهدوء والسلام سيسودان العالم تلقائياً. وعلى العكس من ذلك فان بعض الزعماء السياسيين يمكن ان يستغلوا الانفراج وتخلي الدولتين الكبريين عن المواجهة بينهما التي طال أمدها لتحقيق مطامعهم التسلطية. وما احداث الخليج إلا دليل على ذلك. واذا لم يتم التصدي لمثل هذه التصرفات فان الفكر السياسي الجديد الذي بعث على الأمل في حل المشاكل الحادة بالوسائل السياسية يمكن ان يبقى مجرد أمنية فيما يكون قانون الغاب هو الذي حكم العالم.

وقال ميرسكي: انني لا أرى حلاً سهلاً لأزمة الخليج الحالية. ذلك انه رغم ان أكثرية الحكام العرب يدينون العدوان فان هناك في الاوساط الاجتماعية بالعالم العربي والاسلامي والعالم الثالث ككل ردود أفعال مختلفة ترجع إلى المشاكل المتراكمة خلال ما يزيد عن ٤٠ سنة من الصراع المتأصل بين اسرائيل والعرب وإلى الشعور بالغبن وخيبة الأمل اللذين اصابا الفلسطينيين وغيرهم بسبب عدم حل مشاكلهم الحياتية والدوس على حقوقهم.

ويعتبر الباحث ان عودة بغداد إلى الربط بين مشكلتي الشرق الاوسط والخليج لا أساس لها. ومع ذلك فانه يرى انه لا يمكن اقامة السلام الثابت في المنطقة طالما يبقى النزاع العربي ـ الاسرائيلي دون حل عادل. ولا يمكن تبرير تصرفات العراق ولكن هناك وقائع كثيرة لا يمكن تجاهلها. فعندما حاصر الاسرائيليون بيروت خلال عدة شهور في عام ١٩٨٢ لم تنشط هيئة الامم المتحدة مثلما تنشط الآن ولم تشكل أية قوة عسكرية لانهاء التدخل انما تركت الامور تسير على هواها. ولم تكلل جميع محاولات اقامة الدولة الفلسطينية بوساطة هيئة الامم المتحدة بالنجاح. كما ان الحوار الامريكي ـ الفلسطيني لم يسجل النجاح.

وأظهرت احداث القدس الشرقية ان للعرب والانتفاضة منطقهما وان العرب الفلسطينيين لا ينوون انهاء نضالهم. وتؤكد مأساة القدس من جديد ضرورة عقد المؤتمر الدولي بمشاركة كافة الاطراف المعنية لتسوية نزاع الشرق الاوسط. والاتحاد السوفييتي يصر منذ وقت بعيد على عقد هذا المؤتمر اذ يمكن فيه مناقشة الآراء حول المشكلتين الفلسطينية واللبنانية باعتبارهما مشكلتين مترابطتين وربما يمكن التوصل إلى حل الخلاف العراقي ـ الكويتي ولكن بعد انسحاب القوات العراقية.

وعن طرق حل أزمة الخليج قال الباحث ان الطريق العسكري ليس هو الطريق الممكن الوحيد لأنه لم تنفذ بعد الوسائل السياسية والاقتصادية. وليس ضرورياً ان تعود كل الأمور إلى ما كانت عليه حتى ٢ آب. ولا يستبعد ميرسكي ان تطرأ تغييرات على الكويت بارادة الكويتيين وبواسطة الاستفتاء العام. ولكن كل هذا يجب ان يقرر بعد سحب القوات العراقية لا قبله.

(نوفوستي) ١٩/ ١٠

فعالية المعايير الاخلاقية في السياسة العالمية الحديثة

(رأي دبلوماسي سوفييتي)

عندما تكتب وسائل الاعلام في بعض البلدان الافريقية عن أعمال العراق العدوانية ازاء سيادة دولة الكويت ووحدة اراضيها تخلص إلى القول ان السياسة العالمية الحديثة تخلو من المعايير الاخلاقية أو ان هذه المعايير ليس لها أي وزن.

واستفسر مراسل «نوفوستي» عن رأي الدبلوماسي السوفييتي سفير المهام الخاصة فياتشيسلاف اوستينوف حول ذلك. فقال اوستينوف الذي كان في حينه نائباً للامين العام لهيئة الامم المتحدة.

ـ لا يمكنني ان اوافق على هذا الاستنتاج وأرفضه. ففي رأيي ان المعايير الاخلاقية مكتسب في السياسة العالمية وخصوصاً في الوقت الراهن ولها أهمية خاصة.

لنتذكر في هذا الصدد كيف جرى العمل في هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن منذ فترة وجيزة نسبياً. فلم يكن هناك حينذاك مجال للاخلاق وكانت الغلبة للسياسة وحدها. وما ان ادعى أحد شركاء الاتحاد السوفييتي ـ مثلاً ـ شيئاً ما حتى وقفت موسكو إلى جانبه سواء كان على حق أو لا. كما ان الولايات المتحدة تصرفت على نفس النحو بالنسبة لشركائها.

وبطبيعة الحال يمكننا ان نتحدث اليوم ايضاً عن الموقف اللااخلاقي لبعض البلدان وخصوصاً العراق. فسلوكه خلال السنوات العشر الاخيرة غير اخلاقي لأنه ينطلق من ادعاء ملكية الاراضي في البلدان المجاورة. وسلك العراق سلوكاً لا اخلاقياً عندما أقدم على العدوان مرة ضد ايران ومرة أخرى ضد الكويت. ومثل هذه الامور غير جائزة الآن ولا يمكن تبريرها بأية استشهادات بالتاريخ.

وأردف اوستينوف يقول: ان الكثيرين يقولون الآن ان ظهور الحشود العسكرية الامريكية الكبيرة في منطقة الخليج يخل بتوازن القوى في هذه المنطقة ويؤثر سلبياً على البلدان العربية. ويمكننا ان نرفض هذه الآراء أو نوافق عليها. ولكن التقييم المبدئي لسلوك العراق هو واحد: ان تصرفات العراق تجاه الكويت غير اخلاقية! ومن هذه الزاوية فان موقف الذين يؤيدون عدوان العراق ويضمنهم العاملون في وسائل الاعلام لا اخلاقي ايضاً.

ومضى اوستينوف يقول: وان أدانت أكثرية اعضاء المجتمع العالمي العدوان فهذا ـ في رأيي ـ أمر اخلاقي هام. فهو يبشر بانتصار المعايير الاخلاقية أثناء حل المسائل السياسية الدولية الاخرى.

ولابد ان نتوقف في هذا الصدد عند موقف الولايات المتحدة من تصرفات العراق واسرائيل. وهو مختلف. فمن جهة تتخذ الولايات المتحدة الاجراءات العسكرية وغيرها ضد العراق ومن جهة أخرى تدافع عن اسرائيل الطامحة إلى العدوان ضد العرب وتساندها. وفي نظري ـ كما قال اوستينوف، ان الموقف الامريكي هو ايضاً غير اخلاقي اذا نظرنا اليه من هذه الزاوية.

وفي نفس الوقت ذاد المسؤول السوفييتي عن موقف الاتحاد السوفييتي ووصفه بانه

مبدئي بما يكفي. فقال: يمكن ان يكون هناك من يتفق مع الاتحاد السوفييتي ومن لا يتفق. ولكنه لا يمكن لأحد ان ينكر ان الاتحاد السوفييتي مع حل كل المشاكل والخلافات بالوسائل السلمية. ومن الامثلة على ذلك مشاركة الاتحاد السوفييتي النشيطة في عملية ازالة الاستعمار من ناميبيا بمساعدة هيئة الامم المتحدة وفي إطارها. ان الاتحاد السوفييتي مع التسوية السلمية للنزاعات الداخلية في انغولا وموازمبيق واثيوبيا ومع الحل السلمي للمسألة الكمبودية ومع تطبيع الوضع في شبه جزيرة كوريا.

والملاحظ ان السياسة الخارجية السوفييتية تأخذ نفس المنحى عند حل كل مشاكل العالم العويصة الأخرى. أما رفض الاتحاد السوفييتي المشاركة في العمليات العسكرية الممكنة بمنطقة الخليج فيؤكد مرة أخرى عزمه على البحث عن حل سلمي للمشكلة.

ويرى اوستينوف ان الموقف السوفييتي في هذه الحالة غاية في المبدئية من وجهة نظر القيم الانسانية العامة.

(نوفوستي)

أزمة الخليج، وقت القرار

سيرغييف

يحتدم نزاع الخليج ويخيم على المنطقة شبح حرب واسعة. ونظراً لموقف العراق المتشدد اضطر مجلس الامن الدولي إلى اتخاذ قرار آخر دفاعاً عن البعثات الدبلوماسية وموظفيها في الكويت. ورداً على افعال العراق الجديدة المجافية للقانون سارعت دول العالم إلى ارسال مزيد من قواتها العسكرية لتنضم إلى القوات الاجنبية المتواجدة في منطقة الازمة. ويدور الحديث عن تشديد العقوبات المفروضة على العراق وضرب حصار جوي دعماً للحصار البحري. والسؤال الرئيسي الذي يشغل بال الجميع هو ـ طبعاً ـ هل ستضرب القوات الامريكية العراق أم ان النزاع سيحل بالطرق السلمية في نهاية المطاف؟

التقييمات تختلف. فلننبذ منها تلك التي تقول كيف، يجب العمل لأن تلك التقييمات ما هي إلا تأملات نظرية مجردة ترفضها السياسة الواقعية. وفيما يتعلق بالتطورات الميدانية فالمرجح ان تأخذ أحد منحيين: أما ان يقدم كلا الجانبين تنازلات وأما ان يسفر التشدد عن اشتباكات مسلحة تتحول إلى عمليات عسكرية واسعة النطاق.

وتعلن جميع الاطراف المعنية انها مع الحل السلمي. وهناك مجموعة كاملة من المبادرات العربية ولكنها لم تستأثر باهتمام العراق أو الولايات المتحدة. وقد أكدت امريكا سعيها إلى التسوية السياسية. إلا ان اصرارها على انسحاب العراق من الكويت قبل بدء التفاوض بالاضافة إلى تحفظها ازاء خطط السلام العربية التي تستوجب «مكافأة المعتدي بهذا الشكل أو ذاك» على حد تعبير الامريكيين يعني في الواقع تطويق الجهد الدبلوماسي المبذول في الاتجاه الصحيح.

واذ تتخبط التسوية السياسية لأزمة الخليج في المأزق وخطر الحل العسكري مازال مخيماً تصر بغداد على موقفها السابق من احداث الكويت. كما ان القيادة العراقية تزداد قناعة ـ كما يبدو ـ بأن نهجها المتشدد هو النهج الصائب والمثمر الوحيد في الظروف الحالية. واذ لا يستبعد العراق امكانية عمل عسكري امريكي يأمل في ان يعيق امريكا عن تحركها في هذا الاتجاه عدد من العوامل الفاعلة كالموقف السلبي الذي اتخذه الاتحاد السوفييتي والصين والعديد من البلدان الاوربية ودول «العالم الثالث» وكذلك انهيار سوق النفط في حال صدام عسكري بين العراق وامريكا وانتشار العداء لامريكا واشتداد التيار الاصولي في البلدان العربية والاسلامية وتصاعد المقاومة لـ «الخيار العسكري» داخل الولايات المتحدة..

وانطلاقاً من هذه الاحتمالات تعمل بغداد الآن على خلق حالة «اللاحرب واللاسلم» وتحاول الابقاء عليها لفترة طويلة على ان تختار فيما بعد تبعاً للوضع الناشىء حلاً للازمة يلائم العراق بالطبع.

وتفهم واشنطن ان استمرار الازمة وبقاء الوضع الحالي فترة طويلة هما في مصلحة العراق. ومن السذاجة انتظار ان يسحب صدام حسين قواته من الكويت بمحض ارادته لأن هذا يعني فشل سياسته ونهايته كرجل دولة والواضح اذن ان صدام حسين لن يبادر إلى مثل هذه الخطوات. ويصعب على القيادة الامريكية ايضاً ان تقدم تنازلات لأن الرأي العام الامريكي يفضل ان تكون القوة هي أولى صفات حكامه وبعدها فقط دور الحكمة. وفي نفس الوقت اصبحت واشنطن تدرى ان الصدام العسكري المحتمل سيكلف كثيراً.

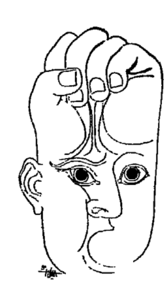
فكيف يمكن ان تخرج امريكا من هذا المأزق بشكل مشرف وبدون خسائر؟

يبدو ان السبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق في الظروف الحالية هو في رأي

امـريكـا، تغيير النظام الحاكم في بغداد. وتدل كل الشواهد على ان الادارة الامريكية ستوظف جهودها في المستقبل القريب في هذا الاتجاه بالذات معتمدة على دبلوماسية القوة مادامت لا تجد مجالاً لدبلوماسية الحل الوسط. والمقصود هنا تشديد العقوبات والحصار الاقتصادي بهدف اثارة القلاقل في العراق واثارة سخط الشعب العراقي على سياسة صدام حسين الـذي جر البلد إلى مغامرة حربية جديدة بعد ثمانية اعوام من حرب مضنية ضد ايران. والعراق نفسه لا يترك من حيث المبدأ مجالاً آخر أمام الولايات المتحدة والمجتمع الدول كله. فاستفزازات العراق وموقفه غير البناء واعتماده على القوة الغاشمة لابد ان تواجه بالضغط. ويبقى أن نأمل في ألا يتحول هذا الضغط إلى ضرب. ويبذل الاتحاد السوفييتي قصارى جهده للحؤول دون نزاع مسلح مباشر لاسيما وان الاتحاد السوفييتي يعز عليه السـلام وصـداقة العرب والتعاون الطويل والوثيق مع الشعب العراقي. ونزولاً عند رغبة الشعب السوفييتي ابلغ ميخائيل غورباتشوف الرئيس الامريكي بوش في لقاء هلسنكي في ٩ ايلول ان الاتحاد السوفييتي يرفض ان تحل أزمة الخليج بالطريقة العسكرية ولن يؤيد الحل العسكري لا بالقول ولا بالفعل. وأكدت القيادة السوفييتية موقفها هذا أثناء زيارة بيكر وزير الخـارجية الامريكي لموسكو في ١١ ـ ١٣ ايلول الجاري. وسوف يستمر الاتحاد السـوفييتي في محاولاته للتأثير على الادارة الامريكية واستمالتها لجهة البحث عن حل سلمي. وسيواصل وزيرا الخارجية السوفييتي والامريكي بحث السبل الممكنة لاستعادة السـلام في الشرق الاوسط في نهاية هذا الشهر بنيويورك حيث يحضران دورة الجمعية العامة للامم المتحدة. ويؤمل ان يحققا النجاح لأن الوقت لا ينتظر والوضع يتفاقم. ولا يجوز الآن ان يكون القرار خاطئاً. والمطلوب قرار متوازن وحكيم.

(نوفوستي)


أدب وفن



هذا الملف

في واحـد من أبرز منعطفات النضال في بلادنا، ثمة ظاهرة نوعية، فريدة، هي ظاهـرة الكفـاح المسلح، كاسلوب رئيس، استمرت لأكثر من عشر سنوات، ونعني بها «الكفاح المسلح» إلى جانب قوى الحركة القومية الكردية المسلحة في كردستان العراق والتي يمكن ان نضع لها تاريخاً يبدأ منذ عام ١٩٧٩.

إذن، في وطننـا، وبين ايدينـا، تجـربـة تمتـد لعشـر سنوات عُمِّدت بالرصاص والمعاناة، بالصبر المر والدم والأمل والانتظار، أثارت ما أثارت من مناقشات وملاحظات، اتفـاقـات واختلافات بين عددٍ غير قليل من المعنيين بشؤون الوطن وحاضره ومستقبله، داخـل الحـزب وعلى ضفـافه، بين اصدقائه واعدائه، في منابره ومنابر المختلفين معه واعدائه.. لكن الجوهري أن ثمة عدداً من مثقفي الحزب ومبدعيه انخرطوا في التجربة ـ حتى الشهادة ـ بجمالها ومرارتها.. باحلامها الساطعة والمجهضة، بتلاوينها كلها... ادباً ومسرحيات وفناً تشكيلياً وذكريات.. مرارات دفعات ورسائل... الخ.

ماذا نسميّ كل ذلك؟

ماذا نسمّي تلك الكلمات والمواقف والمشاهـد المكتوبة والممسرحة والمرسومة التي تمخضت عنهـا تجربة شيوعية فريدة في وطننا، بل في المنطقة العربية والكردية، تلك المحـاصـرة بالقمـع و«التوازن الدولي» والتعتيم وما هو كل ما غير مسموح به: أن ترفع مجمـوعـة شيوعية السـلاح ضد نظام دكتـاتـوري قمعي كنتيجـة لممارسات هذا النظام واضـطراراً لمـواجهتـه بالرصاص.. فالمعروف عن الشيوعيين نضالهم من أجل السلام والبحث عن مساحة للوطن الآمن.. لا «أمن» الوطن على يد القتلة.

انها لتجربة فريدة حقاً، اذا ما قيست بالنضال العام للشيوعيين في البلدان العربية، وما اكتسبته من خصوصية نضال الشعب العراقي، عرباً وكرداً واقليات، وما رافق المسيرة الثورية من ملابسات التطبيق والنظر والفهم، الاستراتيج منه والتكتيك، بمواجهة أعتى ما عرفته انظمة منطقتنا من قمع جسدي، دموي، وفكري طيلة نصف قرن، بلغ ذروته على

أيدي الانظمة القائمة منذ بداية الستينات حتى اليوم.

عشر سنوات من الكفاح المسلح، إذن ثمة عشر سنوات من التأمل والكتابة والانتاج الثقافي، واذا افترضنا ان سنوات القتال قد أوشكت على الانتهاء، بعد استفراد النظام بقوات الانصار والبيشمه ركه، اثر انتهاء حربه مع ايران ـ ومن ثم الاعتذار عنها رسمياً وشعبياً ـ فان سنوات الكتابة ستستمر، بل ستتبلور رؤى ومفاهيم، في أشكال تعبير جديدة وتأويلات منهجية، وشكلية فنية، غير متوقعة، على صعيد استيهام التجربة ومحاولة معرفتها باتجاه العمق وعدم الاكتفاء بلحظوية الاعلامي، العاطفي، الأفقي، العابر.

إن ما ظهر، حتى الآن، ليس بالكاف ولا المعبر، وما نُشر لا يغطي قطرات الدم المتكلمة على صخرة واحدة في منطقة نزفت فيها الصخور دمها كالبشر تحت وابل السلاح الكيمياوي وحقد الفاشست الذي عبرت عنه واحدة من أبرز نفطيات المنطقة تسليحاً وخبرة وعداء للناس والشجر والماء والحيوان.

ثمة أعمال أخرى، بالتأكيد، ستجد مكانها في المطبعة والمجلة والجريدة والـ. . . . الخ، ثمة أعمال سترى نفسها في شاشة التلفزيون والسينما وخشبة المسرح وورق الكتابة وعلى شفاه الرواة.

وثمة أنصار سيؤرخون لتجربتهم التي هيأوا لها دمهم قبل حبرهم، بنادقهم قبل أقلامهم ومخازن اعتدتهم قبل أوراقهم.

مثلما لغيرنا الحق في ان يعتقد ما يشاء من تسميات فلنا الحق، أيضاً، في ان نعتقد. . . ان تجربة الكفاح المسلح التي قالت ما قالته: دماً وحروفاً. . شهداءً واحلاماً. . انتصارات وانكسارات. . . وما يتصل بها من سلوك ورأي وموقف، فاننا نعتقد: إن هذه التجربة لم تبلغ سن رشدها لاسباب منها ما يخصنا نحن الشيوعيين، وأخرى ما يخص اعداءنا وحلفاءهم، عرباً وغير عرب، ولكن ليس بمقدور هذه الصفحات، الأدبية ـ الابداعية، أن تتناول الأمر، وإن كان من الضروري ان ندرس ما حصل وما آل اليه من مصير وآفاق ودروس. . .

ومثلما لا ندعي الحقيقة وحدنا، فلا ندعي اننا ـ نحن فقط ـ المعنيين بما جرى، انها تجربة تخص كل الشرفاء والحريصين على مستقبل وطنهم وشعبهم، بل الحريصين على تجربة رائدة في منطقة الشرق الاوسط، بكل ما اجترحته من صواب أو ما ارتكبته من خطأ. واسئلتنا كثيرة منها:

ـ ثمة مفردات يعتقدها الكاتب النصير (لفرط الانغماس بالتجربة) انها معروفة وهي ليست معروفة: عليجة، عفاروف، توزيع» أما من الكلمات الكردية فكثير أيضاً: كلك. . بشتين. . هاورى. . . الـخ. وكـأن العالم ـ حسب اعتقاد النصير الكاتب ـ يعرف

شخصيات التجـربـة كمـا يعـرف غيفارا . . ويعرف «نـاوزنك» على انها تضاهي سييرا مايسترا . . . الخ . فماذا عن فقدان حساسية تتعلق بالمكان والبيئة والتقاليد؟

ـ اذا لم تكن التجربة قد بلغت «سن الرشد» فهل ستبلغ الكتابة سن رشدها . . . مراهقتها . . فتوتها؟

ـ هل ثمة ثقافة انصارية ذات سمات خاصة فيما يتعلق بالرؤية واللغة والاحداثيات؟

ـ هل اعتنت ثقـافتنـا «المسالمـة» بثقافة «حربية» اقتضتها تجربة مقاتلة لها لغتها ومفاهيمها وسلـوكها وشخصياتها؟

كيف يتم الارتبـاط (أو الانفصـال) بين ما هو سياسي ، تكتيكي ، عابر، وما هو ستراتيجي ، استثنائي ، خالد؟

ـ ما هي المصادر الثقافية لجيل (أو لشبه جيل) بدأ حياته الأدبية بجبل قاحل؟ اين هو ماضيه؟ ماذا تعني له الثقافة والبيئة وثقافة السلطة وثقافة العالم؟

ـ هل ثمة علاقة بين مثقفي ومبدعي الثورة الكردية المسلحة منذ الخمسينات وحتى كتّاب سبعينات وثمانينات تجربتنا المجهضة؟ ماذا استفاد الأواخر من الاوائل . . ما هو المميز بينهم؟

هذه الاسئلة ، وغيرها ، بحاجة إلى بحث ـ ولا نقول بحاجة إلى جواب ـ فالأجوبة صعبة ، ومجلاتنا ومطبوعاتنا المتعددة في المنفى لم تكلف نفسها ـ للأسف ـ في تناول تجـربـة مقـاتلين قدر ما حاولته في بحث الثوار «التاميل» في جنوب شرق آسيا (!!) أو اضطرابات قوميات الاتحاد السوفييتي (!!) ، وإننا لنعجب من أن مجلات عراقيات عنيت بأدب المنفى ، كما تجوز التسمية ، لم تكلف نفسها بنشر مقال واحد عن تجربتنا الفريدة ، حقـاً ، ناهيك عن مجـلات عربيات «مرموقات» عربيات وهي التي تناضل ضد احتلال اسرائيلي بمختلف الوسائل والاساليب (!!) .

انهـا لعبة الانظمة ، مجلات الانظمة ، وتحالفات الانظمة ـ بما في ذلك حركات تحرر عربية مرموقة دفعت ضمن صفوفها لا قصائد وأعمال فنية ، بل شهداء (!!) .

تلك اسئلتنا ، لكنها ليست كلها . . .

حسبنا فتحنا الباب ، وللآخرين ، الباب والنوافذ ، ومن يفتح الباب ـ مثلنا ـ لا ينتقي ضيوفه ولا يستقبلهم حسب سعة البيت وقدر الطعام الفقير .

انه ملفٌ صغير ، محدود ، تجريبي ، لا يتناسب ـ قطعاً ـ مع امتدادات الدم والحبر والمعاناة . . وعليه نحن بانتظار من تستغرقه ، أو تهمّه ، أو تحرضه تجربة فريدة ، كتجربتنا ، ولا يكتمل المشهد إلا بتنوع الرؤى والاجتهاد والدعوة عامة .

لقد قاتلنا وكتبنا . . فمن يناقشنا و . . . . ليدحضنا!!

«أدب وفن»



ببليوغرافيا العروض المسرحية في القواعد والمفارز الانصارية

علي رفيق

توطئة :

نمت وترعرعت الحركة المسرحية العراقية في احضان حركة شعبنا الوطنية، وارتبطت منذ نشأتها بطموحات الانسان العراقي التواق للديمقراطية والوطن المتحرر. تلك الطموحات وجدت تجلياتها في مضامين النصوص والعروض المسرحية التي قدمتها عبر مسيرتها. . وكانت آلام الشعب وتطلعاته المنهل الذي اغترف منه المسرحيون العراقيون، وترجموه في نتاجهم الابداعي بكل صدق واخلاص. . وعلى هذا الاساس المتين والراسخ تربت اجيال المسرحيين العراقيين، وهذا ما يفسر التشجيع والدعم الذي حظي به مسرحهم من الجمهور. وقد حرص مسرحيونا بالمقابل على ان يقدموا لجمهورهم الارفع والانفع وان يخلقوا لديه، وعياً وطنياً وحساً فنياً مرهفاً، بحيث اصبح جمهورنا ركيزة مهمة من الركائز الرئيسية في العمل المسرحي، وعنصراً فاعلاً في العرض، ليس متلقياً له وحسب وانما، مفسراً ومحللاً له، يأوله ويناقشه ويقارنه بواقعه المعاش، ويتقصى الرموز التي يعالجها، ويدرك المغازي الكامنة وراء الكلمات.

وعندما تتعرض الحركة الوطنية لتضييق وعسف، سرعان ما يتعرض المسرح لذلك هو الآخر ويتأثر نتاجه بل وينحسر، وكثيراً ما تعرض المسرحيون للمطاردة والاعتقال والسجن.

تلك الوشائج الوثيقة، هي التي دفعت بالعديد من المسرحيين لان يلتحقوا بالحركة الانصارية المسلحة التي شكلتها الحركة الوطنية، وكأسلوب نضالي، الى جانب الاساليب

الاخرى، يستخدم العنف الثوري في مواجهة العنف الرجعي الفاشي الذي مارسته وتمارسه الدكتاتورية الحاكمة ضد ابناء الشعب والتي اشاعت في البلاد القمع والارهاب وغيبت الديمقراطية وانتهكت ابسط حقوق الانسان. وطال هذا النهج، بطبيعة الحال، المسرح العراقي، واجتث جذوره الممتدة في اعماق المجتمع، وانتزع هويته الوطنية، وشوه تقاليده الاصيلة، وعمدت السلطة الى تحويله الى مسرح تدجيل وشعوذة.

غير ان اولئك المسرحيين الذين رفضوا ان يكونوا ادوات في اللعبة المسرحية للسلطة، ووقفوا الى جانب محنة شعبهم، وحملوا البنادق انتصاراً لقضيته العادلة، لم يكتفوا بممارسة فعلهم الانصاري البحت، وانما اتجهوا الى اغناء الحركة الانصارية ثقافياً وروحياً، بتقديم عروض مسرحية في القواعد والمفارز الانصارية.

وبغية توثيق تلك العروض، تأتي محاولتنا المتواضعة هذه، ولا نزعم اننا هنا، قد قمنا بتغطيتها جميعها، فقد تعذر علينا ذلك، لكننا آثرنا تدوين ما وفقنا الى جمعه، آملين ان يستجيب زملاؤنا لندائنا بتدقيق ما ورد في هذا الثبت وتصحيح اخطائه واكمال نواقصه، منطلقين في ذلك من فكرة، يوافقنا عليها الكثيرون، مفادها: ان توثيق هذا الجانب يتسم بأهمية تاريخية، كونه يعد اضافة ابداعية مشرقة الى تاريخ حركة المسرح في بلادنا، لاسيما ان هذا التاريخ وهذه الحركة، قد شهدا تجارب ونماذج نضالية اخرى، تمتلك التفرد والطرافة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المسرح السجني (العروض المسرحية التي كان يقوم بها السجناء داخل جدران قاعات السجون والمعتقلات)، أو مسرح المنفى (الفرق المسرحية العديدة التي شكلها المسرحيون في غربتهم القسرية خارج الوطن).

مواصلة المسرحيين لنشاطهم الابداعي في القواعد والمفارز الانصارية يحفزنا الى استقراء الدوافع التي كانت وراء ذلك النشاط، نأتي فيما يلي، وبعجالة، على ذكر أهمها، حسب تقديرنا:

- جاءت تلك العروض، رغم ظروف الانتاج الصعبة، في محاولة من المسرحيين، كرد فعل على العروض الرسمية الغثة من جانب. ورغبتهم في مواصلة تقاليد مسرحهم الاصيلة في ارتباطه بقضية الشعب والوطن، من جانب آخر.

- لعب العامل الذاتي دوراً مهماً، وهو شغف هؤلاء المسرحيين وتعلقهم بفنهم، واصرارهم على عدم الانقطاع عن اداء فعلهم الابداعي سواء كان ذلك في التأليف أو التمثيل أو الاخراج المسرحي.

- القناعة في ضرورة ترطيب الحياة الانصارية التي يسودها الجفاف والارهاق والتوتر المستمر، بحكم مهامها وآليتها النضالية.. ومساهمة منهم في رفد الحياة الثقافية في

القواعد والمفارز، حيث تنوعت مجالاتها، .فقد كان المثقفون الانصار، يجدون فسحة من الـوقت، في زحمة اعمالهم، كي يطبعوا على الآلة الكاتبة أو يخطوا بأيديهم مجلاتهم الدفترية ويقيموا امسيات الشعر والقصة والاغنية السياسية ويتجولوا بمعارضهم التشكيلية والفوتوغرافية. . وغيرها من الانشطة الثقافية، التي كانت بحق نسمات حضارية تهب على الحركة الانصارية وتخفف من قساوتها.

- كان يحـدوهم الامـل في ترحيل عروضهم الى القصبـات والقرى التي تدخلها المفارز ونقل افكارهم، التي يحملون السلاح من اجلها، وتوظيف طاقات المسرح الزاخرة في تحقيق ذلك، للسكان من الفلاحين والكادحين.

ان هذه البيليوغرافيا الاولية التي نقدمها هنا، تقودنا الى ضرورة ذكر اهم مفاصل العمل المسرحي الانصاري، في محاولة لان نكمل الصورة، ولو بايجاز، على الرغم من ادراكنا ان هذه التجربة تستحق الدراسة التفصيلية، وندعو الى ضرورة التصدي لها لاحقاً، بحثـاً وتحليلاً واستنتـاجـاً. وفي ادنـاه نلقي بعض الضـوء على مفاصل وظروف العمل المسرحي في القواعد والمفارز الانصارية.

النص

النص المسرحي، مشكلة قائمة، تعاني منها الحركة المسرحية في بلادنا. . بسبب من قلة عدد الكتاب الذين يمتلكون ناصية فن الكتابة المسرحية. وكان من الطبيعي ان تنتقل هذه المشكلة الى المسرحيين في القواعد الانصارية، فهم حين وصلوا الى تلك القواعد، لم تكن حقائب الظهر التي يحملونها تحتوي على نصوص جاهزة للعمل، أو حتى كتب تصلح لان تتحول الى نصوص، حيث ان المسيرة الشاقة التي يقطعها النصير، لا تسمح له إلا بحمل «متاع الطريق» والذي يصبح هو الآخر عبئاً ثقيلاً عليه. إلا انهم، حين تبلورت عندهم فكرة تقديم عروض مسرحية في القواعد، اخذوا آنذاك بالبحث الجاد عن مصادر النصوص. مكتبات القواعد تحوي بالاساس الكتب والكراسات السياسية، والكتب الادبية شحيحة جداً، والحصول عليها من المدن ليس سهلاً، ومع ذلك، وازاء اصرار الانصار، اخذت بعضها تتدفق، وعبر قنوات عديدة، وفي ذلك الذي وصل منها، وجد المسرحيون ضالتهم.

ونـظرة سريعـة الى العروض التي تضمنتها «الببليوغرافيا» يكون بمقدورنا تصنيف مصادر تلك النصوص على النحو التالي:

- المسرحيات العالمية المترجمة لكتاب مشهورين مثل، تشيخوف، بريخت، ناظم

حكمت. . الخ.

- المسرحيات العراقية والعربية المطبوعة في كتب أو مجلات.
- مسرحة القصص والروايات العالمية والعراقية والعربية.
- الاعداد المسرحي عن بعض المذكرات واليوميات التي كان يكتبها المقاتلون، والتي تعكس وترصد الحياة الانصارية، بسلبها وايجابها.
- مسرحة بعض القصائد لشعراء عراقيين وعرب وعالميين.
- تقديم بعض الافكار بالتمثيل الصامت (البانتوميم)، أو بالارتجال.
- نصوص مسرحية مؤلفة كتبها المسرحيون والادباء الانصار.

اما مضامين تلك النصوص فقد كانت متنوعة. وكان يجري الحوار والنقاش بين المسرحيين وجمهورهم من الانصار، حول ما هو المطلوب من النص المسرحي الذي يعرض في القواعد الانصارية؟ هل هو ذلك النص الذي ينبغي ان يسجل أو يعالج الحياة الانصارية؟ ام ذاك الذي يطرح مضامين انسانية عامة؟ أو يقتصر على تناول الافكار الثورية؟ وهل تقدم تلك الافكار بطريقة شعاراتية مباشرة ام فنية غير مباشرة؟ وهل يفترض ان تكون لغة النص العربية الفصحى ام المحكية (الشعبية)؟ وهل ينبغي تقديم النصوص باللغة العربية ام باللغة الكردية على اعتبار ان القواعد وحركة المفارز الانصارية هي بالاساس في منطقة كردستان العراق.

لقد ظلت تلك الاسئلة مدار نقاش، ولم يجر حسمها. . فقد تنوعت مصادر النصوص ومضامينها ولغتها واساليبها ولم يتم الاقتصار على نمط معين من النصوص. الشيء الوحيد الذي تم التسليم بجدواه، تبعاً للظرف طبعاً، هو اختيار النصوص ذات الشخصيات القليلة وفي الغالب ذات الفصل الواحد، لاختصار وقت التمرينات وتسهيل جمع الممثلين والتئامهم في تدريب يضمهم جميعاً أو معظمهم.

الاداء المسرحي

(التمثيل، التمرينات، الاخراج)

غالبية الانصار الذين اخرجوا العروض المسرحية كانوا من المختصين اساساً في المسرح من خريجي المعاهد والاكاديميات المسرحية سواء في داخل الوطن أو خارجه، أو من الممارسين في الفرق المسرحية سابقاً. وكان هؤلاء المخرجون هم اصحاب المبادرة في تقديم العروض المسرحية وهم الذين يختارون نصوصهم. . إلا ان المشكلة التي كانت تواجههم هي اختيار العناصر التي تجسد تلك النصوص (الممثلون). . فكان المختصون

يتعاونون فيما بينهم وكثيراً ما يمثل مخرج العرض احدى شخصيات مسرحية. وفي حالة عدم وجود عدد من المختصين في قاعدة معينة، كان يتوجه المخرج النصير الى رفاقه الانصار ويختار من يقتنع منهم للتمثيل في مسرحيته، وكان الذين يتحمسون للعمل هم اولئك الانصار، هواة المسرح، الذين مارسوا نشاطاً مسرحياً في مدارسهم ومدنهم ضمن الفرق والجمعيات والنوادي، أومن محبي المسرح. ولم يطلب المخرجون منهم اداءً عالياً أو اكاديمياً، وكانوا يبذلون جهداً مضاعفاً اثناء التدريبات لتعليمهم التقنيات الاولية والقواعد الاساسية في فن التمثيل كالصوت والالقاء ومرونة الجسد والمداخل لفهم وتحليل الشخصيات التي يمثلونها والاقتراب منها.

غير ان المشكلة الاهم التي كانت تواجه انتظام سير التدريبات هي تشابك المهمات التي كان يتولاها الانصار في القواعد، فهم يؤدون واجباتهم اليومية في الحراسات والكمائن والدوريات والمشاركة في العمليات القتالية والمشاركة في المفارز الاستطلاعية والبريدية والاعلامية.. الخ، هذا اضافة الى متابعتهم وقيامهم بأعمال المقرات الحياتية اليومية كجمع الحطب والطبخ وجلب التموين والعناية بحيوانات النقل.. الخ. لذا يستوجب على المخرج ان يختار وقتاً مناسباً لممثليه للتدريب، هذا فضلاً عن أنه هو الآخر ينبغي عليه القيام بكل تلك الاعمال، فهو الآخر مثلهم نصير مقاتل، وكثيراً ما كان يجري الخلاف حول وقت التمرينات مع المسؤولين العسكريين، وكثيراً ما كانت تلغى التدريبات أو يتوقف العمل في بعضها وقد مضى عليها ردحاً من الزمن، لان ممثلاً ما لشخصية رئيسية أو عدة ممثلين رحلوا في مفرزة طويلة الامد.

اما الاساليب الاخراجية والمدارس والمذاهب المسرحية فلم تكن ذات نمط أو اسلوب أو مذهب معين، فقد تنوعت الاساليب والمذاهب، حسب الرؤيا الاخراجية للنص، فقدمت العروض الكلاسيكية والواقعية والملحمية.. الخ.

العرض

بعد ان تنتهي التدريبات، ويقارب العمل مرحلة النضج، يبدأ فريق العمل المسرحي بالتفكير الجدي في ايجاد مكان للعرض، وتلك معضلة جديدة. فان كان وقت العرض في الصيف، فأول ما يتبادر الى الذهن ان يكون العرض في الهواء الطلق، أما اختيار ساعة مثل هذا العرض، فتلك مشكلة اخرى، اذ كثيراً ما يعترض المسؤولون العسكريون على اجراء العرض في ساعات النهار، حيث تقتضي الحياة الانصارية ترك المقرات والانتشار بين الصخور وبين طيات وثنايا الجبال، ووسط الاحراش والغابات

الكثيفة، وتشديد المناوبة المستمرة على الحراسات، واسلحة الاسناد، والمضادات الجوية اتقاءً لغارات طائرات النظام، المحتملة الوقوع نهاراً. في حين ان العرض المسرحي يتطلب تجمع حشد من الناس (الجمهور اضافة الى الممثلين). وهذه مسألة تثير لدى المسؤولين العسكريين مخاوف سرعة اكتشاف ذلك التجمع، من الطائرات المغيرة، وعند ذاك تكون امكانية انزال خسائر كبيرة واردة جداً. اما في ساعات الليل فيمنع استخدام أي مصدر للانارة، كون ذلك يكشف القاعدة بسرعة امام تقدم العدو لو فكر بالهجوم ليلاً. ومع ذلك كان المسرحيون الذين يعرضون في الهواء الطلق، يختارون امكنة في خاصرات سفوح الجبال في تلك الزوايا الميتة، كما يطلق عليها العسكريون، وفق حساباتهم. كانوا يجلسون جمهورهم على السفوح المنحنية، ويعرضون في مكان اسفل السفح، بمثابة المنصة، وهكذا يستخدمون تضاريس الطبيعة في محاكاة منهم لمدرجات المسارح الاغريقية والرومانية. أما عروض الشتاء، فعلى العموم الاغلب، كانت تقام إما في اكبر قاعة في القاعدة والمخصصة لنوم الانصار (وهي غرفة كبيرة تبنى بالحجر والطين وتسقف بجذوع واغصان الاشجار) أو في خيمة كبيرة، حيث يحتجزون احد جوانب القاعة [الجانب الاصغر] ليجري عليه اللعب المسرحي، ويخصصون الجانب الاكبر من القاعة للجمهور الذي يجلس على افرشة الانصار الموضوعة على الارض مباشرة. . وكثيراً ما يعاني الممثلون من انخفاض سقوف تلك القاعات وينفذون الميزانسين وهم يحترسون لئلا ترتطم رؤوسهم بأعمدة السقوف الافقية، ويضطر طوال القامة منهم الى الانحناء قليلاً ليتجاوزوا الخطر.

أما اللوازم والاكسسوارات المسرحية وازياء الشخوص والماكياج فيجري اختصارها الى إبعد الحدود، لصعوبة توفيرها اولاً، وكونها تربك الممثلين ثانياً. . وكذا الحال فيما يتعلق بالديكور والاثاث المسرحيين، وان استخدمت فكثيراً ما يتم صنعها من اخشاب اشجار البلوط والاسبندار والبطانيات وأكياس التموين (الكواني) والصفائح المعدنية (التنك)، ويراعى في ذلك ان تكون قليلة ويسيطة وضئيلة الحجم لئلا يزدحم مكان العرض بها وبالتالي تعيق حركة الممثلين. . أما الانارة فمصادرها الضوئية مصابيح الكيروسين (الفوانيس) أو مصابيح الغاز أو المصابيح الكهربائية التي تعمل على المولدات (في بعض القواعد) أو المصابيح اليدوية.

الجمهور

يتكون جمهور القواعد المسرحية عادة من الانصار زملاء المخرج والممثلين. يجري

الاعلان عن تقديم المسرحية في القاعدة المعنية، فيحضر الانصار لمشاهدة العرض، وقد يكون بينهم من شاهد التدريبات خلسة أو فرض نفسه عليها، لكن في الغالب يحرص فريق العمل المسرحي على عدم السماح للانصار من غير اعضاء الفريق لمشاهدة التدريبات، لئلا تفسد عليهم لذة المشاهدة الاولى حين يحين موعد العرض، خاصة اذا عرفنا ان غدد الانصار في القواعد غالباً ما يكون محدوداً جداً. وطبعاً يستثنى من حضور العرض الانصار حراس المقر، وكان هؤلاء يعتبرون ذلك تضحية منهم لتفويتهم فرصة ثمينة على انفسهم، وكثيراً ما يلجأ المسؤولون العسكريون لزيادة نقاط الحراسة في اثناء العرض المسرحي بسبب تكدس انصار القاعدة في مكان العرض تحسباً لاي طارىء.

وهناك تقليد تم اتباعه في اغلب العروض المسرحية الانصارية، هو مناقشة العرض بعد انتهائه من قبل الجمهور، وفتح الحوار مع المخرج والممثلين، وكان يدور حول فكرة العرض المسرحي ومستوى الاداء الاخراجي والتمثيلي وكثيراً ما كانت هذه النقاشات تطول ويجري فيها حث المسرحيين على تقديم المزيد من العروض.

نادراً ما كان يكتفي الفريق المسرحي بعرض واحد وفي قاعة واحدة، وانما كان يشد الرحال وينتقل في مفرزة انصارية، اطلقوا عليها (مفرزة مسرحية)، ليقدم عروضه في قواعد اخرى والتي يبعد بعضها الى مسافات تصل الى عشر ساعات مشياً على الاقدام أو مسيرات تتجاوز اكثر من يوم. وكان الفريق يستعين في نقل لوازم العرض بحيوانات النقل (البغال)، وكانت القواعد التي يقصدها الفريق تهيء لوازم العرض وتستقبل رفاقهم المسرحيين بالحفاوة والتكريم.

وجرت بعض العروض في القرى، وخاصة لتلك النصوص الناطقة باللغة الكردية.

وصاحب بعض العروض توزيع دليل للعرض (بروغرام)، مطبوع على الآلة الكاتبة أو مكتوب باليد، يتضمن شيئاً عن المسرحية، وكلمة المخرج، والممثلين والشخصيات التي يلعبونها واسماء الفنيين.

المناسبات

حافظ المسرحيون الانصار على تقليد الحركة المسرحية العراقية بالاحتفال بيوم المسرح العالمي في السابع والعشرين من آذار من كل عام، فيقومون بتقديم الامسيات الثقافية يقدمون فيها المحاضرات عن المسرح واهميته وعن تاريخ المسرح العالمي والحركة المسرحية العراقية ويقدمون العروض والمشاهد المسرحية احتفاءً بتلك المناسبة. وكانوا يصدرون بياناً في كل عام في هذه المناسبة يطبعونه على الرونيو ويوزعونه بشكل

واسع، في القواعد الانصارية ويسربونه الى محافظات الوطن ويرسلونه الى الخارج ويذيعونه من اذاعات المعارضة السرية.

كما ويشارك المسرحيون الانصار بالاحتفال بالمناسبات الوطنية والقومية والعالمية ويقدمون فيها المشاهد التي تمجد تلك المناسبات.. وابرز تلك الاسهامات هو مساعدة المسرحيين لابناء القرى في تقديم المسرحية الفولكلورية (كاوة الحداد) بمناسبة العيد القومي للشعب الكردي - عيد نوروز - في ٢١ آذار من كل عام، ومن الطريف ان احداث هذه المسرحية يجسدها الفلاحون ويتقمصون شخصياتها النمطية (كاوة الحداد، الضحاك، الوزير، الطبيب.. الخ) ويعدون بوسائلهم البدائية الأزياء والماكياج والديكورات اللازمة لها.

شهداء مسرحيون

في مجرى الحركة الانصارية، وخلال العمليات القتالية، افتدى الكثير من الانصار قضية شعبهم ووطنهم بأرواحهم. كان من بين هؤلاء الشهداء الخالدين اولئك الانصار الذين ساهموا في العروض المسرحية أو من المسرحيين اصلاً، من بينهم الشهداء الاماجد: الشهيد شهيد عبد الرضا (أبو يحيى) - خريج اكاديمية الفنون الجميلة/ بغداد، الشهيد خليل اوراها (روبرت)، الشهيد أبو كريم، الشهيد فؤاد يلدا (أبو ايار) الفنان التشكيلي الذي صمم ديكور وماكياج اكثر من عرض مسرحي، الشهيد أوميد، الشهيد أبو سرمد، الشهيد أبو سلام، الشهيد هيمن، الشهيد مام علي، الشهيد جكرخوين وغيرهم.

الببليوغرافيا

بعد هذا العرض السريع والموجز لطريقة اعداد وظروف تهيئة العرض المسرحي في قواعد ومفارز الانصار، جاء الآن دور الوثيقة لتتحدث عن نفسها، وكما اسلفنا فيما سبق، ان محاولتنا في توثيق تلك العروض لا بد ان تكون غير مكتملة بحكم تباعد القواعد الانصارية عن بعضها، وعدم تمكننا من جرد جميع العروض، غير اننا نرى ان هذه المحاولة تستحق من المسرحيين الذين قدموا تلك العروض أو الانصار الذين شاهدوها ان يكتبوا لنا اضافاتهم وتدقيقاتهم وتصحيحاتهم، بهدف استكمال الجانب التوثيقي لهذه التجربة لمسرحيينا الانصار، ولهم الشكر سلفاً.

العروض المسرحية في القواعد والمفارز الانصارية ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨

١ ـ الميلاد. تأليف مجموعة انصار. اخراج ابو سامر. العرض في ١/٥/٨٠ في بهدينان. مثلها ابو عمار، ابو سامر، ابو احسان، ابو امجد. الجمهور ٦٠ مشاهداً.

٢ ـ بطولات الانصار (فصلان) اعداد واخراج ابو مخلص. العرض في ١٩٨٠ في بهدينان.

٣ ـ في ساعة متأخرة من الليل (قصائد لسعدي يوسف) مسرحة واخراج ابو مخلص. العرض في ١٩٨٠ في بهدينان. مثلها ابو مخلص ويوسف.

٤ ـ مشاهد من حياتنا اليومية. (تتناول حياة الانصار) اعداد واخراج ابو سامر. العرض في ١/١/١٩٨٠ في بهدينان. مثلها ابو سامر. الجمهور ٤٥ مشاهداً.

٥ ـ القرار (قراءات اذاعية). تأليف بريخت. اخراج ابو سامر. العرض في ٣١/١/١٩٨٠ في بهدينان. مثلها ابو احسان، ابو عماد، ابو الوجد، ابو سامر.

٦ ـ بطاقة دعوة للشهداء. تأليف يوسف الصائغ اعداد واخراج ابو الصوف. العرض في ٣١/٣/١٩٨٠. العرض في ناوزنك. مثلها ابو الصوف، بختيار، زيان.

٧ ـ تداعيات في ليلة رأس ا لسنة. تأليف ابو النور. اخراج يوسف. العرض في ١/١/١٩٨١ في بهدينان (السرية الثانية). مثلها يوسف وأم بسيم. الجمهور ٦٠ مشاهداً (اعيدت في ١/٤/٨١ في يك ماله ـ بهدينان).

٨ ـ دم الشهيد. تأليف ابو النور. اخراج يوسف. العرض في ٢٩/٣/١٩٨١ في بهدينان. مثلها يوسف، أم بسيم، ابو سامر، ابو قتيبة، عشتار، ليلى، ابو حسين، الشهيد ابو سلام. (اعيدت في ١/٤/١٩٨١ في يك ماله).

٩ ـ الحمار الشاهد. تأليف ابو الطيب. اخراج ابو سامر. العرض في ١٦/٨/١٩٨١ في بهدينان. مثلها ابو سامر. الجمهور ١٢٠ مشاهداً.

١٠ ـ كلكامش/ مشهد. تأليف طه باقر. اخراج أم بسيم. العرض في ١٩٨١ في بهدينان. مثلتها أم بسيم والشهيد ابو كريم.

١١ ـ ضرر التبغ. تأليف تشيخوف. اخراج وتمثيل ابو صبا. العرض في ١/٥/١٩٨١ في بهدينان.

١٢ ـ مخرج فاشل. اخرجها ابو نهران في ١٩٨١ في بهدينان.

١٣ ـ حجام البريس. تأليف مظفر النواب. اعداد واخراج ابو الصوف في ١٩٨١ في ناوزنك. مثلها ابو الصوف (معدة عن قصيدة للشاعر).

١٤ ـ قزلر. تأليف ايار. اخراج ابو الصوف. العرض في ١٩٨١ في ناوزنك. مثلها ابو الصوف.

١٥ ـ قصائد ممسرحة لسعدي يوسف. اعداد واخراج ابو الصوف. العرض في ١٩٨١ في ناوزنك.

١٦ ـ قصائد ممسرحة. تأليف رياض. اخراج ابو داود العرض في ١٩٨١ في بهدينان. مثلها رياض وابو داود. الجمهور ١٢٠ مشاهداً (قدمت في عرضين).

١٧ ـ قصائد ممسرحة. اعداد واخراج ابو داود في ١٩٨٢ في بهدينان. مثلها ابو داود وايمان.

١٨ ـ مذكرات نصير. تأليف منذر. اخراج ابو داود. العرض في شتاء ١٩٨٢ في بهدينان. مثلها ابو نهران وابو آذار.

١٩ ـ الحارس. تأليف منذر. اخراج ابو داود. العرض في شتاء ١٩٨٢ في بهدينان. مثلها ابو نهران وايمان (عرض خاص).

٢٠ ـ حجام البريس. تأليف مظفر النواب. اعداد واخراج ابو داود. العرض في يك ماله. مثلها ابو داول. الجمهور ١٠٠ مشاهد.

٢١ ـ جحا والسياسة. اعداد واخراج ابو الصوف في ١٩٨٢ في ناوزنك مثلها ابو الصوف والشهيد ابو يحيى.

٢٢ ـ مشهد من راشمون اخراج ابو سامر. العرض في ايار ١٩٨٢ في ناوزنك. مثلها ابو سامر (مشهد فردي عن مسرحية يابانية).

٢٣ ـ حجام البريس. تأليف مظفر النواب. اعداد واخراج وتمثيل ابو الصوف عام ١٩٨٢ في نوزنك.

٢٤ ـ ليلة السكاكين الطويلة/ مشاهد: اخراج الشهيد ابو يحيى عام ١٩٨٢ في ناوزنك. مثلها ابو الصوف، فرياد.

٢٥ ـ سلمان الصكر. اعداد ابو نصير. اخراج ابو واثق. العرض في ناوزنك ١٩٨٢. تمثيل ابو شاكر، سركوت، أم بسيم، أيار. اعد الديكور ابو بسيم.

٢٦ ـ ليلة السكاكين الطويلة (المسرحية كاملة). اعداد الشهيد ابو يحيى. العرض في ناوزنك ١٩٨٢. تمثل ابو سامر، ابو شاكر، أيار، ابو الصوف، أم بسيم.

٢٧ ـ قصائد ممسرحة. تأليف سعدي يوسف. اعداد واخراج ابو صبا، العرض في بهدينان ١٩٨٢.

٢٨ ـ عند الموقد. تأليف ناظم حكمت. اخرجها ابو ليث في خريف ١٩٨٢ في بشت ئاشان. مثلها عائدة، ئاشتي، ابو سامر، ام ليث، شوان. عدد جمهورها ٣٥٠. قدمت في سبع عروض في بشت ئاشان العليا، بشت ئاشان السفلى، قرناقو، الاعلام، بيانا، بولي، اشقولكا.

٢٩ ـ يوميات نصير. اعداد واخراج ابو داود. العرض في كوماته ـ بهدينان في ١٩٨٣، مثلها ابو داود، شوان. حضر العرض ١٥٠ متفرج، عرضت مرتين.

٣٠ ـ موت وحياة أحمد بن سعيد. تأليف سعدي يوسف. اعداد واخراج وتمثيل ابو أروى في كوماته ـ بهدينان في ١٩٨٣. حضرها ١٠٠ متفرج. توليف شعري.

٣١ ـ بنادق الأم. تأليف بريخت. اعداد واخراج ابو داود. العرض في كلي زيوه ـ بهدينان. مثلها سميرة، ابو سامر، سمير، ئاشتي. الجمهور ٨٠ مشاهداً.

٣٢ ـ مخرج فاشل. اعداد واخراج ابو نهران. العرض في قرية في زاخو مثلها الشهيد ابو سرمد، ابو ظفر. اعادة.

٣٣ ـ نحن العمال. اخراج ابو داود. العرض في أيار ١٩٨٣ بهدينان.

٣٤ ـ السجين. اعداد واخراج ابو سامر العرض ١٩٨٣/١١/١٧ بهدينان. تمثيل نشتمان، ابو سامر. الجمهور ٦٠ مشاهداً توليف شعري.

٣٥ ـ الجلاد في ليلة مقمرة. تأليف ابو نصير. اخراج منى. العرض في بشت ئاشان ١٩٨٣، مثلها منى، جاسم.

٣٦ ـ كلكامش (مشهد). تأليف طه باقر. اخراج أم بسيم. العرض في بشت ئاشان ١٩٨٣. مثلها أم بسيم، جاسم، اعادة.

٣٧ ـ درس في الاملاء. تأليف جوهر مراد. اخراج سركوت. العرض في بشت ئاشان ١٩٨٣. مثلها سركوت، سفين، ام سوزان، باسم. باللغة الكردية.

٣٨ ـ عند اعواد المشانق. اعداد واخراج وتمثيل منى. العرض في بشت ئاشان ١٩٨٣.

٣٩ ـ في غرف التعذيب (امرأة من هذا الزمان). تأليف ابو النور. اخراج يوسف. العرض في ١٩٨٣/٣/١٠ في بشت ئاشان بمناسبة يوم المرأة العالمي واعيدت مرتين. مثلها يوسف، عشتار، ابو عشتار.

٤٠ ـ مفرزة قتالية (مشهد). تأليف ابو النور. اخراج وتمثيل يوسف العرض في بشت ئاشان ١٩٨٣.

٤١ ـ سكيجات كوميدية. تأليف أيار. اخراج ابو داود. العرض في ١٩٨٣/١٢/٣١ بهدينان. مثلها سمير، ئاشتي، ابو سامر وآخرون.

٤٢ ـ سمك القرش. تأليف بريخت. اخراج ابو واثق. العرض في بشت ئاشان ١٩٨٣، مثلها عشتار، ابو واثق. تم التدريب عليها ولم تعرض.

٤٣ ـ قصائد ممسرحة. تأليف سعدي يوسف اعداد واخراج جاسم. العرض في بشت ئاشان ١٩٨٣.

٤٤ ـ كاوه الحداد. العرض في دوكان ١٩٨٣. مثلها انصار سرية بتوين. الجمهور ٤٠٠ مشاهد. قدمت بمناسبة نوروز وشاهدها اهالي قرى جناران، ميوزو، عالقه.

٤٥ ـ الطاغية. اخراج الشهيد روبرت. العرض في بهدينان ـ الفوج الاول ١٩٨٣/٣/٣١. مثلها انصار الفوج الاول. توليف شعري بالكردية.

٤٦ ـ الغجر. تأليف بوشكين. اعداد ابو واثق. اخراج ابو ليث. العرض في لولان ١٩٨٤. مثلها سمر، جاسم، ابو واثق، حسن، ابو صبا. تم التدريب عليها ولم تعرض.

٤٧ ـ كاوه والتنين. نص كردي. اعداد واخراج ابو داود. العرض في كلي زيوه بهدينان. مثلها انصار جود. الجمهور ٢٥٠ مشاهداً.

٤٨ ـ البداية والتكوين والمسيرة. اعداد واخراج ابو أروى. العرض في كلي زيوة بهدينان. مثلها ابو أروى، سامي، سمير، ابو سامر، فرات. الجمهور ٣٠٠ مشاهد. توليف شعري عن ديوان سعدي يوسف.

٤٩ ـ القاعدة. تأليف واخراج وتمثيل ابو أروى. العرض في كلي زيوة ـ بهدينان. الجمهور ١٥٠ مشاهداً، قدمت مرتين/ قراءة اذاعية.

٥٠ ـ قصائد ممسرحة. تأليف سعدي يوسف. اعداد واخراج جاسم. العرض في لولان ١٩٨٤. مثلها سمر، جاسم، ابو ليث، ابو واثق، حسن. الجمهور ٥٠ مشاهداً. قدمت في ٣/٢٧ يوم المسرح العالمي.

٥١ ـ ضجيج الغجر. تأليف بوشكين. اعداد ابو واثق. اخراج ابو داود. العرض في كلي زيوة ـ بهدينان. مثلها ابو أروى، عشتار، سمير، ابو سامر، ابو داود، سامي. الجمهور ٢٠٠ مشاهداً. عرضت ثلاث مرات.

٥٢ ـ انهم يقتلون الصمت. تأليف محسن علي عبد الله. اخراج ابو سامر. العرض في بهدينان ١٩٨٤. مثلها ابو نهران، سمير، أم نصار. الجمهور ١٠٠ مشاهد.

٥٣ ـ كاوه الحداد ـ مشهد. تأليف شيركوبيكس. اخراج ابو النور، بنياد. العرض في بيمان ١٩٨٤، مثلها كاروان، حسن فقي.

٥٤ ـ الحلم. تأليف واخراج ابو النور. العرض بيمان ١٩٨٤. مثلها ابو كوران، ابو قيس، ابو قاسم، ابو وسام، بنياد، ريبوار، ثائر، ابو مصطفى.. تم التدريب عليها ولم تعرض

٥٥ ـ الشهيد. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في السليمانية ١٩٨٤. مثلها الشهيد أبو أحمد، ابو الفوز، فاضل، علي، هيوا. مسرحية صامتة في (١١) لوحة عرضت في مقر القاطع وفي الفوج ٩.

٥٦ ـ المناضل/ سكيج. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في السليمانية ١٩٨٤. مثلها الشهيد ابو أحمد، فاضل، ابو الفوز، عرضت في مقر القاطع والفوج التاسع.

٥٧ ـ مخرج فاشل. اخراج ابو فائز. العرض في ١٩٨٤/٣/٢١ في كيشان. مثلها خمسة انصار، قدمت باللغة الكردية.

٥٨ ـ القتلة. عرضت في ٨٤/٣/٣١ في كيشان، مثلها مجموعة من الانصار.

٥٩ ـ القرار. تأليف بريخت. الاخراج جماعي. العرض في لولان ١٩٨٥. مثلها سمر، ابو عشتار، ابو جهاد، حسن، الشهيد ثوميد. الجمهور ٥٥ مشاهداً. قدمت في يوم المسرح العالمي.

٦٠ ـ الآغا. تأليف واخراج أبو كفر. العرض في بهدينان. مثلها مجموعة من انصار حدك.

٦١ ـ سقوط الدكتاتور. تأليف واخراج طيار. العرض في بهدينان ١٩٨٥. مثلها طيار مع مجموعة من انصار حدك. الجمهور ٣٠٠ مشاهد. نص باللغة الكردية.

٦٢ ـ محاورات برختية. تأليف بريخت. اخراج أبو أروى. العرض في بهدينان. مثلها ابو سامر، ابو أروى. تم التدريب عليها ولم تعرض.

٦٣ ـ القرار. تأليف بريخت. اعداد أبو أروى. اخراج أبو سامر. العرض في بهدينان ١٩٨٥. مثلها ابو نهران، ابو أروى، سمير، أم نصار، ابو سامر، سامي. تم التدريب عليها ولم تعرض.

٦٤ ـ شهادات أولية عن بشت ئاشان. تأليف وتمثيل ابو أروى. العرض في بهدينان ١٩٨٥. الجمهور ٥٠ مشاهداً. قراءة ممسرحة.

٦٥ ـ يوميات. تأليف واخراج ابو النور. العرض في خواكرك ١٩٨٦. مثلها زمناكو، راويز، الشهيد مام علي، ابو النور، خسرو، صباح، جلال، ملا هادي، عمر، فريق، سعيد، ومجموعة من أهالي قرية شيخان. الجمهور ١٥٠ مشاهداً. بمناسبة عيد نوروز.

٦٦ ـ واحد على مية. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في بهدينان ١٩٨٦. مثلها سمير، أبو فائز، شهلة، ابو عسكر، رزوقي، ابو سيف، ابو اثير، ام نصار. قدمت في خمسة عروض.

٦٧ ـ الوباء. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في بهدينان ١٩٨٦.

٦٨ ـ الليالي البيضاء. تأليف ديستويفسكي. اخراج ابو ليث. العرض في ميركه

وروك في ١٩٨٦/٣/٢٧ . مثلها سمر، ابو عشتار. الجمهور ٧٠ مشاهداً. وأعيد عرضها في ارموش وحضرها (٥٠ مشاهداً) في ١٩٨٦/٤/٢ .

٦٩ ـ حرب في متحف البرادو. تأليف روفائيل البرتي. اخراج ابو أروى. العرض في لولان في ١٩٨٦/٣/٢٧ . مثلها ابو أروى، ابو آمال. الجمهور ٣٠ مشاهد. مع مقدمة عن الشاعر البرتي قدمها النصير ابو حاتم.

٧٠ ـ الغرفة. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في بهدينان ١٩٨٦ . مثلها علي الحكيم، فرهاد، ابو خالد، ابو سيف، وصفي، ابو نصار.

٧١ ـ القرار. تألف بريخت. اخراج سمر. العرض في بهدينان ١٩٨٧ . مثلها سمر، ابو آذار، عايد، آفاق.

٧٢ ـ الحنة. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في بهدينان ١٩٨٧ . مثلها شهلة، سمير، سعاد، ابو فائز، الطفلة مسار، ابو آذار. قدمت في ثلاثة عروض.

٧٣ ـ مغامرات رجل غامر صوب البحر. تأليف واسيني الاعرج. اعداد واخراج حيدر ابـو حيدر. العرض في الفوج الاول ـ بهدينان ١٩٨٧ . مثلها الشهيد روبرت، بلقيس، عادل، حيدر ابو حيدر. الموسيقى ابو فاتن، الانارة ابو بسام. المكياج الشهيد ابو أيار.

٧٤ ـ المحنة. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في الفوج الاول بهدينان ١٩٨٧ . مثلهـا الشهيد روبرت، ابو طالب، أمل، الشهيد ابو أيار، د. باسل، كوران. الديكور والمكياج ابو أيار. الموسيقى ابو طالب.

٧٥ ـ الحنة. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في بهدينان الفوج الاول ١٩٨٧ . مثلهـا ابـو طالب، أمل، د. باسل، بلقيس، الشهيد روبرت، الشهيد ابو أيار، الطفل بسيم. الديكور والمكياج ابو أيار. الموسيقى ابو طالب.

٧٦ ـ روح اليانوار. تأليف لوناتشارسكي. اخراج ابو ليث. العرض في خواكورك ت١٩٨٧/٢ . مثلها ابو عوف، ابو كاوه، ليلى. الجمهور ٢٠٠ مشاهد. عرضت خمسة عروض في خمس قواعد انصارية.

٧٧ ـ من هنـاك. تأليف وليم سارويان. اخراج سمر. العرض في بهدينان ـ زيوة ١٩٨٨ ، مثلها سمر، ابو سامر.

٧٨ ـ من هنــاك. تأليف وليم سارويان. اخــراج حيدر ابـو حيدر. العـرض في ١٩٨٨/٣/٢٧ بهـدينـان الفـوج الاول. مثلهـا سمـر، حيدر ابو حيدر، جهاد، خالد. الموسيقى ابو وجود. الديكور والمكياج الشهيد أبو ايار.

٧٩ ـ رحلة المـوتى في زمن الحرب والفوضى. تأليف ابو طالب. اعداد واخراج حيدر ابو حيدر. العرض في الفوج الاول ـ بهدينان ١٩٨٨ . مثلها حيدر ابو حيدر، ابو

فاتن، كنار، د. باسل، كوران، ابو طالب. الجمهور ٣٠٠ مشاهد. المكياج ابو أيار. المسرحية معدة عن قصيدة طويلة لأبي طالب (اصوات في زمن الحرب).

٨٠ ـ كاوه الحداد. اخراج طيار. العرض في ١٩٨٨/٣/٢١ العرض في كاني مازن ـ بهدينان الجمهور ١٠٠٠ مشاهد بمناسبة عيد نوروز.

٨١ ـ ثورة كاوه. تأليف ابو ليث. العرض في خواكورك ١٩٨٨/٣/٢١. مثلها الشهيد مام علي، وانصار حدك، وانصار حشدك وفلاحو قرى الشيخان، وكولان كرد وخزنه. الجمهور ٤٠٠ مشاهد عرضت في الهواء الطلق بمناسبة نوروز وباللغة الكردية.

٨٢ ـ كيف تركت السيف. تأليف ممدوح عدوان. اخراج ابو ليث. العرض في ١٩٨٨/٣/٢٧ خواكورك. مثلها ابو فائز، ابو صبا، د. مريم، مصطفى، ابو كاوه، أم ليث. الجمهور ٢٥٠ مشاهد. عرضت لست مرات في ٦ قواعد انصارية.

٨٣ ـ الدكتاتور. اخراج ابو الحق. العرض في كلكا في ١٩٨٨/٣/٣١. مثلها جيهان، ابو الحق، الحجي. الجمهور ١٠٠٠ مشاهد.

٨٤ ـ الغرفة. تأليف واخراج ابو عجو. العرض في الفوج الاول ـ بهدينان ١٩٨٨ مثلها ناصر، ابو طالب، سمير، باسل.

٨٥ ـ الحنة تأليف واخراج ابو عجو العرض في ١٩٨٧/١٢/٣١ في كافيا. مثلها ابو عجو، ثائر، نادية، بولا، أوات، ابو عمار، زمناكو، ظافر. الجمهور ٥٠ مشاهد.

٨٦ ـ واحد على مية. تأليف واخراج ابو عجو. عرضت في ١٩٨٨/٣/٣١ في كافيا. مثلها زمناكو، نادية، بولا، نهاد، ثائر، أوات، الطفلة زيتا. الجمهور ١٥٠ مشاهد.

٨٧ ـ القفص. تأليف حميد السراج. اعداد واخراج وتمثيل الشهيد روبرت. عرضت في الفوج الاول ـ بهدينان.

٨٨ ـ بطاقات للشهداء اعداد واخراج بختيار. العرض في ١٩٨٦/٢/١٤. الفوج الاول ـ بهدينان. مثلها بلقيس، بختيار. الجمهور ٢٠٠ مشاهد.

٨٩ ـ حكاية المواطن طه. تأليف ابو النور. اعداد واخراج حيدر ابو حيدر. العرض في ١٩٨٨/٣/٣١ الفوج الاول ـ بهدينان. مثلها حيدر ابو حيدر، مهند، زاخاروف، مناضل. الجمهور ٣٠٠ مشاهد. قدمت مرة أخرى في اوردكاه خوي مثلها حيدر ابو حيدر، ابو طالب، هويي، منذر.

٩٠ ـ تعالوا نقدم مسرحية. تأليف واخراج ابو الفوز. العرض في ١٩٨٦/٣/٣١ في الفوج الثالث ـ بهدينان. مثلها ابو الفوز، شهلة، الحجي، ابو آشور، د. ابو تضامن، ابو سناء، ابو صمود، منار، الطفلة هيلين. الجمهور ٤٠٠ مشاهد.

٩١ ـ غرام في ثافوكي. تأليف واخراج ابو الفوز، العرض في الفوج الاول ـ بهدينان

١٩٨٧/١/١ . مثلها ابو طالب، ابو الفوز. لوحات ساخرة انتقادية لمفاهيم الحياة اليومية الانصارية .

٩٢ ـ كتاب الغصون. قصائد لسعدي يوسف. اعداد واخراج ابو الفوز، العرض في الفوج الاول ـ بهدينان ١٩٨٨/٢/١٤ . مثلها كنار، أم أمجد، ابو الفوز. قراءة اذاعية .

٩٣ ـ الدّوارة. تأليف حيدر ابو حيدر، اخراج ابو الفوز، العرض في الفوج الاول ـ بهدينان. مثلها كريم، ابو الفوز، خيري، مع ثلاثة عشر طفلاً من ابناء الانصار والشهداء. الجمهور ٣٠٠ شخص، عرضت ثلاث مرات. الفرقة الموسيقية عامر، كوفان، سمير. الانارة ابو حسن الحبيب. المكياج الشهيد أبو أيار وسربست. الملابس أم أمجد. أوبريت غنائي راقص.

٩٤ ـ الصهيل والمطر. عن قصائد لسعدي يوسف، مظفر النواب، بدر شاكر السياب، كامل الركابي. اعداد واخراج ابو الفوز. العرض في الفوج الاول ـ بهدينان في ١٩٨٨/٧/١٤ . مثلها كامل الركابي، ابو الفوز، كنار، أم أمجد، آفاق، بلقيس. الجمهور ٢٥٠ . قراءة اذاعية.

٩٥ ـ المدينة، تأليف واخراج الشهيد روبرت، العرض في الفوج الاول ـ بهدينان في ١٩٨٤/٣/٣١ . مثلها جكرخين، شيروان، فرهاد، كسر، ابو سامان. الجمهور ٥٠٠ مشاهد. قدمت في الهواء الطلق حيث قام الانصار بعمل مسرح روماني (مدرج). نص باللغة الكردية.

٩٦ ـ الدكتاتور. تأليف واخراج الشهيد روبرت. العرض في الفوج الاول ـ بهدينان ١٩٨٦ . مثلها شيروان، رزكار، شيفان، ابو سامان، كاوه، زيا. الجمهور ٥٠٠ مشاهد.

صدى اغنية

سليم أبو خالد

التقيتهـا هذا الصبـاح عائدة للتو من رحلة عذاب جديدة، مع والدتها التي ذوت نضارتها واغتصب الحزن شبابها قبل فوات الاوان، من رحلة قلق وخوف وتوجس حملتهم من مدينة كردستانية مستباحة الى مدينة جنوبية نازفة، شاءت الصدف ان تكون مدينتي، مرابع صباي ومرتع شبابي.

في رحلتهم كانوا على موعد للقاء الاخ الاصغر، الذي اودع السجن قبل سنتين من دخوله ربيعه الثامن عشر. الاخوة الاربعة الآخرون غيبوا في اقبية الامن السرية منذ عام ١٩٨١.

لقد اتعبهما السفر، وكثرة الترحال والسؤال اخذت منهما مأخذاً. زاروا مدناً وتنقلوا في محطات وفنادق لم يكونوا قد شاهدوها أو حتى.سمعوا بها من قبل. وبعد كل رحلة كان الغموض الذي يلف اخبار الاخوة الاربعة يتسع، والقلق على مصيرهم يزداد، غير ان الامل في لقائهم هو الآخر بقي يمتد ويتسع في قلب الأم والاخت كأمتداد جبال كردستان واتساع بوادي الجنوب.

سافرت بعيداً عن محدثتي الى حارات مدينتي، هناك حيث تركت مرغماً، منذ احد عشر عاماً، اهلي واحبتي تذكرت احياء المدينة القديمة، شوارعها الفقيرة، ازقتها الضيقة، ومحطتها اليتيمة، يوم احتضنت مئات المناضلين في قطار الموت، تذكرت نخيل السماوة وهو يغسل احزانه بماء الفرات ساعة الاصيل ونهرها الفراتي الجميل.

إيهٍ مدينة «نكرة السلمان» و«قطار الموت»، اما زلتِ سجناً ومنفى للخيرين؟ لقد كبر فيك السجن واتسع المنفى وامتدا حتى جاوزا الحدود.

في رحلتهما من كردستان الى السماوة، كان القلق والخوف والترقب يمتزج مع الفرح المرتقب بلقاء الابن، ليخلق احساساً انسانياً غريباً. الطريق يمتد طويلاً تحت ضغط المشاعر القلقة والحائرة. المدينة صارت تنأى بعيداً كلما اقتربوا منها. المسافات تمتد ومع امتدادها تتسع مساحات العذاب. يبحث المرء عن شيء يفكر فيه، غير هذه الاحزان، فلم يجد الا ما يزيد عذابه وشجونه. انه زمن الموت كمدا. هذا ما كانت تحس به الأم.

ما ان وطئت اقدامهما ارض المدينة الغربية حتى توجهتا الى السجن. في الطريق كان الفرح والقلق يسابقهما. الأم كانت اكثر اضطراباً. عيونها وملامح وجهها تفضح ما يدور في خلدها. خطواتها السريعة والمتعثرة تكشف شوقها وخوفها.

بشيء من الدهشة والاستغراب قالت:

ـ تصور عندما طلبنا من الضابط مواجهة السجناء لم يشتمنا أو يطردنا، كما تعودنا من قبل، ابدى تقديره لمشاعر الامومة والاخوة.

لقد ساعدهم الضابط، انها مفاجئة لم تكن تتوقعها، انها فرحة بذلك وتتذكره بامتنان، اوصل رسالتهم الى السجناء واعاد اليهم الجواب. طلبات السجناء كانت متواضعة. انهم بحاجة الى مسحوق الغسيل والصابون. القمل والبرغوث يسرح ويمرح بأجسادهم.

مع امها، انطلقت مسرعة، الى سوق المدينة. ولحظهما العاثر كان مسحوق الغسيل مفقوداً في السوق. بدا على الأم الامتغاض. كل شيء مفقود في هذا البلد ما عدا العذاب والموت المجاني هذا ما فكرت به الأم ودمدمت به مع نفسها.

ـ ما العمل؟

سألت الأم ابنتها:

ـ تعالي معي، قالت البنت، لنطلب المسحوق من بيوت المدينة!

انعطفت، بصحبة امها، الى احد الازقة القريبة من السوق، وبدون تحديد طرقت اول باب صادفتها. خرجت شابة، بعد ان حيتها طلبت منها قليلاً من المسحوق.

ـ شنو مسحوق غسيل؟ الناس تكدي فلوس مو مسحوق!! مودة جديدة.

ـ احنه ما نكدي. نشتري اذا عدكم.

بعد السين والجيم، عرفت الشابة، قصة المرأتين وكيف انهما جاءتا لزيارة اقاربهما المعتقلين في سجن السماوة بتهمة التعاون مع «المخربين» ظلت الشابة للحظات حائرة غير مصدقة ما تسمع. انسلت الى البيت. بعد لحظات خرج شاب، تبدو على ملامحه

علامات الارتباك والحيرة، واعاد الاسئلة التي طرحتها الشابة وبشيء من الشك الخفي والخجل اعتذر واغلق الباب خلفه.

راحت وامها تنتقلان امام الابواب ودائرة العيون التي كانت تحدق فيهما من خلف الابواب والشبابيك وعباءات النسوة العابرات في الزقاق اتسعت ولم تستطيعا ان تقرا في تلك العيون اكثر من الشك والريبة والفضول يغلف الاسئلة الحائرة ويعطيها معنى غامضاً.

واخيراً رجعت خالية الوفاض من كل شيء ما عدا الحزن ودموع امها. عادت يلاحقها شعور من الخيبة والانكسار وحزن ليستدر المزيد من دموع امها.

- هل بكيتِ؟ سألتُها مرتبكاً.

- كلا. كان قلبي يؤلمني. أهل مدينتكم لحظتها خذلونا!

لم تلاحظ ارتباكي وخجلي. لم تنتبه الى حبات العرق التي نزت على جبهتي. كنت افكر ان احدثها عن السماوة.. عن شيمة اهلها وطيبة كادحيها، وكيف فتحوا قلوبهم لسجناء قطار الموت ونكرة السلمان، قبل ان يفتحوا بيوتهم، عن شهداء المدينة ومناضليها، عن ثورة العشرين وابو الجون وفدعة الخزاعية وعن آلاف الاشياء التي استفزت في داخلي تلك اللحظة... ولكن انى لي القدرة على الحديث بعد ان سمعت ما يخجل المرء ويتركه في حيرة.

أيه اهلي واحبتي ألستم ضحايا هذا الزمن الغادر؟ فلماذا تصمتون؟ ألا تسهلون مهمة الجلاد بصمتكم هذا؟.

ثم عدت مع ذكرى اول مفرزة شاركت فيها. بعد اكثر من عشر ساعات من المشي، اصبح المسير صعباً للغاية بسبب البرد والامطار. اضطرت مفرزتنا الى التوقف بعد منتصف الليل في احدى القرى لتتوزع على البيوت. كنت وقتها حائراً. هل من المعقول ان نطرق الابواب بعد منتصف الليل؟ كيف سيستقبلنا اهل القرية؟ وانا في دوامة من الاسئلة، طرق الرفيق احد الابواب. خرج رجل طاعن مرحباً بنا وكأنه يعرفنا منذ زمن بعيد. كانت كلمات الترحيب الدفء الحقيقي الذي غمر روحي وانتشر في كل اوصالي.

بعد الاستراحة، اكلنا وشربنا الشاي وتحدثنا عن السياسة وهموم الناس وعمليات البيشمركة والانصار. قبل ان يودعنا صاحب البيت قدم لنا كيساً مليئاً بالخبز والشاي والسكر. خرجت وقد انزاح كل تعب الطريق.

استرجعت هذه القصة للبحث عن وجه مقارنة بين ما اعيشه ومازلت اعيشه من كرم ونبل هذا الشعب وبين ما روته لي محدثتي. احقاً استطاع الشوفينيون النيل من صلابة صخرة اخوتنا؟.

- بماذا تحدث نفسك؟

سألتني بعد ان حدست ما يجول بخاطري.

- لا اعرف ماذا اقول؟ احقاً ان.....

قاطعتني قائلة:

- لا تستعجل. دعني اكمل حديثي.

رجعت مع امي في طريقنا الى السجن. ما هي الا بضع خطوات حتى سمعت صوت فتاة. توقفنا. عندما اقتربت منا، اخرجت من تحت عباءتها كيساً وناولتني اياه، كان فيه علبة من مسحوق الغسيل. وقالت:

- اعذرينا لا نملك غيره. اعذرينا احنه نخاف.

دمعة خجل واعتذار ترقرقت في عينيها وكادت تنساب فوق وجنتيها لولا انها تركتنا مسرعة وهي تتلفت خلفها خوفاً من شيء ما. لماذا كل هذا الخوف، تساءلت مع نفسي. رغم ذلك فرحنا من الاعماق. لقد خففت هذه الفتاة احزاننا، اشعرتنا اننا لسنا وحدنا في هذه المدينة الغريبة.

قبل ان نجتاز الزقاق اقتربت منا فتاة ثانية وطلبت مني ان نستمر في المشي بعيداً عن اعين الناس. سارت امامنا بخطوات سريعة وتوقفت في احد المنعطفات وهي تنظر يميناً ويساراً. بسرعة ناولتني كيساً وبداخله ثلاث علب من مسحوق الغسيل.

قبل ان تهم بالعودة قالت متلعثمة:

- احنه مثلكم «مشبوهين».. عبالنا دازكم الامن تجسسون علينا..

اعتذرت من امي بسرعة وغابت عنا دون ان تسمع كلمة شكر وكأنها نفذت مهمة كبيرة. كانت سريعة الحركة وذكية التصرف.

لقد غسلت هذه الفتاة روحينا من الاحزان. قلبي طفح بالحبور واعصابي المتوترة بدأت تهدأ ورحت ألوم نفسي لانني تسرعت في الحكم على الناس. وللتعبير عن فرحتها قالت امي - (بالكردية).

- لو خُليت قُلبت.

رحنا نحث الخطى لنصل بسرعة للسجناء. قبل ان نصل الجسر الذي يوصلنا الى الضفة الاخرى، حيث السجن هناك، اقترب منا شاب، انه نفس الشاب الذي اعتذر منا. سلم علينا وفاجأنا بقوله:

- احنه مغضوب علينا مثلكم.. احنه مراقبين..

ناولني اربعة علب ودون ان يسمع منا أي كلمة، سألني فيما اذا نحتاج الى أي شيء. كرر سؤاله بتوسل كأنما يطلب منا التوبة.

- اذا تحتاجون أي شيء. احنه اخوانكم مستعدين أي شيء تريدون.

لم اتركه يكمل حديثه. شكرته من الاعماق. ودعنا بهدوء كان هذه المرة فرحاً. . مزهواً وكأنه غسل كل ذنوبه.

استمرت محدثتي مزهوة فرحةً بما رأته في مدينتنا. لحظتها نسيت كل احزاني، وشعرت ان الدنيا لا تتسع لفرحي، فشجرة اخوتنا مازالت خضراء والدماء التي سقتها لم تذهب هدراً، والنسغ ينساب في اغصانها رغم ما قصّوا من جذور، ورغم الصقيع والزوابع السود ورغم الخوف الجاثم على الصدور.

من جديد تصبب العــرق على جبيني لكنـه هذه المـرة كان دافئـاً فصـدى اغنية (هربژي) مازالت تتردد في شوارع مدينتي وازقتها.

كردستان ايار ١٩٨٩



في المعركة

ابو نسرين ـ ف

«لمحات من السيرة الذاتية لنصير» مادة طويلة تسجل بعض ما عاش الكاتب من وقائع الحياة الانصارية، ومنها اخترنا للملف الفقرات الأخيرة التالية:

بعد نفاد صبر واستراحة مملّة دامت ليلتين في قرية «سواره»[١٠] ذهبنا إلى قرية «ميزه». وبخبرتنا أدركنا ان هذه الحركة تعني ان موعد «القرع على الطبول» قد أزف...

وعلى مدى هذين اليومين ساد هدوءٌ شامل للمنطقة ما عدا تحليق الطيران

واستمررنا نحشد للمواجهة القادمة مع العدو ونروّض لخسارته انفسنا، وفعل العدو الشيء نفسه فلم نتحرّش به ولم يتحرّش بنا، وبدا الأمر وكأنما قد اتفق على هدنة مؤقتة بين الطرفين..

بحلول العصر دخلنا «ميزة»[١١] فألفيناها خالية لا يطنُّ في بيوتها وازقتها وبساتينها سوى خواء مريب...

وحلّقت طائرتان مروحيتان فوق قرية «كه فركي»[١٢] فسمعنا من بعيد أصوات المقاومة النارية لرفاقنا وبيشمركة (حدك) واستمتعنا برؤية القذائف الصاروخية التي سُدّدت نحو الطائرتين وهي تنفلق في الفضاء.. ثم ولّت الطائرتان الادبار، وخمّنا ان مهمتها كانت استطلاعية...

ثم حلّ الليل واناخ بثقله على الطبيعة واحتوى كل الكائنات.. وانقذني من رحمه صمت لزج لم يقطعه إلّا حفيف اشجار متقطع فبدت الأشياء وهي متلفعة به خانعة تماماً لازادته..

انه صمت أصم هذا الذي اخترق لُباب الاحياء والجمادات، وبدا وهو ماضٍ في تثبيت وجوده وكأنه جاء، كأحلام اليقظة التي تحيا وتموت سريعاً، ليوهم بأن الاشياء لا تضمر في مكنونها نقيض مظهرها، وليس من أمر يختمر في قعر الخفاء...

تباً لسكوت الاشياء وخرس الطبيعة! وقد أسرا الكون واطبقا عليه وراحا يعملان في حركته وتوثّبه الابدي خنقاً. .وحكماه لساعاتٍ عالماً كل ما في جوفه يمور ويضطرب ويومىء إلى انه سيهتزُّ عمّا قريب فلا يقرّ له قرار.

تفشى الظلام ووطيء الكون مخالطاً هدأته الغريبة واستكانة الاشياء الملفتة للنظر...

وأنا في قلب هذا المشهد انتحيت زاوية بعيدة بمفردي قبعت فيها، مندمجاً على نحو عفوي مع الصمت الفظيع الذي أقبل وسيطر....

خامرتني أوهام كالحة مثل باقي الاشياء التي جلل ظاهرها السكون، فيما اضطرم جوفها وراح يغلي رحت أحاور ذاتي: «أهي الفُسحة الأخيرة قبل الموت؟ التانغو الأخير في دشت نهيلة؟

تعلّمنا من الفلسفة أن السكون تفترضه الحركة، فهل انجب الغد المقبل سكون الليلة؟

مَنْ مِنّا سيستحيل غداً ذكرى أو سيتدحرج مُخترماً بالرصاص(١٣)؟

هل أكون أنا؟! ولم لا!.. لِمَ يقتصر تفكير الفرد على امكانية سقوط غيره فقط؟ أهو شكل من أشكال التشبث اللاارادي بالحياة، أم بارقة تفكير تنطوي على أنانية غريزية؟ أم كلاهما معاً. وجهان لعقدة واحدة...

الموت يكمن للمرء في مثل هذه الاحوال مثلما تلتصق به الحياة.. فاذا وقع في الكمين قد تُسلب منه واذا تمت له النجاة كتبت له حياة جديدة...

تماماً بهذه البساطة، وبهذه الخسة والروعة معاً يُقضى على ابناء البشر؟ هذه الكائنات التي من لحمٍ ودمٍ ومشاعر وعلاقات وماضٍ وحاضر ومستقبل!»

التقطت رصاصة بين السبابة والابهام ووضعتها بأزاء عينيَّ في نقطة عند منتصف المسافة بينهما، وجعلت أحركها ذهاباً واياباً...

«يانطفة الموت، أيتها الحديدة الصفراء، لا تستقرّي إلا في رأسْ خبيث، هذا هو هدفك السامي، ولأجله جئنا وضحّينا»...

تعرّت مشاعري عن آخرها وبدت لذاتي حاسرة لا جلباب يسترها.. احادث الرصاصة وهي لا تخرج عن صمتها المطبق: «حياتك ايتها اللقيطة، أيتها النُطفة المجهولة الابوين، اقصر من رعدة برق، ومصائبك أعظم من مصائب غول».

ثم سمعت صوتاً يناديني من أعماق سحيقة اجهلها، قائلاً: «أطبق جفنيك وافتح نوافذ عقلك وَلج المعركة واطئاً على ذمار التردد.. تقحم والق نفسك في حممها بصدر هزبر، واعلم انك لا تقاتل وحدك فأستمد العزم والمضي من الآخرين» ثم قمت وأنا اردد بيتين للمتنبي[14].

* * *

فجر الثالث عشر من كانون الثاني ١٩٨٧ . . .

الظلام والضوء لم ينتهِ عناقهما بعد. . .

عضّنا القرّ كما تعض الزنابير. . .

هنـا على القمم الراسيات والاخاديد المجهولة والشناخيب[15] الحادة والجلاميد، رسُمت في هذا اليوم ملحمة زاهية الألوان كما تخطُّ ريشة فنان مفتون بجمال الحياة فتنةً لا حدَّ لها.

هنا توزّعنا منتظرين عُرس الدم: فناء حياة وديمومة حياة.

* * *

التاسعة إلا دقيقتين والمسرح يضجُّ بالهدوء!

لا شيء تستوحي منه ريبة أو يستشف منه شؤماً. . .

سمـاءٌ صحـوٌ تتقلد قرصـاً شمسياً فضي البـريق، وطبيعة عذبة المرأى، تستقبل بذراعين مفتوحتين صبحاً محمولاً بدفء الشمس، يوقظ كائناتها على الحياة.

مشاعر عادية وغير عادية غرق فيها الجميع. . حصيلة العمليات النفسية التي تستبق انغلاق الكون واصطراع الابرار والاشرار من ابنائه. .

أول الاقدام التعوّد على مصافحة الفناء. . . وآخره نصرٌ أو شهادة.

في التاسعة تماماً انطلقت أول قنبلتين من مدفعية العدو حلّقتا ثم سقطتا قريباً من مواقعنا ودوّى انفجارهما معلناً نهاية السكون واشتعال نقيضه ولم تتبدد لحظات حتى سمعنا من شتى المواقع اصوات الرشق الناري. لقد اشتبك رفاقنا في المواقع الامامية، وانهالت علينا القذائف وصواريخ الراجمات بغزارة، وكان دوّي الانفجارات يصمُّ الآذان والشظايا تتطاير في كل الاتجاهات.

لبثت منبطحاً في موضعي أرقب الحريق وتطاحن الموت والحياة. . أيهما يولد من الآخر؟ ليس مهماً! الأهم انهما توأمان لا وجود لاحدهما دون الآخر؟

ورحت أرقب الموقف وأسناني مصطكة وتعتريني دهشة جسيمة كلما قفز أمامنا رفاق شجعان لم يألفوا الخوف يتحركون في اللّظى المستعر وكأنهم في مهمة عادية. يرصدون

المواقع بهدوء عجيب، يراقبون تحركات العدو ببسالة منقطعة النظير. . . ويعدّون الجميع للتلاحم معه. ثم أطل علينا واحد من هؤلاء الابطال وطلب منا تعقّبه (كنا إثنين) فتركنا موضعنا لاحقين به. . سرنا واجسادنا محنية ونمّت عن قدامنا اصوات كأنهما كشيش الافعى[16] . . قلت لرفيقنا[17] وكان يخطو ناصباً هامته غير آبهٍ بما يدور حوله:

ـ لماذا لا تحاذر في مسيرك؟

أجابني غير ملتفت إليّ:

ـ اذا أقبلت فلا مردَ لها.

قلت:

ـ ولكن الحذر يقلل الخسائر، ويدفع غير المحتم منها!

لم استمع منه جواباً. . .

صعدنا إلى مرتفع يسيطر عليه رفاقنا وقد اشتبكوا مع العدو. . وجئنا نحن لدعمهم. ولما حاذيناهم دوّى انفجار قذيفة خلفنا، على مرمى مسافة قريبة منّا فالقينا بأجسادنا على الارض إلا روبرت. . . ونظرنا فاذا بالقذيفة قد أصابت الموضع الذي برحناه قبل ثوان، تماماً. أجفلت وسرت في قشعريرة اشبه برجفة حمّى عارضة. . قلت بلوعة حرقت بلعومي:

ـ يا لها من صدفة. . لو لم تأتنا ياروبرت! دعني أقبل جبينك!

قال:

ـ لا تستعجل فأمامك مثلها العشرات، والمُقبلات أكثر من المُدبرات!!

قالها وكأنه أراد ان يقذف بأرادتي وتفكيري إلى خارج ذاتي ومصيرها بالواقع المشتعل. . .

نار ودخان في كل مكان. . .

وصلنا رفاقنا متنقلين بحذر بالغ بين الاشجار والصخور لأن رصاص العدو بدأ يطالنا ويمرُّ بنا متوعداً، أخذنا مواقعنا واشتبكنا مع العدو. . .

على مرمى البصر زحفت نحونا الاف مؤلفة من كل الاتجاهات[18]. . .

وباتجاه مواقعنا قدّرت أن عدد الزاحفين إلينا لا يقل عن عشرين ضعفاً عن عددنا. .

ولقد دَحرْنا هجماتهم المتلاحقة فتراجعوا وفرّوا لائذين في شعب الجبال وخلف الصخور والاخاديد غير المرئية لالتقاط الانفاس. . .

وقام تكتيكهم الهجومي على نفس قاعدة الجيش النظامي فلم يكونوا يبادرون إلى الهجوم إلّا بعد قصف مدفعي شديد ومركّز لكسر شوكة الطرف المقابل (نحن) وتثبيط معنوياته ثم ابتلاعه بسهولة.

اختبأنا بعدما لاذوا بالفرار في مواقعنا جيداً، منبطحين فيها ثم ادركتنا اصوات انطلاق القذائف حتى ارتطمت بالارض والصخور وعلا دوّي انفجاراتها.

كن يأتيننا عشرة عشرة من قذائف المدافع دفعة واحدة. . تعقبها رشقة من صواريخ الراجمات، أما الدبابات فما انفكت تمشط مواقع المعركة ، بحيث غمرت المكان رائحة البارود المرّة وحرارة الحديد المنصهر.

استلقيت على الارض، منبطحاً على بطني، ملتصقاً بالتربة تماماً، واضعاً بندقيتي أمام رأسي ظاناً انها ستحميني من الشظايا، التي تقافزت كشياطين صغيرة في كل الاتجاهات. وبغتة سقطت قنبلة قريبة من موضعنا، أطرشتنا، فيما اندفعت بندقيتي مرتطمة بالحجرة التي كنا مختبئين وراءها وانثالت حفنة كبيرة من التراب على رأسي. . وكانت القذيفة قد سقطت على مسافة منّا لا تتجاوز الخمسة أمتار.

بعد ذلك سألني الرفيق المنبطح لصقي:

- كم الساعة الآن؟

- العاشرة والنصف. . .

- حمداً لله . . . ما زلنا على قيد الحياة. . .

- لو كانت هذه القذيفة قد اندفعت بمسافة تزيد على خمسة أمتار. . .

- لصدر نعينا بعد أيام!

واقتربت اصوات مجيء قذائف أخرى، فانبطحنا تماماً صامتين.

ثم رأينا من شقوق مواضعنا وفتحاتها التي صنعناها بايدينا العدو وهو يتسلل الينا مجدداً بحشد كبير. . .

كنا نقاتل بعزيمة لا تفل، وبجرأة لا مثيل لها، ويزيدنا في ذلك وجود مقاتلين افذاذ بيننا يزدرون الموت ويحتقرون الجبن والخذلان، تراهم ينطوّن من موقع إلى آخر، كالاطيار ، انتقالها من غصن إلى آخر، يشتبكون مع العدو على بعد أمتار قليلة، ويظهرون من الشجاعة ما ندر ومن الجرأة ما عظم شأنه وقل مثيله. انهم صُناع الحياة يفنون الحمأ الاسود القادم من مرابض الشر والفساد، ولا يتوانون عن تقديم انفسهم قرباناً لذلك.

صدرت لنا الاوامر بترك العدو يتقدم إلى أقرب مسافة منّا. ثم نباغته على عين غرّة، عقب ما ينال من الاطمئنان قسطاً وافراً. . .

جمدنا في مواقعنا فيما غطى العدو تقدمه بستار من نيران كثيفة وغزيرة صبّ حممها علينا من كل الاتجاهات، فانهمرت على رؤوسنا كحبات المطر. . وما لبثت طلائعه ان بلغت مكاناً قريباً لا يزيد على خمسين متراً من مواقعنا، وبدت وكأن اليقين قد خامرها بأننا انما قد لُذنا بالفرار جراء كثافة القصف المدفعي . . .

عند ذاك، سحب العديد من مقاتلينا مسامير الامان من القنابل اليدوية التي كانت بحوزتهم وقذفوا بها صفوف العدو، وعلى الفور امطرناهم رصاصاً من بنادقنا فمادوا وغلب عليهم فزعٌ مروّع ثم شرعوا بالفرار، فيما كان صراخ بعضهم يعلو مستغيثاً، ومنهم من ناح وانتحب. . كُنا نستفزهم ونصرخ بهم:

«أين أنتم أيها الأرانب». . .

ثم قُصف مرتفعنا بقسوة ووحشية لا مثيل لهما. حتى لم يشك أيٌّ منا بأن الافلات عسير وان الموقف صعب. . ولم تكن مدافعنا سوى عزائنا وأنّى لنا بما يملكه العدو من امثاله!؟ فلو كان بحوزتنا واحد إلى عشرة مما يملكون من هذه الحدائد التي تنشر الرعب والموت ببلادة لا تضاهيها بلادة، لانكسروا منذ ساعة القتال الاولى. . .

* * *

ها نحن وقد نزلنا من مواقعنا وابتعدنا عنها محزونين لاضطرارنا على تركها، كنا ندرك اننا سننسحب منها إن عاجلاً أو آجلاً فلا يمكن البقاء فيها تحت وابل النيران الكثيفة التي استخدمها العدو وتصميمه على احتلالها مهما كان الثمن وطال الزمن، ولأننا ندرك اختلال القوة لصالح العدو على المدى البعيد. . .

ابهى الأوقات وأكثرها، امتلاءً بالشوق واكتظاظاً بلهفة تنبع من أنقى المشاعر واروعها، هي تلك التي تعقب افتضاض التناحر الدموي مع العدو، وتسري كالدم في شرايين المقاتلين لتكون هي غلة نبض افئدتهم وحرارتها. . . مصير الآخرين يظل مجهولاً. . . ولذلك يمور في قلب المقاتل، ابن الشعب ورجاله الابدي، حنين لا تحده شطآن، ويتبجس بحر من أشواق لا تحضر روح الانسان إلاّ في مثل هذه الحالات. . .

ترى من حضر ومن تخلف؟

إنها الثواني، الدقائق التي تتطاير فيها المشاعر باحثة عما يروي غليلها، كفراشات تفتش عن زهورها، ويذوب الذهن في غمرة احاسيس ملْغزة الكُنه، تتراكم، تنجذب وتتنافر، تخشوشن وترق، فيهتز لتفاعلها القلب، الذي تتعاقب فيه خفقات الحب والخوف والايمان والحقد.

أما الفرحة البهيجة بالنجاة والوجع المبرح للروح من احتمال سقوط أحبة فيتمازجان، كامواج بحر عصفت بذراته عاصفة جموح لم تبق أو تذر، فتترنح الذات باحثة عن الناجي من «القوارب».

الروح تلقّها مِزَنٌ توقظ فيها ارهاصات كانت سابقة في أعمق الاعماق ويتفجر في القلب والعقل معاً تفاعل التناقض، الساكن والمضطرد، المشتهى والمنبوذ. . .

إلتقينا في «جمانكي» وهي احدى قرى المنطقة. والتقت المجموعات والتقت

وغمرتنا فرحة لا توصف اذ تبين اننا لم نقدم أي شهيد في المعركة، ولم يكن لنا سوى جريح واحد[19] اصيب بطلقة قناص في سبابته اليمنى فكسرت. . .

انسحبنا إلى «مرانه» كان العدو يرمي الطلقات المضيئة من القمم التي احتلها اسراباً اسراباً. . . قال رفيق:

- اراهم يعلنون عن فرحهم بالافراط في صرف العتاد. . .

عقب آخر:

- اتصوّر انهم يخافون ان نباغتهم ولذا تراهم يعلنون عن يقظتهم بهذه الطريقة!

وسرنا إلى مرانه وفي داخل كل منا شعور بأن أمامنا غداً أو بعده معركة حاسمة

(١١) سواره وميزه: من القرى القريبة من مقر الفوج في منطقة بروادي زير.

(١٢) كه فركي: اتخذتها قوات البيشمركة والانصار مركزاً لعملياتها العسكرية ابان الهجوم.

(١٣) للشاعر سعدي يوسف قصيدة بهذا المعنى. .

(١٤) تمرّستُ بالآفاتِ حتى تركتها تقولُ أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذُعرُ
ولا تحسبُن المجدَ زقاً وقينةً فما المجدُ إلا السّيفُ والفتكةُ البكرُ

(١٥) رؤوس الجبال.

(١٦) صوتها من جلدها.

(١٧) هو الشهيد (روبرت) استشهد في صيف العام نفسه في الهجوم على قرية شيخكه. كتب في مذكراته: «ان أكثر ما يثير الحزن في نفسي هو يقيني بمدى المعاناة التي سيتكابدها الرفاق عندما يزف اليهم نبأ استشهادي». . هل كان موقناً من ذلك؟

(١٨) زجت السلطة في هذا الهجوم ولأول مرة اعداداً هائلة من قوات «الجحوش» والقوات الخاصة النظامية بلغ تعدادها واحداً وعشرون الفاً. واتبعت لأول مرة تكتيكاً جديداً قائماً على عنصري الكثافة البشرية والقتال بنفس طويل عبر القيام بهجمات متلاحقة، فما ان تنكسر هجمة حتى تبدأ أخرى. . .

(١٩) الرفيق الجريح كان المسؤول العسكري للمفرزة.

صور كردستانية

عباس البدري

- الحب -

أُحبكِ الآن،
كما لمْ يحدث الحّبُ لأيِّ امرأةٍ،
أو رجُلٍ.
أُحبكِ الآن،
كما لمْ يحدث الحُبّ لأيِّ وَعْلةٍ،
أوْ وَعِلٍ.
أُحبّكِ الآن،
كما لَمْ يحدث الحُبّ لأيِّ قُبلةٍ،
أو شفةٍ!
أُحبّكِ الآنَ كما لمْ يحدث الحُبُّ.
أُحبكِ الآنَ كما لمْ يخفق القلبُ!

أحبكِ الآنَ ،
لكيّ يُكتب في حاشيةِ الزمانْ :
بأنَّ ثمَّ رجلًا وآمرأةً تعانقا ،
كالأرضِ ،
والمياهِ . . في بلادِ كُردستانْ !

*

ـ الجبال ـ

باقيةٌ جبالنا !
باقيةٌ غاباتنا الخضراءُ
والترابُ ، والغدرانْ .
باقٍ غناءُ القُبّراتِ الخُضرِ . . . ،
باقٍ أثرُ الأنسانْ .
كشوكةٍ في قلبكم ،
باقيةٌ بلادُ كردستانْ .

*

ـ المسافر ـ

ماذا حملتَ أيها المسافرُ الوحيدُ ، في عينيكَ
للأطفالْ ؟
أغنيةً ، أمْ زهرةً خضراءَ ،
أمْ حكايةً من وطن الجبالْ ؟ !
ماذا حملتَ أيها المسافر الوحيدُ في عينيكَ
للحبيبةِ الجميلةِ العينينْ ؟
شوقَ الرجالِ الكُردِ ،
أمْ سخاوةَ اليدينْ ؟ !

ماذا حملتَ أيها المسافر الوحيدُ في عينيكَ
للرجالْ؟
مرثية الأحزانِ،
أمْ بنادقَ القتالْ؟!
ياأيها المسافر الوحيدْ!
عيونكَ: الأطفالُ.. والجبالْ
عيونكَ: الحبيبةُ الجميلةُ العينينْ،
عيونكَ: القتالُ.. والرجالْ!

*

ـ إمرأة ـ

كيفَ أَلمُّ حبّكِ الآنَ، وقلبي متعبٌ!؟
كيفَ ألَمُّ حبّكِ الأولَّ،
هذا الأولُّ.. النشوانْ!
كيف ألَمُّ الناسَ، والزمانْ؟!
كيف ألَمُّ آمْرأةً مثلكِ، يافارعةً كالسروِ،
ياطيّبةً كالأرضِ،
ياناعمةَ الملمسِ، قلبي متعبٌ،
وأغنياتي قُتلتْ
في أرض كُردستانْ!

*

ـ بيشمركه ـ

هذي يديْ.،
هذي خبايا شَفَتي!
هذا أنا..، سماء عينيكِ، وأفراح الغدِ.

خذي يدي . . ،
إلى يديكِ ، فأنا
أتعبتُ بندقيتي !
قاتلتُ حتى الموتِ ،
حتى الأبدِ !
خذي يديْ . ،
إلى يديكِ . . ، بلْ إلى . . . . . . !
أخجلُ أنْ أقولَ : ياحبيبتي ،
لصدركِ الريّانِ ،
أو للشَفةِ !

*

ـ قلعة دزه ـ

ليلةَ أمسِ ، آرتقبتْ قصائدي ،
إيماءةً من يدكِ الدافئةَ الحنانِ ،
كي تقولَ لي : تعالْ !
ياأيها المتعبُ . . ،
يابقيّةَ الرجالْ !
تعالْ . . . ، تعالْ !
لصدريَ الدافيءَ ، ياطفلاً وحيداً ،
فالرجالُ المتعبونَ فوقَ صدرنا ، نحن النساءُ ،
يشبهونَ حُلمَ الأطفالْ !
تعالْ ! !
ليلة أمسِ آرتقبتْ قصائدي ، إمرأةً أحببتها ،
تقولُ لي : تعالْ !
ليلة أمسِ رُحلّتْ مدينةٌ

من مدنِ الَجبالْ!

ـ حزن كردستاني ـ

(لا تزعلي)، لأنَّ قلبي متعبٌ!،
لأنَّ أشواقَ يديَّ
لم تعدْ دافئةً.
فأنني نسيتُ كيفَ يأخذ الفتى
إمرأةً لصدره!
لا(تزعلي) لأنني أحبُ أن أعصرَ بين شفتيّ،
لفافةَ التبغِ،
وليسَ شفةً، دافئةُ الحنانْ.
لا (تزعلي)، كُرديةٌ أنتِ،
تعالي نرتوي من حزنِ كردستانْ!

*

ـ محارب قديم ـ

قابلتُ في ساحلِ «آراسَ»،
وفوقَ القممِ الخضراءِ،
والسهولْ.
أحببتُ تسعاً من نساء الأرضِ..،
شاهدتُ حطامَ مُدُنٍ،
ومصارعَ الوعولْ.
كتبتُ أحلى الشعرِ في ذكرى بلاد الرقصِ
والدماءِ والجمالْ.

شربتُ في الغاباتِ والجبالْ .
صرعتُ بين الحبِّ ،
والنسيانْ .
كالسنديانِ قاومتْ كهولتي
الرياحَ ، والزمانْ .
لأنني قاومتُ
في بلاد كردستانْ !

*

ـ العشب ـ

العشبُ لا ينبتُ فوقَ الصخرِ
لو دحرجتهُ* .
العشبُ لا ينبتُ فوق الجمرِ
لو أطفأتهُ .
العشبُ لا ينبتُ فوق الدمِّ
لو طشرّتهُ .
العشبُ لا ينبتُ فوقَ كتفيّ إنسانْ !
لكنني رأيتُ في بلاد كردستانْ :
عشباً من الصخرِ . ،
عشباً من الجمرِ . ،
عشباً من الدمِّ . ،
عشباً من الأنسانْ ! ـ

*

كردستان ـ حزيران ١٩٨٩

* العشب لا ينبتُ فوق الحجر المتدحرج : مثل انكليزي .

ومضات جبلية

صباح المندلاوي

تساؤل

الثلج الوحشي يهبط بغزارة

يرقص طرباً

يغطي الطرقات.. يلتهم الغابات

يحاصرنا

يتساءل جارنا العجوز بمرارة:

ـ لو كان طحيناً ـ هل كان سيهبط بمثل هذه

الغزارة؟!

قذيفه

تخترق القذيفه

جدار البيت
واعشاش العصافير
يمتزج الدم بالثلج
تكبر خارطه الدم
وتكبر
تطبع بقع الدم
رسالة احتجاج

هل حقا؟!

هل حقاً
انني اعتليت
تلك الجبال الشواهق
وامضيت عشرات الكيلو مترات.. بل المئات منها
وسيراً على الاقدام؟!
بالسيقان النحيله المباركة
وهي تحصد تلك الذرى
وتنسج لكم الاساطير.

ذكريات

الامطار تنقر خيمتنا
تثرثر في الخارج
وفي جوف الخيمة
وعلى ضوء فانوس شاحب
كنا ثلاثة انصار
نتعاطى الليل
والذكريات الدفينه.



رمس حلبجة

شوانة ترجمة: ريبوار

أنا شبحٌ فارع الطول
في دائرة غربتكِ
أقف عند الرمس المرتدي لوني
حيث لا شاهدة تنتصب
أحملُ هذي الغربة
في طيات الشعرِ
من ثراك الرطبِ
يتصاعد بخارٌ أحمر
يصل شَعرِيَ الهائج
لينهمر مع الدمعِ
قطرةً . . . قطرةً
ويسقيني
ها أنذا . . .

أمسيتُ شجرةَ انتظار
تتأرجح
عيني آلاف الاقزاح
شفتي، . .
أورق صداها المخنوق
مقبرةً
قامة جرحي
يجثمُ عليها وهجَ هذا العصر
ورماد القرون
المواسم المريرة
ـ التي لا يحكمها قانون ـ
تأتي وتروح
وتترك في جسدي
آثار أصابعها
لكني. . .
أنا الشبحُ الأعظم
يقاوم انتظاري تبدّلَ الفصول
ولا يتهاوي
لا يترك هذه المقبرة المجهولة
وللقبر المنزويَ جانباً
يصبحُ شاهدةً
وعنوان



أي خيول تلك ؟

أبو الندى

في البدء لابد لي من الاشارة إلى اني قاريء لا تتوفر له امكانية ممارسة فن النقد، وما أتناوله لا يدخل في هذا الباب. ان الدافع للاقدام على كذا نوع من الكتابة هو ما حزّ في نفسي وأنا أقرأ القصة القصيرة «خيول الظلام» لكاتبها سلام ابراهيم. ولو لم أكن واحداً من الذين أشير اليهم في القصة، أي واحداً من أعضاء المفرزة، والشاهد المطلع على الحدث المصاغ كقصة قصيرة، لما جشمت نفسي عناء الكتابة. أضف إلى ان الغاية من ذلك هي تبيان بعض الجوانب التي لو لم يغفلها الكاتب لكان لها شأن في اغناء القصة وإلقاء قسط أكبر من الضوء على محور الحدث، شخصية داود، تلك الشخصية التي سابدأ بها كي اسطّر ملاحظاتي واعتراضاتي واستميح القاريء العذر ان كان هناك ثمة قصور في عرض موضوعي.

لا اختلف مع أحد في ان الكاتب يمتلك الحرية الكاملة في الاستفادة من أي حدث، فيقوم باعادة بنائه وفق منظوره الخاص لاستخلاص الفكرة فيه وتوصيلها عبر أسهل الطرق إلى جمهور القراء وهذا بالطبع يحتاج من الكاتب اولاً إلى طريقة خاصة في التعامل مع معطيات الواقع، وليس الارتكاز على الصيغ البلاغية أو الجمل الجاهزة أو العبارات الطنانة التي لا تعطينا، في نهاية المطاف، غير مجموعة قشور كلما نزعنا قشرة ظهرت لنا أخرى، فلا نجد في النتيجة أي ثمرة وان كانت مرّة. فيعجز الموضوع بذلك عن كشف

الواقع ان لم يضف قدراً أكبر من التعمية والالتباس عليه. وهذا ما تلمسته وأنا اتعقب شخصية داود في قصة «خيول الظلام» الذي بدا لي في القصة متقاطعاً مع داود الواقع، وليس داود لوحده بمواصفاته الشخصية الصرف، كنصير مقاتل. فالكاتب عليه ان يميز ذلك ليعكس من خلاله جانباً من واقع حركة الانصار. فالنصير ليس سوبرمان، وبنفس الوقت ليس هو ضعيفاً منهاراً. ومنشأ ذلك التقاطع بتقديري هو ان داود الواقع متكامل الابعاد ومنتمي إلى حركة وذو جذور، بخلاف داود القصة التي تحمّله، وجهاً مشطوراً يتخبط دون اتجاه، ، وما من جذور تربطه بتربة يستمد منها الحياة والاستمرار. . . .

لذا فانني اعتبر طريقة التناول لشخصية داود، كما ظهر في القصة، غير دقيق للتعبير عن شخصية داود الواقع. فداود عيّنة انصارية، وضعه الكاتب في القصة أسير لحظة، وضخّم جانب ضعف معين، ولم يكشف ماله من ماض انصاري مشرف ليدرك القارىء بأن كذا نمط من الناس أبعد ما يكون عن الانهيار. لذا فان الكاتب لو لم يدرج على ترك داود فريسة لوساوسه وظنونه، التي تجلت في توجسه من مكر رفاق به، وكأنهم ذئاب احاطت به، وتحاول نهش لحمه في أول فرصة، لكنا قد رأينا ان حالة الضعف التي ألمت به ما هي إلا كبوة جواد أصيل، وليس حالة انكسار تحتم بالضرورة الأنهيار لمعنويات داود.

ان داود كان مدركاً لاهداف حمل البندقية وتجشمه صعوبات واهوال ظروف حركة الانصار التي تضعه أيضاً في موضع المواجهة الصعبة مع الموت، لكنه الموت المقدس مادام يحدث في معرض البحث الدائب عن الحرية وتحقيق الاهداف التي آمن بها. فأجد هنا من غير الجائز ان يكون الدافع لداود في عدم الكيد بأصحابه كان دافعاً اخلاقياً بالمعنى الرجولي القبلي، أي عدم تسليم نفسه. فمن الجائز أيضاً ان ينحو هذا المنحى ولكن الاعتبارات التي تحيط هذا المنحى لها شأن آخر مختلف عن سياق القصة. لهذا فان مبادرة داود الجريئة التي تجلت في (دلالة)* المجموعة بعد تعرض المفرزة للانشطار عند جسر الداودية وارجاعها إلى كارا لم تكن بدافع شهامته واخلاقه كنتيجة مجردة بل انه قد اكتسب التقاليد الثورية للانصار ونتيجة تربيته السياسية التي اكسبت شخصيته نفساً ثورياً. ولو لم يمتلك هذا النفس كان الأجدر به، باعتباره هارباً من جبهات القتال، ان ينزوي في قرية من القرى ليعيش مثل الكثير من الهاربين الذين لا تتجلى فيهم أي ميزة من ميزات الحماس الثوري الذي يتم التعبير عنه آنذاك، غالباً، بالانخراط في حركة الانصار. اذن لابد للانصاف، ان نعتبر ذلك النفس لدى داود عنصر قوة وعزيمة. ولو كان يفتقر لهذا العنصر وكان بحالة الضعف التي اظهرتها القصة لكان مصيره لا يختلف عن مصير حمزة وثوميد.

أضف إلى ما اسلفت جملة من الاعتراضات على بعض الرموز والتشبيهات والاستعارات، الواردة في القصة، ادراكاً مني بأن هذه الرموز والتشبيهات لها منطقها

الخاص في اختزال الكثير من الشروحات التي ترهق العمل الأدبي ، لكنها متى ما اخفقت في الدقة والصواب فانها تؤشر خطلاً فكرياً وثقافياً، وترمي إلى غير الغاية الاصلية . مما يدل على ضعف ادراك الكاتب لطبيعة تلك الرموز والتشبيهات .

الاعتراض الأول: هو وصفه السلطة بالفولاذية، وكأن الطائرات والدبابات والمدافع، أي ذلك الكم الهائل من الفولاذ، هو البنية الفعلية للسلطة. فتبدو عبارة عن ترسانة اسلحة وحسب، أي انها فولاذية بالمنظور العسكري البحت. في حين اننا، لكي نصيب كبد الحقيقة ، يتعين علينا ان نمتلك النظر الثاقب، والكاتب قبلنا، حتى يسعنا ان نخترق حجب الفولاذ الأصمّ إلى حيث تستوطن الازمات الداخلية للنظام، وكيف انها سلطة غير فولاذية. لقد نسي الكاتب تركيبة الجيش والتناقضات في القاعدة الاجتماعية لسلطة طبقية دكتاتورية.

الاعتراض الثاني: هو ان الجواد رمز من رموز الثورة والانتفاضة وانه يمتاز بالجموح والعنفوان والرشاقة في الشكل والسرعة في الحركة. فهل يجدر بعد بهذا الكائن الأكثر ألفة وطاعة للانسان ان يتحول إلى حيوان مسخ يهاجم النصير في احلامه. ويثير في نفسه الفزع؟ وهل يصح تشبيهه بالضواري المغيرة التي لا تعرف غير الفتك بهذا الحيوان ذي السجية المسالمة، أم ان الطبيعة خلت من حيوانات اخرى يضرب بها المثل في الوحشية وتقترب إلى أبعد الحدود من الرمز المطلوب المؤرق للنصير في احلامه؟ ولا أخفي هنا بأنني أصبت بخيبة أمل بعدما أكملت قراءة القصة وعرفت بان الخيول كانت رمزاً لعناصر السلطة ومرتزقتها، تلك العناصر التي لم تترك في كردستان حجراً على حجر.

الاعتراض الثالث: هو ان النصير بعدما تمرس في حرب العصابات وأكتسب خبرة كبيرة في الممارسة العملية أصبحت لديه القدرة على التملص من العدو وفك الحصارات من حوله. لهذا لا يجوز ان نشبهه بقطة محصورة في غرفة ولا نضع أمامه غير فكرة الغدر برفاقه لكي ينجو بنفسه ويتخلص من المأزق. وداود بالذات، وباعتراف الكاتب نفسه، يمتلك عدة خيارات: اسهلها، لكي يستريح حسب منطق الصوت الآخر في داخله، هو ان يعود ادراجه ويسلم نفسه إلى السلطة لا ان يقود جماعته عبر المعسكرات ونقاط الحراسة إلى جبل كارا، كما فعل في النهاية. وهذا شيء بديهي. ومعروف عن الانصار سرعة تحركهم وخاصة في الليل، وقدرتهم على اجتياز النقاط والمعسكرات، وكل المنافذ تكون مفتوحة أمامهم، وبالذات عندما يكون في المفرزة دليل يقلل المتاعب ويختصر المسافة. فأين هي اذن الجدران التي احاطت بداود لكي تفرض عليه فكرة الغدر برفاقه كاختيار وحيد أمامه؟

الاعتراض الرابع: هو ان داود نصير. فكيف منح الكاتب لنفسه الحق واطلق صفة

المتسول على النصير داود؟ انه مقاتل من أجل الديمقراطية لشعبه فهو لم يكن يستجدي شيئاً أو يستعطف آخرين، انما القناعة تكدست لديه بعدالة نضاله. وما شاهده من دمار شامل للقرى، التي كانت تأويه، وقتل ومطاردة جعله يدرك انه لم يكن انساناً عادياً، ومن جرب الحصار العسكري والتهديد بالسلاح الكيمياوي. . . وما رافق ذلك من جوع وعطش وتعب وسهر، يدرك جيداً مقدار المرارة في تلك التجربة وكيف انها تحمل الانسان عناء البحث عن حلول فورية لمعضلات لم يتعرض لها من قبل. فماذا يريد الكاتب من النصير داود ان يكون آنذاك لكي لا يلصق به صفة المتسول؟ هل يتعين عليه ان يلوي له عنق المدفع أو ان يشق بقبضته صدر الدبابة أم ان يقتل مئات الجنود وغير ذلك من الفعل الاسطوري لكي لا يجد نفسه في صف المتسولين محروماً، بأمر الكاتب، من حرية الحركة والتجوال في الفراغ الفاصل بين السوبرمانية والتسول؟

١٩٩٠/٩/١٤

● دلالة: الدليل الذي يعرف طريق المسير بشكل جيد ويكون عادة في مقدمة المفرزة ويطلق عليه صفة الدليل. وداود كان دليل المفرزة منذ انطلاق المفرزة من جبل كارا لتنفيذ مهمتها.

نتاجات انصارية أخرى

لم يتسع الملف لعدة نتاجات انصارية أخرى، لاسيما نتاجات المبدعين الانصار الذين نشرنا لهم في الاعداد الأخيرة. وإذ نعتذر للتأجيل، نأمل ان تُنشر في الاعداد القادمة.

«أدب وفن»



سيف المراجل حكم!

عامر بدر حسون

في مسرحية فيروز الشهيرة «لولو» يقدّم الرحابنة على لسان مجموعة من «الشقاوات» اغنية ساخرة يقول مطلعها:

سيف المراجل حَكم
كُبّوا الدوا والقلم
فردك بايدك شاعر
يمحي ويكتب حِكَم ! *

وفي مرات كثيرة، وأمام المقالات المؤلمة التي اطالعها، تقفز هذه الاغنية إلى البال لتفسر ما يكتب، ولتقدم نفسها كرثاء لزمن العقل والفكر والقيم.

قال لي صديق عربي، من هذا الزمن، بعد غزو الكويت:

ـ ان عالمنا هذا غابة ولا مكان فيها إلاّ للأقوى وصدام اليوم هو ملك الغابة!

قال لي:

ـ ستبحقك الفيلة والاسود والخراتيت انت والحديقة المضحكة التي تريد الحفاظ عليها في هذه الغابة!

قلت:

* الدوا: الدواة. فردك: مسدسك.

- انني احدثك باعتبارك مثقفاً وتحب الشعر. احدثك باعتبارك إنساناً يجب أن يأسى لهلع الطفل قبل ان يكرس جهده لرسم ودراسة الخرائط الجديدة في المنطقة.

ضحك، مني بالتأكيد، وفتل شاربيه وقال ما معناه:

- سيف المراجل حكم!

فأكملت يائساً:

- كبّوا الدواة والقلم.

حصل ذلك في الأيام الاولى لغزو الكويت، وعبثاً حاولت إقناع صديقي، المثقف العربي، بأن غزو الكويت لا يستهدف تقديم نموذج وحدوي جديد وانما هو تعميم للارهاب الذي يمارس ضد شعبنا ليشمل شعب الكويت إضافة إلى استشرائه بشكل أكبر.

بعد فترة قليلة من هذا الحوار وأمثاله قرأت مقالة للاستاذ هادي العلوي، وهو كما يعرف الجميع، الأكثر عداوة للنظام الفاشي في العراق وصاحب تلك الرسالة المشرّفة التي نشرها عقب مجزرة حلبجة.

كانت المقالة تنتمي لزمن «سيف المراجل حكم» وفيها ان الكويت عراقية (كويت تصغير للكوت!) وان الكويتيين ليسوا إلاّ مجموعة من البدو لديهم خدم عرب وآسيويون لا يستحقون ما لديهم، وفيها تحية للجيش العراقي على فعلته ومطالبة له بان لا ينسحب من الكويت ويقاوم كل الضغوطات التي يمكن ان يتعرض لها لهذا الغرض!

جاء المسدس إذن ليحمي حكمة ويكتب غيرها!

دارت الاغنية السوداء في دمي وقلت، في نفسي، لهادي العلوي:

- أتضمن لي أو لنفسك ان الجيش الذي احتل الكويت وروّع أهلها (البدو المتخلفين) لم يكن هو ذات الجيش الذي ضرب حلبجة بالكيمياوي وقام بتدمير أكثر من أربعة آلاف قرية ومدينة صغيرة في كردستان؟

أتضمن لنفسك، وليس لأحد آخر، ان اولئك الضباط الذين لعنتهم بصدق ومرارة لقبولهم بتنفيذ مجزرة حلبجة ليسوا هم، فعلياً، الذين تحييهم الآن وتطالبهم بالبقاء هناك مهما كان الثمن؟

هم بدومتخلفون. أفتكون المعركة معركة حضارة ضد بداوة؟ لماذا الاحتجاج اذن على ما حصل في كردستان، وأهلها في حالة مريعة من التخلف والفقر؟!

كردستان كانت، وما تزال بقرار من الدولة، الأكثر تخلفاً. وفيها من الفلاحين والاطفال والنساء الكثير ممن لم يروا المدن، فهل نكبّ الدواة والقلم والكيمياوي عليها لأن جنرالاتنا أكثر حضارة منهم؟

كان صوتك الأعلى، والأشجع، في إدانة المجزرة التي ارتكبت في كردستان فلماذا

تؤدي التحية، بقلمك، للغزاة؟ ولماذا تصدر أمرك للقوات العراقية كي تبقى في الكويت؟ وهي كما تعرف لم تذهب محملة بالحلوى للاطفال أو لسقي الحدائق.

وحتى لو كانت الكويت عراقية جدلاً، وهي لا تكون، فهل يجوز معاملة المدن العراقية بهذا الفيض من القسوة المنظمة؟ ألم تقرأ عن فظاعات الحرس الجمهوري؟ ألا يحق لي ان اطالبك، أنا شقيقك في المنفى، بمعاملة الكويت بنفس الحساسية العالية التي عاملت بها كردستان؟

أنا سأصدر أوامري للقوات العراقية كي تنسحب فوراً من الكويت، فإلى من ستنصاع هذه القوات؟ لك أم لي؟ كلنا يعرف انها تتلقى تعليماتها، مرغمة، من صدام حسين، عدوي وعدوك وعدو الشعب، تتلقى التعليمات من صدام فقط وإلاّ، فلو كانت هذه القوات حرة لكانت قد دخلت الحرب مع ايران بارادتها، ولكانت قصفت ودمرت كردستان بارادتها.

قرأت ولم أصدق. لكنما الاغنية كما لو كانت معجونة بدمي تنهال عليّ ساخرة ومؤنبة:

سيف المراجل حَكم
كُبّوا الدوا والقلم
فردك بايدك شاعر
يمحي ويكتب حِكَم!

قبل أقل من اسبوع من غزو الكويت، كان خليل عبد ربه معنا في المانيا في مؤتمر رابطة الكتاب، وكنت أصغي لمحاضرته بامتنان خاص، ففي هذه الايام ما بقيَ الكثير من المثقفين العرب على حماستهم لنا. ولعل بعضهم، وهو غير قليل، استبدل حماسته للديمقراطية بالحماسة للبطل القومي وان كان دكتاتوراً، على حد تعبير بعضهم.

خليل عبد ربه من بين قليلين ظلّوا معنا. كان يوقع على مذكراتنا ضد الارهاب في بلدنا، وجاء إلى مؤتمر الرابطة تعبيراً عن تضامنه معنا وتمنى معنا ان يكون المؤتمر القادم في بغداد. كم كان طيباً وشجاعاً وهو يحدثنا، نحن المنفيين، عن اطفال الحجارة. لكن... سيف المراجل حكم! لا حجارة اطفال فلسطين ولا قلم المثقفين أو المتصدين للارهاب، وانما سيف المراجل. اذ ما هي إلاّ أيام حتى تحوّل كل شيء إلى ضده، وبطريقة مأساوية.

طار خليل عبد ربه، بعد غزو الكويت، إلى «قلعة العروبة» الجديدة، بغداد وطاف في تلك المدينة التي حرمنا منها ومن رؤيتها وكتب في مجلة «الهدف» ريبورتاجاً طويلاً،

اكتفي بذكر كلماته الاولى حرفياً للدلالة على ما جاء فيه:

«خفّة دم رجل الأمن العراقي انستنا متاعب السفر»!

يالله!

أتكون للسيف قدرة الالهام على مثل هذه الفصاحة؟ هل كان الرحابنة ساخرين، تماماً، عندما تحدثوا عن المسدس الشاعر؟ هل هو خليل عبد ربّه الذي كان معنا قبل أيام قليلة يشدّ على أيدينا ويقول لنا ان الحجر، وان الصمود والوعي والمعرفة، أقوى بكثير من جنديِ الاحتلال ومن شرطي الأمن؟ هل هو خليل عبد ربّه الذي، من بين كل الكتّاب الذين مرّوا على بغداد طيلة سنوات الفاشية، من يبدأ مقالته بالحديث عن خفة دم رجل الأمن؟ وأي رجل أمن؟! انه رجل الأمن العراقي المسؤول عن غربة وآلام الكثير من اصدقائه وقد كان مع بعضهم قبل أيام يمكن ان تحسب، لقلّتها، بالساعات.

هذا ما يمكن ان يحصل عندما يقوم المسدس بكتابة الشعر والشعار القومي. خليل عبد ربّه! شكراً لتضامن تلك الايام. أما العتب فعلى سيف المراجل الزائفة، على زمن كبّ الدواة والقلم وكل ما يفخر به الانسان، والركض وراء الدبابة الجامحة!

في «اليوم السابع» تحدث كاتب الافتتاحية عن أزمة الخليج وكل المخاطر التي ترد في البال، وهي حقيقية بأية حال، لكنه فجأة فتح قوساً وملأه بالسؤال أو الاتهام التالي:

(ترى لماذا غادر الكويتيون بلادهم بهذه السرعة؟)

ماذا يفعل العراقي أو الكويتي أو الفلسطيني، والعربي المنفي عموماً، وهو ينظر إلى ما يكتب في زمن المسدس ـ الشاعر؟ يضحك أم يبكي أم.. يغني سيف المراجل وهو يعرف ان كاتب ذلك السؤال والاتهام منفي وانه غادر بلاده مثل ملايين العرب؟

انني اكتب في الفجر. ومنفاي كله في النوم. من كتبوا ومن كتب عنهم هم في النوم. أمامي الكثير من المقالات، مقالات هذي الايام، أقرأ فأشعر ان المنطقة تروح إلى منوّم مغناطيسي يقودها للتهلكة. أشعر ان الكتاب يبدون أكثر حماسة لهذا التنويم. ففيه، في النوم الزائف، يمكن اسقاط الحلم ببطل قومي، منقذ ومخلص، على بدلة جنرال تتساءل عمّن فيها. فيغدو الجنرال المزعوم هو الحلم القومي.

في أول أيام الغزو دخل علينا أحد الاصدقاء وقد أرخى يديه وقال:

ـ فلان وفلان بعثا برقية تأييد لصدام حسين!

صديق شخصي لأحد «الفلانين» ضرب على رأسه وتهاوى على الكرسي. رأيته ينهار ويتألم كما لو خمسة حزيران جديدة تداهمنا. كان متحمساً لهما ومؤمناً بانحيازهما الكامل للديمقراطية والانسان. تركت صديقي في انفعاله، وكان يلهث، وصرت أتساءل:

ـ هل يمكن لمثقف ان يرسل برقية تأييد لرئيس أو حاكم عربي؟ ولصدام بالذات؟

دائماً، وفي أسوأ الاحوال وأسوأ الثقافة، كنت أعوّل على عنجهية المثقف ورغبته في التطاول على الحاكم. انه في النهاية تطاول القلم على المسدس والسيف والدبابة. ؟ انه رهان العقل على الانسان والمعرفة ضد عضلات مخلوقات الغابة وعجرفة الجنرالات. ها هما اثنـان ينهاران.. يمحوان كل «الحكمة» التي كتبها القلم بالدم واجهاد الذهن ويصفقان لما يكتبه المسدس.

سيف المراجل حكم!

يقولها المرء بسخرية، وأحياناً بيأس خفي، لكنه سرعان ما يعود إلى رشده. يتأمل قلمه وأوراقه، يمسك القلم كوردة متهمة بالذبول. ودون ارادته يأخذه القلم إلى الورقة ويخط بعض الألم، مرثاة لزمن كاد ان يكون بشارة الزمن لفرط ما أحيط بالجنون والضجيج والرغبة في النسيان، يكتب القلم بتكرار ممل:

سيف المراجل حكم!
كبّوا الدوا والقلم
فردك بايديك شاعر
يمحى ويكتب حِكم!!!!

ويضع، القلم، علامات تعجب خلف الاغنية.. يضعها وكأن فيها كل السخرية من شعر المسدس والسيف. أفهم الآن، أكثر من السابق، لماذا يستعمل الكتاب علامات تعجب خارج الضرورة وأكثر مما يجب. اتخيّل ان علامة التعجّب هي انتصاب القلم وان النقطة، التي تقف تحت، تكاد تكون السيل الذي يمحي الكتابة الذليلة.

أترك هذه التأملات وأعود إلى قصاصات المقالات فتقع عيني على سطور أخيرة لمقال كتبه يوسف ادريس، الكاتب المصري المعروف، فأرى انه خطاب موجّه إلى صدام حسين:

«ستكون بطلنا جميعاً لو انك انسحبت من الكويت بمبادرة منك وجنبت الأمة هذه المخاطر»!

أقرأ وأتذكر ان يوسف ادريس، وعقب الغزو العراقي للكويت، ذهب إلى السفارة العراقية في القاهرة وأعاد لهم «جائزة صدام» التي حصل عليها بشق الأنفس، قائلاً باحتجاج:

- ان هذه الجائزة عار لا يشرفني حمله!.

اتـذكـر أيضاً، بألم، ان يوسف ادريس كان من أشد المتحمسين لصدام حسين ونظامه قبل غزو الكويت. وانه عندما نال جائزة صدام مناصفة مع جبرا ابراهيم جبرا كتب

شاكياً إلى صدام من هذه المشاركة، فأكمل له صدام مبلغ الجائزة «من جيبه»!

وقتها مرّ يوسف ادريس بمنفانا فذهب اليه بعض المثقفين العراقيين وقالوا له، بكل لطف، أخفّ ما يمكن ان يقال عن الارهاب في بلادنا وما يتعرض له المثقفون على وجه خاص. فقال انه ضد الاضطهاد، ضد اضطهاد الشعوب والمثقفين وعاد إلى القاهرة وواصل كتابة المقالات بشكل أكثر مدحاً لصدام ونظامه. لكنه اليوم في الموقع الطبيعي للأديب الذي لا يساوم على الحرية.

هذا حسن، لكنه، وبكل أسف، جاء أيضاً نتيجة السيف لا القلم. نتيجة الانفعال لا التأمل. انه الوجه الآخر للانقلابات آنفة الذكر.

يوسف ادريس ليس شخصاً محدداً هنا، فهو لم يكن يشكل نشازاً في الوضع طيلة هذه السنوات. وفي كتاباته الاخيرة، بعد الغزو، تجد انها تشبه إلى حد كبير ما هو موجود حتى عند كثير من الكتّاب الكويتيين في المنفى. انها صدمة المسدس والدبابة، ولعلّ بعض كتابات الدكتورة سعاد الصباح تشي بهذه المحنة. فهي كانت من أشد العرب حماسة لصدام وحربه. وعندما وصلت النار إلى بيتها، عندما ناب المسدس والدبابة عن كثيرين في كتابة الشعر ظنت، وما زالت تظن بكل أسف، ان الخطأ حصل، وان الجريمة وقعت، فقط، عندما احتل صدام الكويت وليس قبل هذا.

في الحقيقة ان عشرات الكتّاب العرب، وفي غمرة استنكارهم لجريمة احتلال الكويت، ينسون شعبنا ومحنته تحت الدكتاتورية. وعندما يتأسّون على ما فات، يكتفون باعلان أسفهم على ما كتبوه للنظام في أيام حربه المجرمة.

يقولون:

ـ لم يكن يستاهل في الحقيقة ما كتبناه له. لقد خيّب أملنا!

ان وجود أكثر من مليون عراقي في مشارق الأرض ومغاربها، ومجزرة حلبجة، وتقارير منظمة العفو الدولية، التي كانت تضع العراق في مقدمة الدول التي تنتهك حقوق الانسان، وسواها من الجرائم الواضحة، لمن يريد أن يراها، هي التي تستوجب الذكر من قبل أصدقائنا الجدد، فكلهم يعرف ان النظام الحاكم في بلادنا لو لم يرتكب تلك الجرائم بحق شعبنا، أمام صمت العالم والمثقفين العرب، بل وتشجيع بعضهم له، لما كان بامكانه ان يصل إلى الكويت.

ربّ ضارة نافعة؟

لست متحمساً للتسليم بهذه الحكمة التي تستجيب لليأس. حقاً ان الجميع سيتفهم، ان عاجلاً أو آجلاً، جوهر المشكلة ويعرف ان احتلال الكويت هو إمتداد لاحتلال العراق من قبل هذا النظام. وحقاً صار الآن بوسع المعارضة العراقية والمثقف

العـراقي التنفس، اعـلامياً، وان يتحـدثـوا عن محنة الشعب العراقي هنا وهناك. لكن الخسارة رغم ذلك كبيرة. فهذا الانقلاب بوجهيه، السلبي والايجابي، تمّ نتيجة ارتفاع صليل السيوف، لا أنين المعـذّبين.. تمّ نتيجة دويّ المدافع واجتياح الدبابات وادعاء المسدس انه يكتب الشعر، لا تأمل المثقف. والخسارة الأكثر مرارة هي المتمثلة في انحياز مثقفين عرب «كبار» للنظام الحاكم في بلادنا في الوقت الذي انفضح فيه هذا النظام أكثر من أي وقت مضى. والأمرّ، وأكثر خطراً، هو ان قادة أحزاب ومنظمات قومية و«يسارية» يتعاطون التنظير والتفكير انبهروا بعرض العضلات والمراجل الزائفة فأعلنوا من بغداد، وقد كان دخولها محرماً عليهم، ان ساعة الحسم قد حانت وان ناقوس المعركة بدأ يدق!

لقد رآهم شعبنا على شاشة التلفزيون وفي الصحف واستمع اليهم من الاذاعة وهم يقولون كلاماً لا يليق بهم، ويمنحون الطاغية من الألقاب والمهمات ما لا يتجرأ، حتى هو، على ادعائه، رآهم شعبنـا وأحس بفـداحة خذلان الصديق، وشعر أكثر بتردي (الزمن الرديء) وظل يتساءل مثلي، ومثلك: لماذا.. ولماذا ولماذا؟

أيها الرحابنة

عسى ان تكون اغنيتكم سخرية من عصر موشك على الأفول، لا وصفاً لما يحصل اليوم أو ما يتهددنا... وإلاّ فعلى الأرض والعقل السلام!

في اعـدادنا القادمة بحث للاستاذ هادي الـعـلوي عنـوانـه «نـظرة مجملة في اقتصاديات الاسلام».



«الاغتصاب» بين مسرحة النص واسنمته

خلدون جاويد

حظيت مسرحية «الاغتصاب» للكاتب سعد الله ونوس باهتمام بالغ، في الوسط الفني وفي الصحافة.واذ يدأب المخرج جواد الاسدي على رفد الحركة المسرحية العربية بعطاءات جادة، منذ «خيوط من فضة» فانه، من وجهة نظر المهتمين، يضيف إلى قوة حضوره في ساحة العمل المسرحي شهادات اصالة وابداع، رغم الصعوبة التي تواجه المخرج في تجسيد نصوص مسرحية، مثل «الاغتصاب»، تعتمد الحوار والقدرات الاستثنائية المبذولة لزعزعته والارتقاء به عيانياً أو صورياً.

لقد غدت الكلمات، كما هو معلوم، لغة مرئية تتجسد في عالم الفوتوغرافيا. والمسرح والسينما واصبح التجسيد (Personification) همّاً ابداعياً لدى المختصين في حقول الشعر والمسرح والوان الفن المتعددة. . وكما قال سومرست موم مرة: «لا تقولي لابنتك أنت جميلة. . قولي لها كم تشبهين أوزة فضيّة في بركة زرقاء». حقاً لقد غدت الصورة، هنا أيضاً، تعبيراً أسنى من الكلمة وأسطع من جذرها وتكوينات حروفها.

لم تبرح مدرسة الصورة الشعرية (images) هذا الميدان بل اضطلع به اعلامها الكبار (اليوت، ايمي لوويل، ريشارد الدنغتون، هيلدا دولبتل، جيمس جويس، د. هـ لورنس، ازرا باوند). . وعند رامبو غدت «اوفيليا» المنسابة على الماء كرنفالاً للورد النائم ـ المنتحر. وبـذا فقد اضيف إلى جماليات وليم شكسبير سحر ناضح بالتصوير. وفي تاريخ الشعر

العربي صور متلألئة، ظلت وستظل شذراتٍ لامعةً في ذاكرة النقد الأدبي وكذلك الحال في الشعر العالمي والاوربي على وجه الخصوص.

مشاهد مسرحية «الاغتصاب» يلاحظ تحكماً بأكثر من ذروة في الرسم البياني للعملية الاخراجية. فقد تعامدت في كل مقطع كما لو كانت شعراً، وفي السياق كما لو كانت سينما، تعامدت جمهرة من الأدوات الفاعلة، وتضافرت منطقياً وتساوقت في تلاحم ساخن، وفي حالة هجومية، أحياناً، من الامتاع الدرامي الذي يشد، في تركيبته، بعضه البعض. فكل نأمة وكل اشارة وكل صوت في بُعديه الخافت والصارخ، قد طُرحت عبر التوازي المتصاعد للاحداث. فمشهد الاغتصاب، وهو محجوب عيانياً قد وُظِّفت له الانارة الساحرة بمفاتيحها العالية والواطئة. وغدا الصوت تشابكاً بين خلفيتين: (قهقهات المغتصب وصرخات المغتصب) إلى جانب البانتوميم - في شخصية الفلسطيني - وكذلك التماوج الموسيقي المستفيد من حركة الانارة المعبرة، اضافة إلى استخدام ستارة الالمنيوم في هزيز يرتقي مع الصورة إلى تطاحن ايقاعي مجلجل. لقد غدا المشهد أعسر بكثير من ان تستطيع مفردة الاغتصاب وحدها ان تبوح به. ويعود كل ذلك، بطبيعة الحال، إلى رؤْيَويّة الذهن الأخراجي.

لقد دخلت السينما إلى المسرح، في بعض مشاهد مسرحية «الاغتصاب». فالحراك الفني عبر عن نفسه ضمن نسيج متوامض وبكل الأدوات (موسيقى، انارة، صوت، حركة ممثل، ايقاعات اخرى، حركة ديكور، اكسسوار... الخ)، كل ذلك في نثرة جمالية واحدة تكاد تنسينا هاجسنا المسرحي وتغمرنا ببريق الشاشة. ويقيناً ان كل ذلك هو خاصةٌ من خواص السينما أُمّ الفنون وجامعتها.

وعدا الدقة والبراعة في استخدام المكان (صالة بيت) فقد كان هناك تعويل شديد على ما يعرف فنياً بالتواطؤ (collusion) وذلك من حيث التلاعب بالحيِّز الصغير من أرضية العرض، فالبيت يستحيل إلى حجرة تحقيق مرة وإلى عيادة مرة أخرى، كما يتم كل ذلك عبر الغاء المشهد والأتيان بسواه برشاقة وخفة. اضافة إلى استخدام الضوء جزئياً، أي فيما يشبه اللقطات المقربة بدرجاتها القصوى والوسطى... الخ مع القدرة على الايحاء بالوان الضوء درامياً وبما يتطابق مع روح المشهد.

لم يسلم ذلك البيت الصغير للعرض، بابوابه وممراته، وحجراته المحيطة بصالة العرض من التوظيف، فأمست الكواليس دائرة حول ما يفترض ان نسميه خشبة مسرح وليس خلفه كما هو شائع. ورغم ذلك فقد غدا المكان بفضل (غازي قهوجي وجواد الاسدي) مجالاً حيوياً متلألئاً، وبذا انتزع العرض، من خلاله، الاعجاب والاكبار من لدن الجمهور عموماً والمختصين والصحافة التي ثمنت النتاج.

من جانب آخر، أُشيرَ إلى بعض الهنات في جوانب العمل كعدم تطويع حركة الممثلين في كل متكامل، فلم يرتقِ الشخوص جميعهم إلى الدرجة التي ابدعت فيها الممثلة المرموقة غالية علي (راحيل) وإلى فاعلية وتألق فائز قزق (اسحاق). وهذا، على صحته، وفي تقديري، واقع موضوعي مبرر من جهة التوزيع المنطقي الكامن في حيثيات النص وحصة كل شخصية من الوجود والحوار. فليس الجميع ابطالاً.

لم تتحلق المسرحية نصاً حول مشجب تطهير العواطف بالفن عند ارسطو وهو المبدأ المعروف بـ (Catharsis) ولم تجنح إلى تحليلات برشت ومسرحه المعروف، بل ظلت في حدود الدراما. لكنها، من جهة أخرى، تحولت إلى دراما عميقة على يد مخرجها في عملية كشف لواقع الحياة المدنية والسياسية المنخور ومعالجة ذلك مسرحياً، وايضاً عبر تعميم الخاص ونمذجة الاستيطان في النزول إلى خواء ودونية العائلة (الصهيونية) الغاصبة لغيرها والمغتصبة هي الأخرى، والتي تكمن في خلقها والصلب منها قوانين الغاب، وفي تاريخها تعشعش روح الجريمة، وهذه احدى مآثر النص ومن أشرق جوانبه التحليلية الممسرحة.

كما لم يكن النص ولا العرض قصيدة بكائية فجائعية تستدر عواطف مسطحة بل كانا تأطيراً لحوار متفاعلٍ يتراكم بمرارة ليفضي إلى الكشف عن أسس الصهيونية كحركة عنفية لا انسانية.

لابد من الاشارة، هنا، إلى ديناميكية السجال المتألق، إلى ترابطه الممتع والذي هو بمثابة العمود الفقري لقوام المسرحية ذاتها.

في ممارسة تعذيب الآخر وسحق آدميته، تنكسر آدمية المعذِّب نفسه، ويخرج عن إطار النوع البشري لينكفيء بلا روح أو حواس عاجزاً عن ممارسة انسانيته وحياته اليومية العادية في آن. ونص المسرحية ينبني في جانب جوهري منه على تحليل سايكولوجيا الغاصب؛ تاريخياً: كحركة سياسية، وحضوراً: كفعل اجتماعي للافراد.

ان محاولة التحليل النفسي (العيادة الطبية) استطاعت وبنجاح باهر، في حواريتها وتمثيلها، أن تحيل ضياع الخصائص الانسانية في الانسان إلى هول ممارسته الوحشية.

في هبوط العرض المفاجيء وسينمائياً طغا على خاتمة المسرحية نوع من المباشرة تجسد في ظهور البطل الفلسطيني (اسماعيل) الذي ختم كل هذا البناء الساحر بمقولة تقريرية؛ «ستظل هناك حروب وحروب وحروب». . . الخ. وفي ظني ان لا ضرورة لظهوره مادام صوت المقاومة قد عبر، في تلاحقه وصداحه المهيمن، عن ذلك. وأيضاً فمن الصعب، بمكان، ان نطلق الاحكام المستقبلية على تخليد أية ظاهرة معاصرة (حرب، استغلال، جريمة، اغتصاب) علماً بان الصوت الفاعل للمقاومة، كرمز للحركة المناضلة، هو وحده اخصاب لحتمية التاريخ وتخليد لمستقبل الحرية والحق الانسانيين.

ان طغيان (التسجيل الصوتي) على هيستيريا صوت (نجاح سفكوني) في المشهد الأخير هيمنةٌ لجبروت القضية العادلة على صوت الغاصب وهو معادل جميل يفعّل (تفاؤلاً وحتميةَ) مستقبل الحركة الفلسطينية في نضالها اللامتناهي من أجل انعتاقها، وهو في تقدير الكثيرين الخاتمة التي يفترض ان تنتهي اليها المسرحية لو جلجلت الاصوات إلى الاقصى في انفجار يهز المشهد هزّاً ويمحق صوت (سفكوني = المحقق) وينكفىء بصداه.

في جريدة «تشرين» (١٥/١١/٩٠) كتب وليد معماري عن فلسفة الامتاع لديه «الوردة لا تصبح جميلة إلاّ اذا نقلت احساسي بجمالها نحو الآخرين. . . وحين أقع على عمل شعري أو روائي جميل أركض به نحو الآخرين لأكمل احساسي بجماله، كذلك هذه المسرحية. اظن ان من الظلم ان تبقى حبيسة في صالون شقة. ولعل خشبات المسرح على قلتها عندنا قد تفسح مجالاً أكبر للتنفس ـ وأخشى ان تكون العلة في الذين لا يحبون التنفس الحار والمبدع دائماً».

يظل هذا العمل، كما أشار أكثر من كاتب «عالقاً في الذاكرة» ونقول بدورنا للفنان جواد الاسدي: مبروك وحدها لا تكفي. . . طوبى لك. . ولتزده مخرجاً لامعاً في فضاء الفكر التقدمي وفنون انسانيتنا الرائدة.





احداث ثقافية

. . . ومجلة «الثقافة الجديدة» فيد الاعداد والطبع، شهدت الساحة الثقافية في الوطن العربي والعالم احداثاً ثقافية مهمة. وبما ان الوقت لم يسعفنا، كما تجري العادة غالباً (!)، آثرنا ان نشير فقط في صفحات موجزة إلى أبرز تلك الاحداث الأمر الذي لا يعفي مجلة، كمجلتنا، من ضرورة الكتابة بشكل أكثر تفصيلاً عن مثل هذه الاحداث. نأمل أن نتلافى ذلك في اعدادنا القادمة.

رحيل البرتو مورافيا

غادر عالمنا الروائي الايطالي الشهير البرتو مورافيا، بعد ان ترك أكثر من خمسين كتاباً في الرواية والمقالة والنقد السينمائي.

والمعروف عن هذا الروائي، الذي اختط لنفسه طريقاً وموضوعاً متميزين، انه كاتب جنسي، نضائحي. ومن لم يأخذ رواية لمورافيا ولم يتح ركناً ليتمتع بما يكشفه أمام أعيننا من محرمات. وللأسف اكتفى البعض بالوقوف عند مستوى كتابه الأول: الجنس.

غير ان «الجنس» في أدب مورافيا كان يمثل مهرباً ولجوءاً لابد منهما أمام عسف الاخلاق البرجوازية السائدة ومجتمع الاستهلاك وحالة الاستلاب التي يعيشها المواطن

الايطالي (الاوربي).

إن اختيار مورافيا للجنس كمادة ضرورية روائياً يجسد صدقه مع نفسه ومع قارئه، لما تحتله هذه القضية من حيز في حياة البشر ولكنها بقيت ضمن ما هو مسكوت عليه مخافة شرطة الاخلاق ومدارات لورع الصالحين.

رغم أن مورافيا كان يائساً جداً ووجودياً، بشكل ما، إلا انه لم ينكفىء نحو عتمات العزلة، فقد كان أشد المناوئين للفاشية، التي اتفقت مع الفاتيكان لمنع كتبه. وكثيراً ما غير مورافيا من موقع اقامته اتقاء لشرور موسوليني. وغير اسمه الحقيقي إلى الاسم الذي اشتهر به لاحقاً: البرتو مورافيا لضرورات الحماية الشخصية من بطش الفاشست.

من المعروف ان مورافيا كان مرشح قائمة الحزب الشيوعي الايطالي للبرلمان الاوربي، رغم عدم انتسابه للحزب. وعن موقفه كمثقف يقول: «... إن الكاتب، بالنسبة لي، هو مواطن مثل الآخرين، ومثل الآخرين يجب ان يدافع ـ عند الضرورة ـ عن حريته وحرية شعبه في الوسط الذي ولد فيه، وأن يحمل البندقية اذا لزم الأمر».

إلى ذلك فان البرتو مورافيا ابدى تضامنه مع قضية الشعب العراقي والثقافة الديمقراطية العراقية عند وضع اسمه بين اسماء مفكرين ومبدعين، عالميين وعرباً، تدين ممارسات الدكتاتورية وكافة أشكال القمع التي يتعرض لها شعبنا ومثقفوه. كما انه زار بغداد أكثر من مرة وخرج بانطباعات مضادة لما أراده النظام العراقي وعبر عن تلك الانطباعات بكتابات وتصريحات صحفية أكثر من مرة.

رحيل لويس عوض

يعتبر الكاتب والمفكر المصري الراحل أحد أبرز الاسماء الأدبية العربية التي اثرت المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات المهمة. وسواء اتفقنا مع لويس عوض أو لم نتفق معه، حول ما طرحه عبر مساره الفكري، فانه لا يلغي ولا ينتقص من أهميته كمفكر ديمقراطي عربي له حضوره.

من اوائل الكتب التي ترجمها لويس عوض كتاب بعنوان «بروميثوس طليقاً» عام ١٩٤٤ . والمعروف ان بروميثوس رمز من سرق النار وقدمها إلى الناس، وبذا يربط لويس عوض، منذ بداية نشاطه الفكري، قضيته بقضية التمرد.

ولكن من الصعب تصنيف لويس عوض ايديولوجياً بدقة، ذلك أنه على شيء من الانتقائية كيما يسمح له ذلك بما يعتقده ضرورياً للتعبير عن «افكار حرة»، ورغم ماركسيته

في سنوات وعيه الاولى حيث ترجم روايات سوفييتية وملخصات عن المادية التاريخية، إلا انه خلص إلى ما يمكن اعتباره ايديولوجيا فردية تتوخى التحرر من كل شكل استبدادي.

اعتقل لويس عوض في زمن الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ومنع كتابه الذي انفق فيه ما يزيد على العشرين عاماً، وهو بعنوان «فقه اللغة العربية» في زمن الرئيس الحالي لمصر حسني مبارك بتأليب من فقهاء الردة الظلامية في مصر.

على هاجس الحرية نلتقي مع لويس عوض ونؤبنه وننوه بموقعه الفكري المهم، ونختلف معه حول أكثر من قضية جوهرية في الفكر والموقف والنظرة إلى الثقافة.

. . . وسلاماً لويس عوض.

جائزة نوبل للمكسيكي اوكتافيو باث

فاز الشاعر المكسيكي الكبير اوكتافيو باث بجائزة نوبل لهذا العام. وجاء في تقدير اللجنة السويدية المشرفة لابداعه: «. . . إن أدب اوكتافيو باث ينفتح على آفاقٍ واسعة، مشبعة بذكاء محسوس وانسانية أصيلة».

اضافة إلى ابداعه المتميز فقد زخرت حياة هذا المبدع بمواقف أممية مشهودة أبرزها سفره إلى اسبانيا للدفاع عن الجمهورية أثناء الحرب الاهلية الاسبانية عام ١٩٣٧.

واكتافيو باث شيوعي اضطر إلى ترك الحزب بسبب الممارسات الستالينية والبيروقراطية، لكنه ظل يؤثر كارل ماركس باعتباره أبرز مفكر ثوري في عصرنا ويخصه باعتبار متقدم.

اعجب بالسريالية والسرياليين ولكنه لم يقطع صلته الجمالية بالواقعية الاشتراكية معتبراً ان للوعي دوراً أساساً في انتاج الفن.

ادان العالم الرأسمالي «المولع بالارقام» ـ حسب تعبيره ـ والذي يصادر الحريات الشخصية والعامة في حق التعبير عن الرأي والرد بسبب استحواذ النظم البرجوازية على وسائل الاتصال الجماهيرية.

وإلى جانب كونه شاعراً في المقام الأول إلا انه يتميز بنثرياته ونقده وكتاباته السياسية ويفضل لقب «صحفي» على لقب «ناقد» ويقول: «أنا شاعر أولاً وأخيراً».

يعتقد اوكتافيو باث بأن البروليتاريا لم تعد هي صاعق الثورة، وذلك ـ حسب تعبيره ـ لأن التمردات والانتفاضات تمت في عصرنا الراهن على ايدي الطلبة والنساء والفلاحين.

لكنه يعود إلى القول بأن النساء لا يمكن أن يتحررن باعتبارهن جنساً أو لوناً أو طبقة،

فتحررهن مرهون بتحرر الطبقة المستغلة (بفتح الغين) فى المجتمع.

كان أبوه من أبرز المشاركين بثورة المكسيك بقيادة زاباتا وكان الناطق الرسمي باسمه.

استقال من منصبه كسفير لبلاده في الهند اثر قمع السلطات للحركة الطلابية. وتفرغ لاحقاً لاصدار المجلات والكتابة الأدبية.

زهد اوكتافيو باث بالشهرة ولم يسع إلى أي موقع اعتباري، مفضلاً العزلة على الاضواء وذلك لأن الشعراء القليلي الرواج - برأيه - هم الأهم، لأنهم يهتمون بالجوهري في الحياة لا العابر القابل إلى الزوال في أية لحظة.

تحية لاوكتافيو باث الطليعي، المعني بقضية التغيير الاجتماعي، المبدع الذي كرس قلمه وحياته لمناصرة المظلومين التواقين إلى العدالة والسلام.

وداعاً جيلي عبد الرحمن

جيلي عبد الرحمن، الشاعر السوداني المناضل، غادرنا قبل اسابيع تاركاً حزمة من القصائد والذكريات والمواقف النضالية المشهودة كشاعر شيوعي.

عاش جيلي حياة المنفى، في القاهرة وموسكو وعدن والجزائر ثم توفي في القاهرة.

عانى في حياته مرارات القمع والتشرد والمرض، ولكنه لم يكف عن البذل والعطاء نضالاً وابداعاً من أجل حرية شعبه وسعادة وطنه، ولم يخرج، عبر مسيرة عمر حافل، حتى بقبر، يضم جسده المثقل بالجراح والغربة، في وطنه.

ارتبط جيلي بصداقات حميمة مع رفاقه العراقيين، مناضلين وأدباء وصحافيين، واقتسم معهم لقمة الخبز وهاجس العودة إلى الوطن، وقصيدة لم تكتمل إلا حيث يولد الشعراء: في أوطانهم.. في قصائدهم الحرة.

هل يمكن أن يكون الشعراء على هذه الخطورة؟

نعم. فلولا ذلك لما قرر العسكر نفيهم. إن أشد الانظمة الدكتاتورية صلفاً وبطشاً وقوة على غاية الجبن. إن الآخر المقاوم لهم، المختلف معهم، غير المنضوي تحت خيمتهم، لمصدر قلق ورعب بالنسبة لهم.

وعلى عجالة التأبين فان حزننا لمعتق وعميق. ولك في نفوس قرائك ورفاقك واخوتك ذكرى التضامن والمحبة واستشراف المستقبل القادم.

تحية لك ياجيلي.. تحية للشعر.. وباقة زهر على ضريحك اينما كان.. فالعالم وطنك.

لوي التوسر، ترك بصماته على الماركسية

مرة قال دستويفسكي عن تأثير غوغول على الرواية الروسية «كلنا خرجنا من معطفه» إشارة إلى قصته القصيرة «المعطف».

وربما كان هذا لسان حال كل الماركسيين الغربيين أو الذين تأثروا بها منذ الستينات في وصف علاقتهم بلوي التوسر.

منذ أن أصدر «دفاعاً عن ماركس» والكتاب الجماعي «قراءة رأس المال» لم يعد مؤيدوه أو خصومه قادرين على كتابة أي نص فلسفي من دون أن يتأثروا بالمفاهيم التي أدخلها، وساهمت في تطوير معرفتنا بمعنى التناقض في الفهم المادي للتاريخ، و«القطيعة المعرفية» بين الماركسية والفلسفات الأخرى. وتركت نصوصه الأخرى عن الايديولوجيا والدولة تأثيراً لا يقل أهمية على كل النقاشات اللاحقة.

في كل ما كتب التوسر وفي كل المعارك التي خاضها كانت شخصية المناضل والمنظّر حاضرة. عضو الحزب الشيوعي الفرنسي منذ تحرر من أسر خمس سنوات على يد النازيين، وعضو لجنته المركزية الذي وقف معلناً خلافه مع الحزب من داخله حين أقدم الحزب على تغيير برنامجه. وهو الذي كتب، منذ فترة مبكرة محذراً من أزمة سيدخلها اليسار الماركسي، سلسلة من المقالات بعنوان «ما لا يمكن أن يستمر في الحزب الشيوعي الفرنسي».

في كل هذه المعارك النظرية والسياسية، كان التوسر يخفي مأساته الداخلية التي أودت به. كان، على حد تعبير أقرب أصدقائه، «الانسان الأكثر شقاء في العالم». فمنذ خروجه من أسر النازية كان يقع ضحية نوبات من الكآبة والسوداوية، أدت إلى انحسار نشاطه وعزلته طوال العقد الأخير.

ومع هذا لم يدخل التوسر عالم النسيان، فلا يزال البحث الماركسي في فرنسا والغرب مدين له، يغرف من كتاباته في سعي دؤوب لتطوير الفكر والمعرفة، بما يجعل الماركسية نصاً مفتوحاً.

تصريح
عزم ومسؤولية

النزاع القائم بين العراق والكويت يسير نحو وضع متفجر، فهو يتجاوز بدرجة كبيرة مشاكل سيادة البلدين المعنيين بالنزاع ليصبح رهاناً دولياً.

بهذه الصفة يجب النظر إلى هذه الوضعية.

ادانة العراق التي اجتاحت بلداً ذا سيادة، تخلو من أي غموض.

من ناحية أخرى الحلول المختلفة المقترحة لحد الآن تبقى غامضة وخطيرة.

الاهمية الجيو- ستراتيجية لمنطقة الخليج بثرواتها الهائلة، لا تخفى عن أحد.

كل مساومة، كل مناورة مشبوهة، تهدد باشعال فتيل الحرب بالمنطقة وبعث روح العدوانية بعواقب لا تحصى.

التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية واع بتعقد الوضع ولا يبعد أي مظهر من مظاهر النزاع مهما كانت قانونية، سياسية أو جيو- ستراتيجية، كل المعطيات يجب أخذها بعين الاعتبار برزانة كبيرة وانشغال مفعم بالتضامن مع شعوب المنطقة.

التجمع من أجل الثقافة الديمقراطية يتأسف كون ان بعض النزاعات السابقة والتي تعد ثانوية نسبياً (سوريا - العراق) وكون ان بعض المصالح الحزبية المرتبطة بالسياسة الداخلية لبعض الدول، ومن بينها الجزائر، تستغل مشكلاً مأساوياً لتصفي حساباتها في الوقت الذي يتواجد فيه السلم العالمي في خطر.

التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يدين استعمال القوة والعنف مهما كان مصدرهما، ويظل مقتنعاً ان على الجزائر ان تعبر عن موقفها بعزم ومسؤولية.

١ - العراق اجتاح بلداً ذا سيادة.

هذا الاعتداء لا يمكن تبريره بأي كان..

٢ - قوات اجنبية سارعت للحفاظ على مصالحها أكثر من سعيها لتصليح الضرر وذلك بلجوئها إلى استظهار قوتها، الشيء الذي قد يؤدي إلى تفجير الوضع.

التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يظل مقتنعاً بأن الحل السياسي هو وحده الكفيل بتهدئة وضع محفوف بالمخاطر.

كما يعتبر ان الاطر المثلى للحوار والتشاور تبقى الهيئات المحلية، الجهوية، وعند الضرورة منظمة الامم المتحدة. مهما كانت الظروف فان اللجوء إلى القوة لن يستجيب

لطموحات الشعبين العراقي والكويتي لأن مصالحهما وامنهما هما المهددان بالدرجة الاولى.

٣ ـ أساسياً، التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يعتبر ان انفجار مثل هذه النزاعات راجع إلى ابعاد الارادة الشعبية عن مراكز القرار في بلدان الشرق الاوسط.

المساعي المختلفة، بل المتناقضة للبلدان المغاربية الخمسة، على غرار بلدان الجامعة العربية، تذكرنا ان الاتحاد المغاربي يبقى انجازاً غير محقق.

على المواطنات والمواطنين الجزائريين، وبالاخص الديمقراطيين، ان يطوروا تصرفات سياسية بعيداً عن كل مصالح متعصبة محفزة باعتبارات مبنية على صراعات عشائرية.

التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية مستعد كامل الاستعداد لكل مسعى يهدف إلى تطويق النزاع في إطار ابعاد قانونية، سياسية واقتصادية.

التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية

الجزائر، في ١٥ اوت (آب) ١٩٩٠

جديد للنشر

العددان ٧ ـ ٨ من المنار

ـ صدرت المنار، فصلية نادي ١٤ تموز الديمقراطي في ستوكهولم بعددي ٧ ـ ٨ لربيع وصيف ١٩٩٠. حيّت افتتاحيتها ذكرى ثورة ١٤ تموز. وساهم في موادها: هادي العلوي، أحمد دلزار، ابراهيم أحمد، بلند الحيدري، د. عبد الصاحب الموسوي، سلام صادق، حميد البصري، أحمد هشام البصري، محمد فرحان، آزاد، ابراهيم يوسف، جميل داري، خضر صلفيج، زرادشت محمد، طه خليل وجمدو.

تعقيب

هنـاك بعض الاخـطاء والنـواقص في موضوع «من أنا» لكوفان اسماعيل (الثقافة الجديدة العدد ٢٢٤)

١ ـ هنـاك ديوان ثامن للشاعر المذكور (جكر خوين) واسم الديوان (Aśti) وتعني السلام ، طبع في السويد عام ١٩٨٥ أي بعد وفاة الشاعر.

٢ ـ لم يذكر الشاعر تاريخ صدور الدواوين التالية :ـ

ـ «الشفق» طبع في السويد عام ١٩٨٢ .

ـ «الأمل» طبع في السويد عام ١٩٨٣ .

٣ ـ الـديوان الاول صدر في عام ١٩٤٥ وليس ١٩٤٦ واسم الـديوان « الشرارة واللهب» وليس (اسم الشعب) كما ذكر في المجلة، بالطبع الديوان المذكور طبعة الشام ١٩٤٥ وكذلك الديوان الثالث عام ١٩٧٣ وليس ١٩٧٥ .

٤ ـ بالنسبة لقصته الاولى فهي في عام ١٩٤٨ وليس ١٩٤٧ .

وهناك قصة ثالثة له لم يتطرق إليها المعد وهي بعنوان «ميديا وسالار» ١٩٧٣ طبعة بيروت.

٥ ـ له كتاب آخر صدر بعد وفاته في السويد بعنوان «تاريخ كردستان» الجزء الأول ١٩٨٥

وباختصار: له ثمانية دواوين وثلاثة قصص وخمسة كتب هي :

١ ـ اقوال الاسلاف ٩٥٧ الشام .

٢ ـ قواعد اللغة الكردية ١٩٦١ بغداد.

٣ ـ قاموس (الجزء الأول) ١٩٦٢ بغداد.

٤ ـ قاموس (الجزء الثاني) ١٩٦٢ بغداد.

٥ ـ تاريخ كردستان (الجزء الاول) ١٩٨٥ السويد.

بافي زوزاني/ قامشلي

سوريا ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠

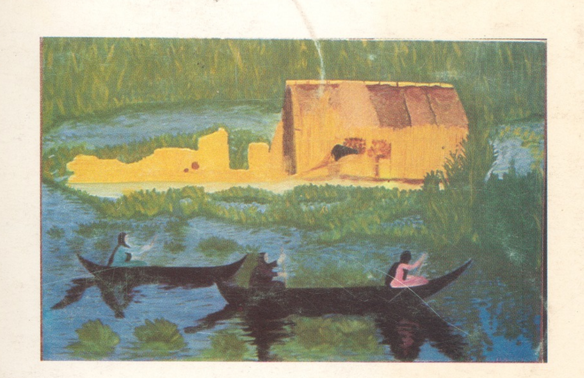
صحارى تبدأ اصداراتها

- وصلنا من دار صحارى للطباعة والنشر في المجر كتابان من أدب امريكا اللاتينية ترجمهما صالح علماني:

١ - رواية «توريبيو توريس. . الشهيد بغارديليتو» للروائي برناردو كوردون.

٢ - «مختارات قصصية من أدب امريكا اللاتينية» لغابريل غارسيا ماركيز، خيوليو كورتاثار، اليخو كاربانتير، خوان رولفو، خورخي لويس بورخيس، ايزابيل الليندي، فرانشيسكو كولواني، هوراثيرو كيروغا، برناردو كوردون، خوسيه فيليكس فويتمايور، مانشادو دي أسيس.





السعر دينار ونصف